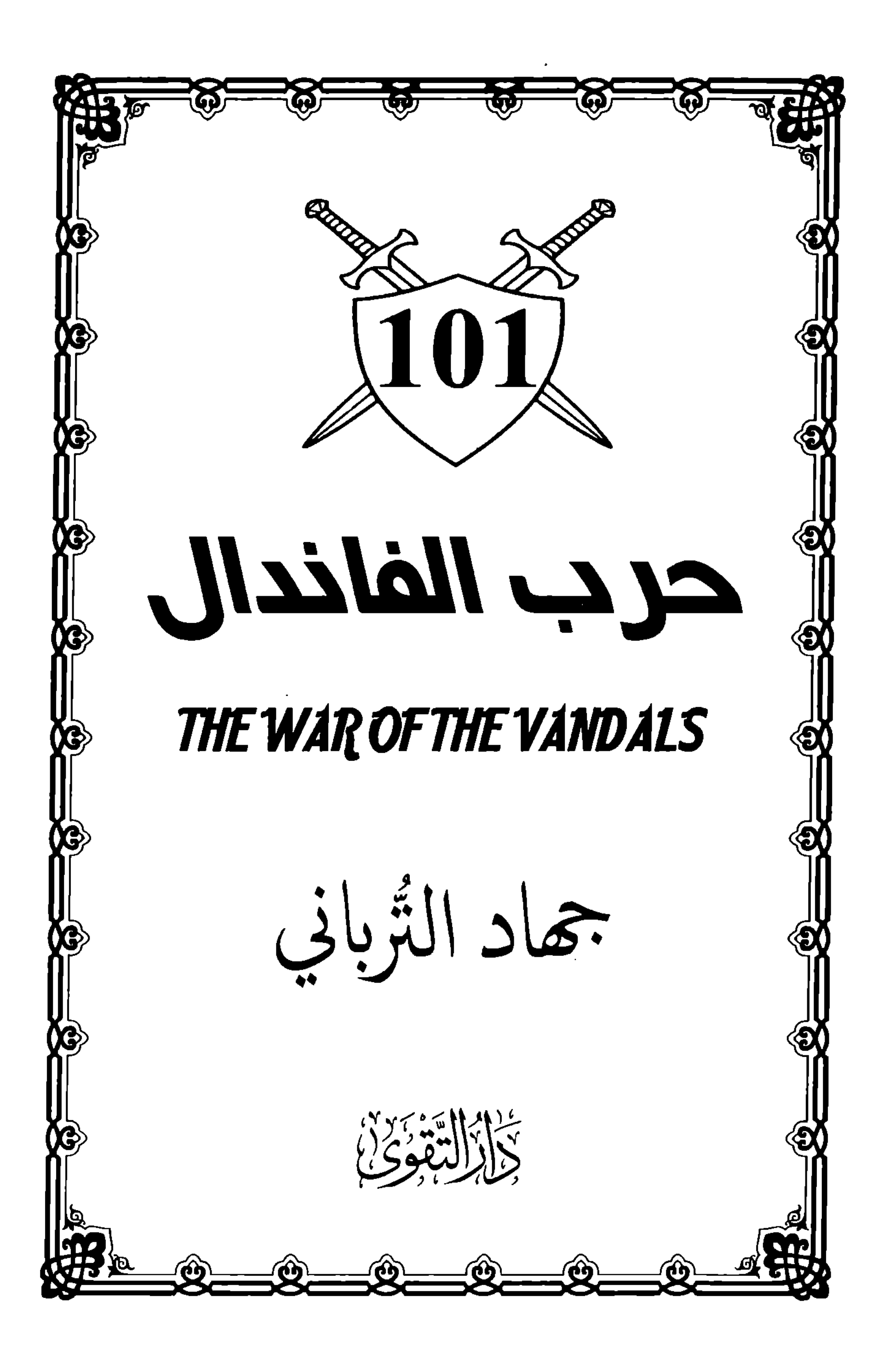
101

حرب الفاندال

THE WAR OF THE VANDALS

جهاد التُّرباني
JEHAD AL - TURBANI




101
حرب الفاندال
THE WAR OF THE VANDALS
جهاد التُّرباني
دار التَّقوى



الطبعة الأولى

1441هـ - 2020م

رقم الإيداع: 2020/23889

الترقيم الدولي: 8-2-85468-977-978

تصميم الغلاف: محمد رجب

رسمة اللغز: نور خواري

دار التقوى

للطبع والنشر والتوزيع

33 شارع محمد عبده - خلف الجامع الأزهر

ت/ 02/25102844 01001668067

E-mail: Daraltakwa.cairo@gmail.com

Facebook: @daraltakwaegypt

لتوصيل الكتاب داخل أي مكان داخل جمهورية مصر العربية
يتم عن طريق طلب الكتاب من موقع سوق دوت كوم من
على الرابط التالي:

https: //egypt.souq.com/eg-en/ دار التقوى /p/?page



لم يصدق الرومان أعينهم وهم يرون عاصمتهم التاريخية روما تسقط أمام أنظارهم، ولم تكمن صدمتهم فقط في سقوط هذه الحاضرة العريقة التي كانوا يحكمون من خلالها العالم، بل أيضًا في معرفتهم لهوية هؤلاء المقاتلين الأشداء الذين تجرأوا على مواجهة التاريخ والجغرافيا، وتمكنوا من اختراق الدفاعات الإمبراطورية الأقوى في العالم، واقتحام أسوار روما الحصينة التي استعصت على الغزاة من قبلهم لقرون عديدة، وعلى مدى أربعة عشر يومًا، تمكن هؤلاء المقاتلون من إفراغ روما من كنوزها التي استولى عليها الرومان

من حضارات وأمم الأرض المختلفة التي خضعت لحكمهم في أوروبا وآسيا وأفريقيا، إضافة لكنز العرش الخاص بالعائلة الإمبراطورية الرومانية، فغنم هؤلاء المقاتلون من روما أحد أكبر الكنوز في تاريخ الإنسانية، لينقلوه بعد ذلك عبر سفنهم إلى مكان ما في شمال أفريقيا.

والآن وبعد ما يزيد عن **1500** عام، ما يزال مصير هذا الكنز الأسطوري مجهولًا!.





أمام تمثال قسطنطين العظيم

- هل أنت متأكد بالفعل بأن كنز الفاندال المفقود موجود في هذا المكان يا نضال؟!

كان الظلام قد أرخى سدوله على ساحة كاتدرائية يورك مينستر «**York Minster**»، وكان الصمت يسود المكان، قبل أن يقرر عبد

العزيز كسر جموده بهذا السؤال، فقد رحل آخر من بقي من السياح الذين جاؤوا لزيارة هذه الكنيسة الأثرية التي تعتبر ثالث أهم كنيسة في إنجلترا، ولم يتبقَ في ذلك المكان سوى نضال وعبد العزيز وعامل نظافة ينظف ما خلفه السياح في حديقة الساحة، وعلى مدى ما يزيد عن ساعة كاملة لم ينطق نضال ببنت شفة وهو يمشي ببطء جيئة وذهابًا أمام تمثال الإمبراطور قسطنطين العظيم «Constantine the Great»، في حين اكتفى عبد العزيز بمراقبته في هدوء وهو جالس على الأرض ساندًا ظهره على قاعدة التمثال.

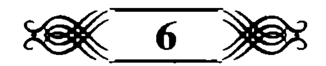
- نضال هل سمعت سؤالي؟!

التفت نضال إلى رفيقه وكأنه تنبه لأول مرة لوجوده معه في ذلك المكان، ثم قال له معتذرًا:

- عفوًا يا عبد العزيز، لم أسمع ما قلته جيدًا، هل لك أن تعيد سؤالك مرة ثانية؟

- هل أنت متأكد بأن خريطة الكنز الأسطوري الذي تحدثت عنه موجودة في هذا المكان؟

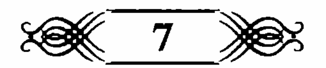
- الرسالة المشفرة التي تركتها لي أمي تشير بشكل واضح إلى أن خريطة الكنز موجودة في مكان ما هنا.



نظر عبد العزيز إلى ساعته، ثم ألقى نظرة إلى ساحة الكاتدرائية الفارغة، وقال:

- ولكن يا نضال، نحن هنا من قبل مغيب الشمس، وقد اقتربنا من منتصف الليل دون أن نجد أي شيء، وآخر قطار إلى لندن سينطلق بعد نحو ساعة من الآن!

توقف نضال عن المشي، ونظر إلى صديقه مباشرة، وقال له بصوت به بعض الحدة:



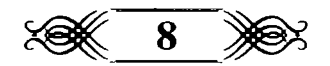
- عبد العزيز، لم أجبرك على المجيء معي من لندن، أنت الذي أصررت على مرافقتي، بإمكانك الذهاب إلى محطة القطارات والعودة من حيث أتيت، أما أنا فلن أرجع حتى أجد ما جئت من أجله.

- على رسلك يا صديقي، الأمر لا يتعلق بي على الإطلاق، بإمكاننا المبيت في أي فندق في هذه المدينة، أو حتى النوم في الحديقة في هذه الليلة الصيفية الدافئة، وقد أخبرتك منذ بداية رحلتنا أنني معك إلى النهاية مهما كانت النتائج، ولكنني مشفق عليك يا نضال، فأنت تنهك نفسك بالتفكير منذ أن جئنا إلى هذا المكان واكتشفنا عدم وجود أي شيء يدل على مكان خريطة الكنز، ربما ينبغي علينا البحث في مكان آخر.

- ولكن أمي أشارت في رسالتها المشفرة إلى أن الخريطة موجودة عند هذا التمثال، وأنا أثق بها وبكلامها.

- ولكن هل أنت متأكد مما قرأته في هذه الرسالة؟ فقد بحثنا في كل موضع في هذا التمثال لثلاث مرات دون أن نجد أي خريطة أو حتى نقش على حجارته يشير إلى هذا الكنز.

- البروفيسور بريستلي وأنا سهرنا طيلة ليلة الأمس لفك تعمية هذه الرسالة المشفرة المكتوبة بلغة «إنجما»، وقد كانت نتيجة فك التعمية رسالة واضحة:



«ابدأ مجدك من هنا، ابدأ حريك من هنا، بواسطة هذا تفتح، كنز الفاندال الأسطوري»

- أخشى أنني لم أفهم شيئًا مما تقوله! هل هذه الكلمات هي مضمون الرسالة قبل أو بعد فك التشفير؟! تساءل عبد العزيز بتعجب.

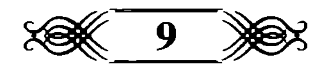
ابتسم نضال ثم أجاب:

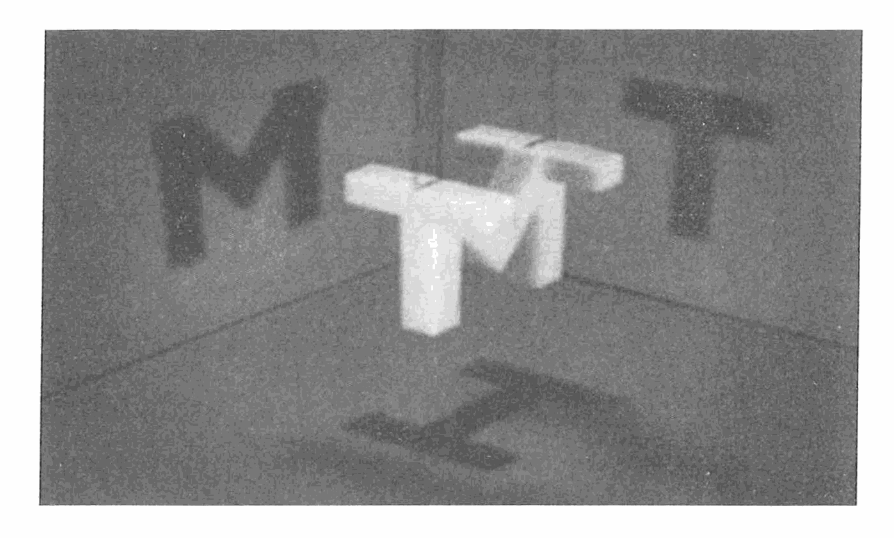
- هذه هي الرسالة بعد أن قمنا بفك تعمية شيفرة الرموز الموجودة أسفل لغز التفاحة.

- ولكن يا نضال هذه الكلمات المبهمة هي في حد ذاتها شيفرة، أنا لا أرى فيها أي إشارة لأي عنوان على الإطلاق!

- لا تنسَ ما ذكرته لك في السابق عندما بدأنا تتبع خيوط لغز بربروسا:

- «ما أراه أنا ليس بالضرورة ما تراه أنت، وما تراه أنت ليس هو دائمًا ما أراه أنا، فالأشكال المختلفة التي نراها للشيء الواحد هي في حقيقة الأمر انعكاس طبيعي لتجاربنا السابقة، وخبراتنا الخاصة، ومعارفنا المكتسبة، وزوايا الرؤية المختلفة التي يرى من خلالها كل واحد منا الشيء ذاته، لتنتج عن ذلك كله صور مختلفة لنفس الشيء، نحن نرى الأشياء كما تريد لنا عقولنا أن نراها!».





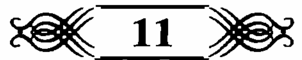
- ولكن كيف عرفت بأن هذه الكلمات المبهمة تقودنا إلى هذا المكان بالذات؟!

- حسنًا، استمع إلى ما سأقوله جيدًا يا عبد العزيز، في عام **306** توفي الإمبراطور قسطنطيوس الأول «Constantius I» الذي كان إمبراطورًا على القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية التي كانت مقسمة في ذلك الوقت إلى أربعة أقسام، وبعد وفاته قام القادة الرومان في بريطانيا وبالتحديد في هذه المدينة يورك «York» حيث توفي الإمبراطور بتنصيب ابنه قسطنطين «Constantine» كإمبراطور جديد لهم، على الرغم من أنه لم يكن مستحقًا للمنصب وفقًا للتسلسل الإمبراطوري الروماني، ومنذ ذلك التاريخ مباشرة، ومن هذه المدينة

بالتحديد، بدأ الإمبراطور الجديد قسطنطين الأول الذي سيعرف فيما بعد بقسطنطين العظيم «Constantine the Great» حربه لقمع التمرد الذي واجهه منذ لحظات تعيينه الأولى، ثم انطلق بجيشه إلى قلب القارة الأوروبية ليقود بنفسه حربه الكبرى لتوحيد أجزاء الإمبراطورية الرومانية الأربعة تحت حكمه، واستطاع بالفعل من تحقيق ذلك المجد وتوحيد الرومان تحت حكمه بعد **80** عامًا من تفكك إمبراطورية روما.

- وهذا ما يفسر العبارتين الأوليين: «ابدأ مجدك، من هنا، ابدأ حربك من هنا». قال عبد العزيز مقاطعًا.

- بالضبط، فقد كانت مدينة يورك الإنجليزية نقطة الانطلاق الرئيسة لهذه الحرب.

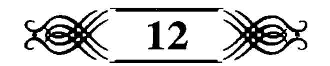


- ولكن لماذا هذا التمثال بالذات؟ لماذا لا يكون أي مكان آخر في هذه المدينة؟!

- لثلاثة أسباب: السبب الأول هو أن كل المعلومات التي توصلنا إليها من رحلة البحث في لغز بربروسا ولغز التفاحة قادتنا لكشف سر آريوس، القسيس المسيحي الموحد الذي ارتبط بدوره بحكاية بحياة الإمبراطور قسطنطين العظيم الذي اختار أن يتبع مذهب آريوس قبل وفاته، وارتبطت حكاية كل من آريوس وقسطنطين بالحكاية الأكبر، حكاية الآريسيين، الذين كتب الفاندال الآريسيين فصلًا من أهم فصولها. أما السبب الثاني فهو شكل التمثال نفسه، فالنحات الذي صنعه حرص على إظهار الإمبراطور قسطنطين العظيم وهو يستعد للحرب، فهو يلبس حلته العسكرية الرومانية، ويحمل بيده اليسرى سيفه، ولا أعتقد أنني في حاجة لشرح رمزية السيف للدلالة على الحرب.

- أي أن شكل الإمبراطور في هذا التمثال ترجمة فعلية لعبارة «ابدأ حربك من هنا»!

- أحسنت يا عبد العزيز، هو كذلك بالضبط، أما السبب الثالث الذي أكد لي وللبروفيسور بريستلي أن هذا المكان هو المكان الذي ينبغي البحث فيه عن كنز الفاندال يكمن في العبارة الثالثة التي وردت في هذه الرسالة.



- «بواسطة هذا ستنتصر»، أي بواسطة السيف الذي يحمله قسطنطين في هذا التمثال! قال عبد العزيز مقاطعًا.

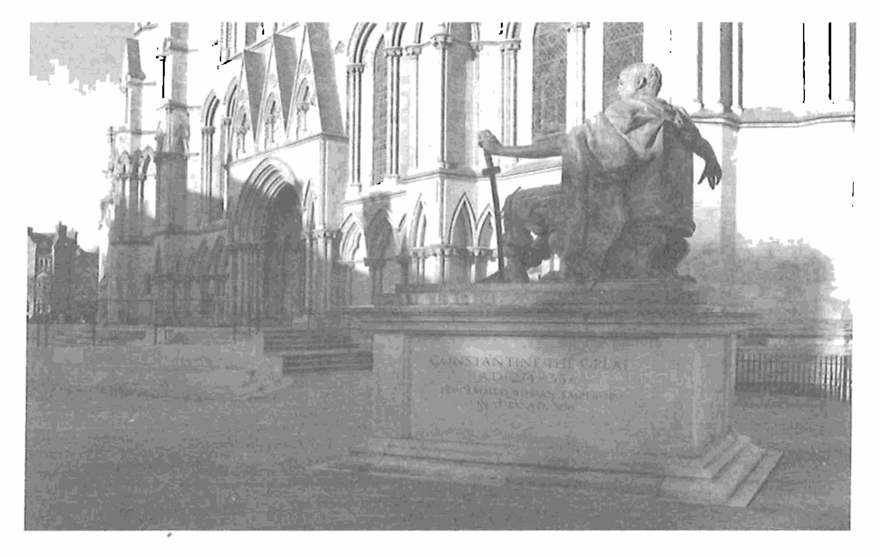
ابتسم نضال في وجه صديقه الذي بدت عليه مظاهر الإثارة وهو يحلل ما جاء في الرسالة، ثم قال له:

- ليس تمامًا!

- ماذا تقصد؟!

- هل قرأت ما هو مكتوب على التمثال؟

- أتقصد هذه العبارة؟



قام عبد العزيز من مكانه، وتحول إلى إحدى جهات التمثال، وهو يشير إلى عبارة كتبت على قاعدة التمثال منقوش عليها باللغة الإنجليزية:

CONSTANTINE THE GREAT

A.D. 274-337

PROCLAIMED ROMAN EMPEROR

IN YORK A.D. 306

الإمبراطور قسطنطين العظيم

274-337 للميلاد

نودي إمبراطورًا رومانيًا

في يورك عام **306** للميلاد

- لا أقصد هذه العبارة يا عبد العزيز، بل أقصد هذه!

قال نضال وهو يشير إلى عبارة منحوتة على حافة الأرضية التي يجلس عليها تمثال الإمبراطور قسطنطين العظيم:

«Constantine by this sign conquer»

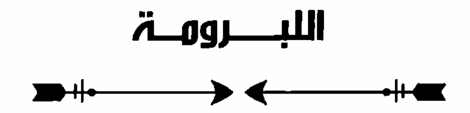
- «قسطنطين بهذه الإشارة تفتح»، صراحة لم أنتبه إلى هذه العبارة من قبل، ما علاقة هذه العبارة بما ورد في الرسالة؟ وما هي هذه العلامة التي تشير إليها؟!

صمت نضال للحظة وهو ينظر إلى سماء يورك الصافية التي اكتمل فيها القمر بدرًا، ثم قال:

- إنها العلامة التي تروي الأسطورة أنها تجلَّت لقسطنطين في السماء، والتي استخدمها بعد ذلك كراية له في حربه الكبرى، إنها علامة اللبرومة!



اللبـــرومـــة



- ما حكاية هذه العلامة يا نضال؟

- وفقًا للأسطورة التي رواها أحد المؤرخين المقربين من قسطنطين العظيم نقلًا عن الإمبراطور نفسه، فإن هذه العلامة تجلت للإمبراطور في السماء، فبينما كان قسطنطين في مكان ما في القارة الأوروبية يستعد لإحدى أهم المعارك الفاصلة في حربه لتوحيد الإمبراطورية وتخليصها من الحكم الرباعي، نظر إلى الشمس،

فظهرت له فوقها علامة من نور على شكل حرف X، وظهرت معها كلمات باللغة الإغريقية ترجمتها إلى العربية «بواسطة هذا تفتح».

- بالطبع كلمة «تفتح» تعني هنا الفتح العسكري للمدن في المعارك، لذلك فإن الترجمة الإنجليزية لها كما هو واضح هنا هي كلمة «**conquer**»، ولكن أي العبارتين أصح، عبارة «بهذه الإشارة تفتح» كما هو ظاهر في النقش الإنجليزي على أرضية التمثال، أو «بهذا تفتح» كما ورد في الرسالة التي معنا؟ تساءل عبد العزيز.

- الترجمة الحرفية لما ورد في كتابات المؤرخ الذي نقل هذه الأسطورة باللغة الإغريقية هي «بهذا تفتح»، ولكن هذه العبارة أضيفت لها كلمة «العلامة» في الترجمة اللاتينية لتوضيح المعنى بالشيء المشار إليه في العبارة، فكتبت بهذا الشكل «**In hoc signo vinces**»، وترجمتها كما هو ظاهر في النقش هنا «بهذه العلامة تفتح».

- وماذا فعل قسطنطين بعد ذلك؟

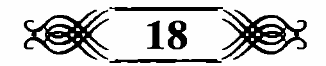


- أمر الإمبراطور الروماني جنوده أن يرسموا هذه العلامة على دروعهم، وأصبحت اللبرومة رمزًا للإمبراطورية الرومانية البيزنطية منذ ذلك الحين وحتى سقوطها بيد المسلمين العثمانيين على يد القائد الإسلامي الكبير محمد الفاتح.

- وماذا يعني الحرفان «إكس» و «بي» في هذه العلامة؟

- ومن قال لك أن هذين الحرفين هما «إكس» و«بي»؟ سأل نضال وهو يبتسم.

- هذا ما هو واضح من الشكل، وأنت قلت أثناء عرضك لهذه



الأسطورة أن الإمبراطور ظهرت لـه علامـة علـى شـكل حـرف «إكـس» في السماء!

- على شكل حرف «إكس» وليس حرف «إكس»، فهذان الحرفان ينتميان للأبجدية اليونانية، الحرف «**X**» هو حرف «كاي» «**Chi**»، بينما هذا الحرف «**P**» هو حرف «رو» «**Rho**»، فدمج الإمبراطور قسطنطين العظيم هذين الحرفين بشكل مميز « ☧ » لتتكون العلامة التي عرفت بـ «اللبرومة» «**Labarum**»، أو علامة «كاي -رو» «**Chi-Rho**».

- وإلى ماذا يرمز هذان الحرفان؟ تساءل عبد العزيز.

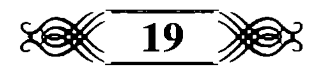
- إلى الحرفين الأوليين من الكلمة اليونانية «خريستوس - **Χριστός**»، وتعني المسيح!

- ماذا؟! المسيح! ألم تقل لي سابقًا أنت والبروفيسور بريستلي أن قسطنطين كان وثنيًا في ذلك الوقت وأنه تم تعميده إلى المسيحية الآريسية فقط في أيامه الأخيرة؟ فكيف يتخذ من هذا الشعار الذي يشير إلى المسيح راية له؟!

ابتسم نضال من جديد ثم قال:

- هذا أمر شرحه يطول، ربما أشرحه لك بعد أن نجد ما جئنا لنبحث عنه في هذا المكان.

- بالمناسبة يا نضال، هل تعتقد أن حرف «إكس» أو «كاي» أو سمه ما شئت له علاقة بلغز التفاحة؟

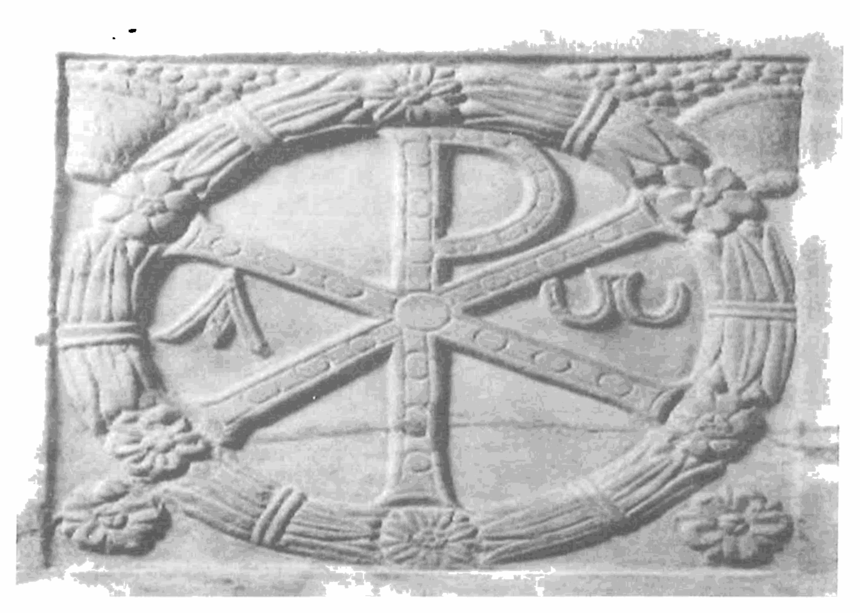


- بالتأكيد لا، فقد كان الحرف «X» في لغز التفاحة يشير إلى مكان تابع للمخابرات البريطانية تم فيه فك تعمية شيفرة إنجما، وهي اللغة السرية التي كتبت فيها الرموز الواردة أسفل الصورة في لغز التفاحة.

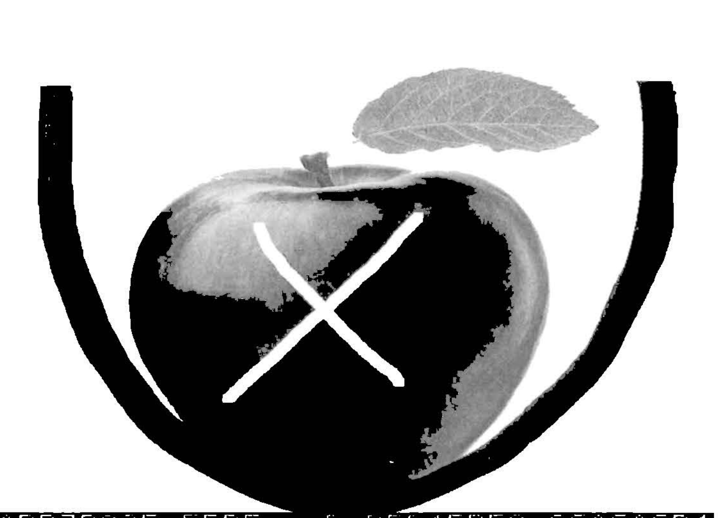
- سامحني يا نضال، ولكن هل لك أن تشرح لي مرة ثانية تفسيرك لمعنى ذلك الحرف وتوضح لي كل ما جاء في ذلك اللغز؟

- ولكن لماذا تريد سماع ذلك من جديد؟!

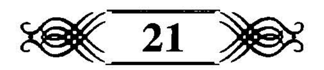
- أرجوك أن تفعل ذلك من أجلي، فأنا أفكر في شيء ربما يساعدنا في إيجاد ما نبحث عنه!



العودة إلى لغز التفاحة من جديد



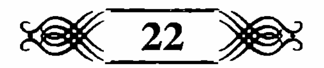
جلس نضال بجانب عبد العزيز أمام تمثال الإمبراطور قسطنطين العظيم، ووضع الورقة التي تحتوي على لغز التفاحة على الأرض بينهما، ثم بدأ يعرض على صديقه شرحًا مفصلًا عما جاء فيها:



- حسنًا يا عبد العزيز، الرسالة التي دلتنا على هذا المكان مكتوبة بشكل مشفر بواسطة هذه الأرقام والأحرف الموجودة أسفل اللغز، وقد تمت كتابتها بواسطة «إنجما».

- لا أتذكر جيدًا كل ما ذكرته أنت والبروفيسور من معلومات عن هذه الشيفرة السرية، ولكن كل ما أذكره أن اكتشافها ساهم في إنهاء الحرب العالمية الثانية!

- إنجما «**Enigma**» كلمة إنجليزية تعني «اللغز»، وهي اختصار لآلة إنجما «**Enigma Machine**»، وهو اسم يطلق على أي آلة من عائلة الآلات الكهروميكانيكية الدوارة التي تستخدم لإنتاج الشيفرة



السرية، وتستخدم هذه الآلة لتعمية وفك تعمية الرسائل السرية، ومنذ بدايات القرن العشرين تم استخدام هذه الآلات من طرف العديد من أجهزة المخابرات والجهات العسكرية والحكومية للعديد من الدول، وكانت ألمانيا النازية في فترة ما قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية من أشهر من استخدمها، وقد طور النازيون الطراز الألماني من هذه الآلة، والذي أطلقوا عليه اسم فيرماخت إنجما «Wehrmacht Enigma» وتعني بالألمانية «إنجما القوات المسلحة»، وهذا الطراز الألماني من آلات إنجما كان الأفضل على الإطلاق، وذلك بسبب سهولة استخدامه، وشبه استحالة فك شيفراته، الأمر الذي دفع القوات العسكرية النازية إلى اعتماده في كتابة رسائلها السرية الموجهة إلى جواسيسها المنتشرين في أرجاء العالم، وإلى غواصاتها الحربية المرابطة تحت مياه المحيطات، واستطاع الألمان بواسطة استخدامهم للغة إنجما المشفرة من تحقيق انتصارات كاسحة مع بداية الحرب العالمية الثانية، فقد كانت غواصتهم تتنقل بحرية في بحار الأرض، وتضرب في كل مكان، دون أن يتمكن أحد من تحديد مواقعها، ويعود السبب في ذلك لاستخدام النازيين لإنجما لإرسال التعليمات والأهداف المراد تدميرها، فتمكنت الغواصات النازية من إغراق العديد من السفن التابعة لدول الحلفاء، وخاصة تلك التابعة لبريطانيا العظمى، والتي عجزت

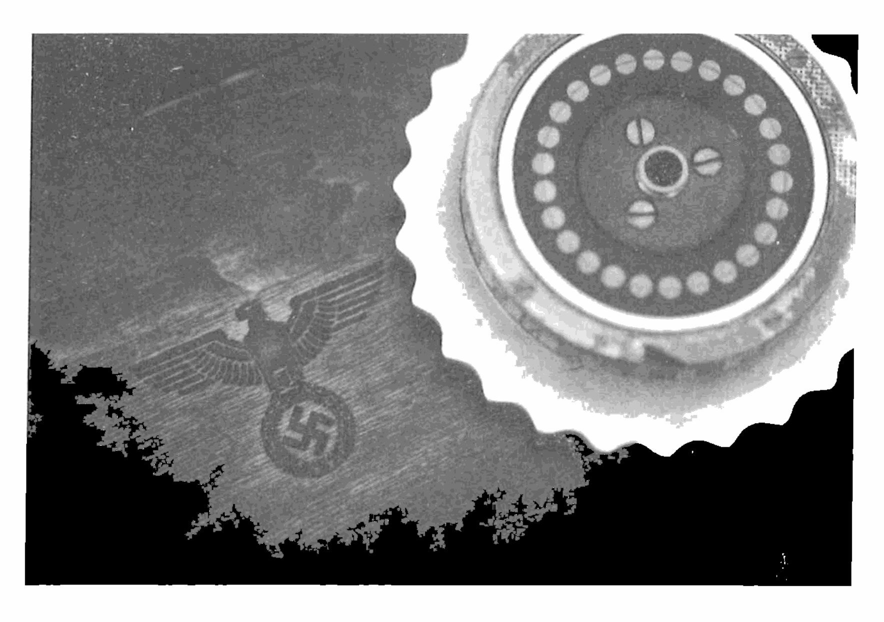
أجهزتها الاستخبارية عن فك تعمية شيفرة إنجما، فقد كان فك شيفرة إنجما أقرب إلى الاستحالة، فقد كان الألمان يغيرون الشيفرة المستخدمة في منتصف كل ليلة، ويرسلون أول رسائلهم في السادسة صباحًا، وهذا يعني أن على تلك الأجهزة أن تجرب خلال **16** ساعة فقط أكثر من **150** مليون احتمال لفك شيفرة يوم واحد فقط.

ومع اجتياح هتلر للقارة الأوروبية باستراتيجية «حرب البرق» «**Blitzkrieg**» التي اتبعها، وتوالي تدمير السفن البريطانية من قبل غواصات النازيين، كشف جهاز الاستخبارات الخارجية البريطانية «إم آي **6**» «**MI6**» من عمله في فترة الحرب لفك تعمية شيفرة إنجما،

وتـم تشـكيل فريـق سـري مكـون مـن أبـرز عبـاقرة بريطانيـا وعلمائها ومختصي اللغات المشفرة، وكان التوجيه الاستراتيجي الـذي كُلّف بـه هذا الفريق هو: كسر شيفرة إنجما.

وبعـد سـنوات مـن العمـل السـري المكثـف، تمكـن هـذا الفريـق السري بالفعل من فك تعمية شيفرة إنجما، الأمر الذي أدى لانكشاف مواقع جميع الغواصات الألمانيـة في العـالم، ومـنح بريطانيـا كـنزمـن المعلومـات الاسـتخباراتية السـرية عـن النـازيين وجواسيسـهم وخططهـم العسـكرية، فتحولـت لحظـة فـك تعميـة شـفرة إنجمـا إلى نقطـة فاصـلة في تـاريخ الحـرب الثانيـة، فقـد انقلبـت معـه المعادلـة لصالح دول الحلفـاء، بعـد أن سـرب البريطـانيون المعلومـات السـرية الـتي كـانوا يحصـلون عليهـا إلى بقيـة دول الحلفـاء، فسـاهمت هـذه المعلومات في تغيير مسار الحرب في العديد من المعارك الحاسـمة الـتي وقعت في أواخر الحرب العالمية الثانية، مثل عملية فك حصار «لينـين غراد»، وعملية الإنزال الحاسمة لقوات الحلفاء في نورماندي المعروفـة بـ «العملية نبتون» «**Operation Neptune**»، ويقدر المؤرخون أن فك البريطـانيين لتعميـة شـيفرة إنجمـا سـاهم في تقصـيرزمـن الحـرب العالمية الثانية في أوروبا لما يزيد عـن عـامين، وإنقـاذ حيـاة **14** مليـون إنسـان، وقـد تكتمـت أجهـزة المخـابرات البريطانيـة عـن هـذه العمليـة لعقـود طويلـة تلـت الحـرب العالميـة الثانيـة، وذلـك لكـي يعيـدوا إلى

استخدام نفس العملية السرية في حالة قيام حرب عالمية ثالثة محتملة، ولم تكشف عن تفاصيلها حتى وقت قريب.



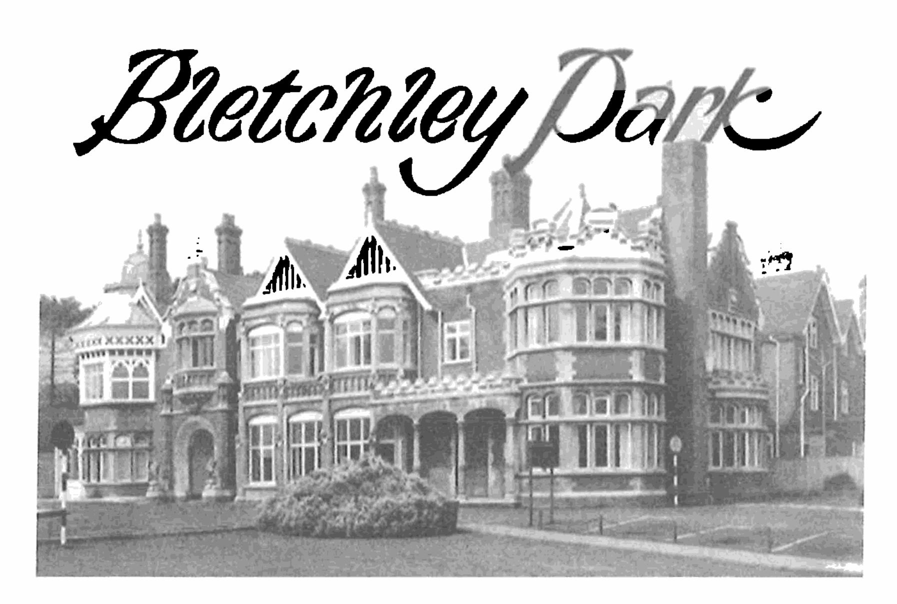
- حسنًا، الآن اشرح لي من فضلك علاقة لغز التفاحة وسر آريوس بهذه القصة وما هو معنى الرموز فيها.

- كما قال البروفيسور توماس بريستلي فإن أمي رحمها الله فإن اختيار أمي للرموز في لغز التفاحة كان في غاية الذكاء والدقة، فهي ترمز إلى عدة أشياء في نفس الوقت، فرسم التفاحة في اللغز يشير بالأساس إلى العالم الإنجليزي الشهير نيوتن الذي كان موحدًا، وفي نفس الوقت تشير نفس التفاحة إلى أحد أبرز أعضاء الفريق السري الذي شكلته

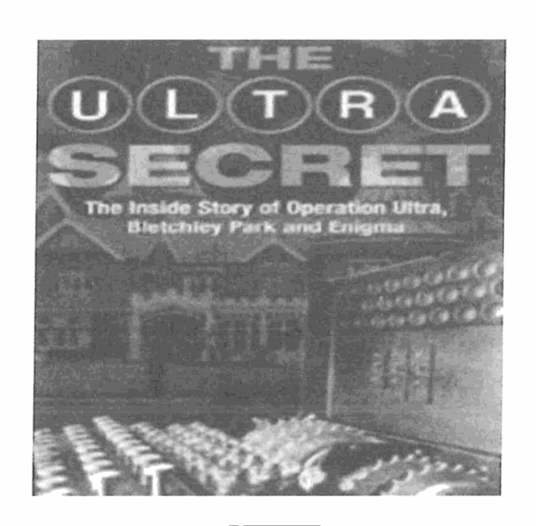
الاستخبارات البريطانية لفك تعمية شيفرة إنجما، العالم الإنجليزي العبقري «ألان ماثيسون تورنج» «**Alan Mathison Turing**»، وهو رائد علم الحاسوب «الكمبيوتر» والذكاء الاصطناعي، ورياضياتي، وعالم منطق، وعالم تحليل شفرات، وعالم بيولوجيا نظرية، وقد كان له تأثير عظيم في تطور علوم الحاسوب النظرية، وهو الذي اخترع الجهاز الذي يمكن أن يعتبر كأول حاسوب في التاريخ والمعروف باسمه «آلة تورنغ»، وقد مات هذا العالم منتحرًا عام **1954** عن طريق قضمه لتفاحة مسمومة بالسيانيد، وقد أثيرت شائعات أن رمز التفاحة المقضومة الذي تتخذه شركة أبل «**Apple**» الأمريكية كشعار لها مستوحى من هذه القصة للإشارة إلى رائد علم الحاسوب ألان تورنج، ولكن الأرجح أن التفاحة تشير إلى عالم الفيزياء الشهير إسحق نيوتن، وقد ظهر ذلك بوضوح في أول شعار للشركة عام **1976**.



أما بالنسبة للحرف X المرسوم داخل التفاحة في اللغز فيشير إلى أن هناك أمرًا مجهولًا يتعلق بهذه التفاحة، فالرمز X كما تعلم يشير في الرياضيات إلى القيمة المجهولة، وهو ما يقابله بالعربية الرمز «س»، وفي نفس الوقت يشير هذا الرمز إلى «حديقة بلتشلي» «**Bletchley Park**»، وهي حديقة موجودة في مدينة بلتشلي في بريطانيا، حيث كانت خلال الحرب العالمية الثانية المقر السري لعمليات فك الشيفرة في المملكة المتحدة، وفي هذه الحديقة تم فك تعمية الشيفرة السرية إنجما، وقد كان الاسم الرمزي لهذه الحديقة في جهاز الاستخبارات البريطانية «المحطة إكس» «**Station X**».



أما بالنسبة للشكل المقعر الذي وضعت به التفاحة في اللغز والذي يشبه الحرف اللاتيني U فيشير إلى الكلمة «ألترا» «**Ultra**»، هو الاسم الذي اختارته الاستخبارات العسكرية البريطانية للمعلومات التي تم التوصل إليها من عملية فك تعمية شيفرة إنجما النازية، والتي أصبحت أكبر مخزن للمعلومات الاستخباراتية العسكرية في تاريخ البشرية على الإطلاق، وقد كانت أجهزة المخابرات البريطانية تطلق على المعلومات المصنفة بأعلى درجات السرية اسم «الأكثر سرية» «**Most Secret**»، ولكن المعلومات التي حصل البريطانيون عليها من إنجما كانت أكثر سرية من أي شيء آخر، لذلك أطلقوا عليها اسم «ألترا» «**Ultra**»، وتعني «الفائق»، أي أن هذه المعلومات تفوق درجة سريتها كل المعلومات السرية الأخرى.



- نضال، أتذكر أنه كان لك شرح إضافي لهذا الحرف!

- هذا الشكل المقعر يا عبد العزيز يمكن أن يرمز أيضًا للاحتواء، أي أن للتفاحة سر دفين مخفي داخل هذا الشكل، وهو ما قد يرمز للخفاء أو التعمية أو الشيفرة.

- بالضبط هذا ما كنت أفكر فيه! قال عبد العزيز بصوت خافت وهو يتأمل في رسم اللغز.

- ما الذي تفكر فيه يا عبد العزيز؟

- أقصد ماذا لو كانت هناك بعض الخيوط الخفية في لغز التفاحة التي يمكن أن ترشدنا إلى مكان كنز الفاندال؟!

- خيوط خفية؟! لا أعتقد ذلك، ولا أظن أن رموز هذا اللغز القليلة يمكن أن تحتمل أكثر من هذا التفسير، لقد دلنا لغز التفاحة إلى فك تعمية الشيفرة الموجودة أسفل منه والتي أرشدتنا بدورها إلى فحوى اللغز وهو كنز الفاندال الدفين الموجود في هذا المكان.

- ولكن يا 101 أنت من أخبرني في بداية مغامرتنا في البحث عن لغز بربروسا أن الشيء الواحد قد يظهر للشخص نفسه بشكل مختلف مع مرور الوقت، أي أن معنى الرمز يمكن أن يتغير وفقًا للمعطيات الجديدة التي تستجد مع الوقت، فلماذا تستبعد على شخص عبقري مثل أمك أن تكون قد وضعت لغزًا في غاية الدقة به خيوط خفية تنكشف مع الوقت؟! وقد رأينا ذلك في السابق عندما

تَكشَّفت في سر آريوس معاني جديدة لرموز موجودة بالفعل في لغز بريروسا لم نكن قد رأيناها بشكل واضح في السابق، نفس الشيء يمكن أن يتكرر هذه المرة أيضًا في كنز الفاندال!

- أخبرني بما يجول في رأسك يا عبد العزيز!

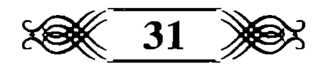
- حسنًا، أعتقد أن رموز لغز التفاحة مرتبطة بشكل أو بآخر برموز كنز الفاندال والرسالة التي تدل عليه، فعلامة X المرسومة على التفاحة قد تكون مرتبطة بعلامة X التي تتحدث عنها أسطورة قسطنطين، والتفاحة المخفية داخل الشكل المقعر U قد تكون مرتبطة بكنز الفاندال الدفين، وربما كانت هذه التفاحة تشير إلى الثمرة التي يحصدها الشخص بعد عناء، ربما كانت تعني الكنز أو أي شيء آخر من هذا القبيل، أو أن ...

توقف عبد العزيز عن الكلام، بعد أن فوجئ بصديقه نضال ينهض من مكانه دون أن يعلق على كلامه، ليحوم بخطوات بطيئة حول التمثال، وهو يقلب ناظريه في الورقة التي تحتوي على لغز التفاحة، متمتمًا بهذه الكلمات:

«ابدأ مجدك من هنا، ابدأ حربك من هنا، بواسطة هذا تفتح،

كنز الفاندال الأسطوري»

وبقي نضال على هذه الحالة لنحو خمس دقائق يردد هذه



الكلمات، وعبد العزيز ينظر عليه باستغراب، حتى توقف فجأة في مكانه وهو ينظر إلى تمثال الإمبراطور قسطنطين العظيم، والتفت بعدها إلى صديقه وقد اعتلت وجهه ابتسامة عريضة، ليقول له:

- عبد العزيز... أنت عبقري!



العثور على خريطة الكنز

X

- هل توصلت إلى شيء جديد يا نضال؟! سأل عبد العزيز بترقب.

اتسعت عينا نضال وهو ينظر بسعادة إلى عبد العزيز، ثم اقترب منه ليضع يده اليمنى على كتف صديقه قائلًا:

- صديقي العزيز عبد العزيز، كنت أظن نفسي خبيرًا في تحليل لغة الرموز، ولكنني اكتشفت الآن أنك تفوقني بمراحل في تحليلك!

ابتسم عبد العزيز بسعادة قائلًا:

- يبدو أن رفقتي لك في مغامراتك المجنونة لحل ألغاز أمك المعقدة قد جعلت مني عبقريًا مثلك. والآن دع عنك هذه المجاملات وأخبرني ما الذي وجدته؟

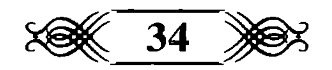


- حسنًا، هل تتذكر عندما وصلنا إلى هذا المكان وأخبرتك أن الحرب مع المجرمين الذين قتلوا أفراد عائلتي قد بدأت بالفعل؟ حينها كان لدي إحساس بأن عبارة «ابدأ حربك من هنا» التي تركتها أمي في رسالتها لم تكن فقط للدلالة على هذا المكان الذي بدأ منه قسطنطين حربه، بل كانت موجهة لي أيضًا، ولكن اندفاعي لهذه الحرب ورغبتي بالانتقام من هؤلاء الأوغاد عملت على تركيزي على هذه العبارة فقط دون غيرها من العبارات والرموز الواردة في لغز التفاحة.

- هذا أمر طبيعي يا نضال، مشاعر الإنسان تجعله في بعض الأحيان لا يرى أمورًا قد تكون واضحة له لو أنه نظر إليها بعين مجردة من العواطف!

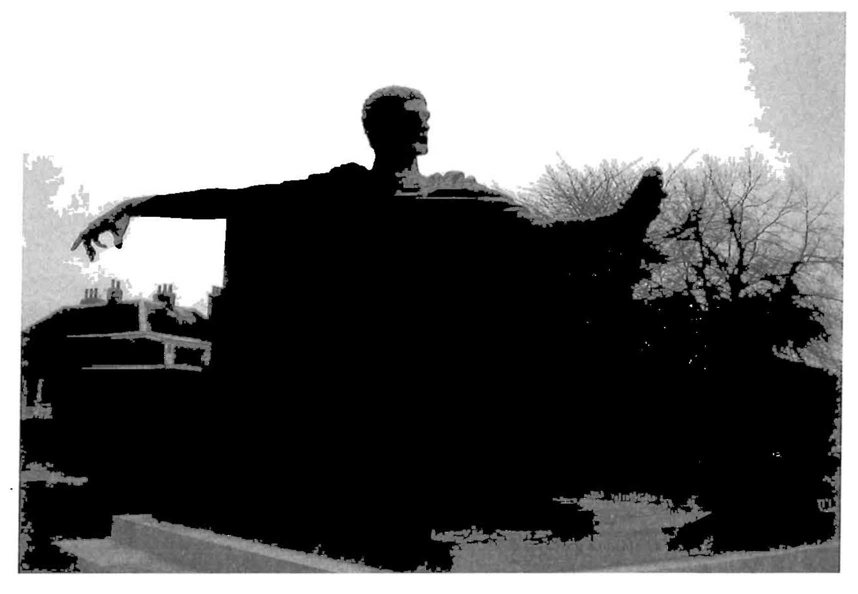
- بالفعل، فدلالة الرموز وارتباطاتها ببعضها البعض واضحة، فالشكل المقعر أو الحرف U يشير إلى مكان تختفي في داخله التفاحة أو الثمرة التي قد ترمز إلى خريطة الكنز، فهذا يعني أن الخريطة موجودة في مكان ما تحت الأرض، أما حرف X فهو يشير إلى المكان الذي تختفي فيه خريطة الكنز، فعلامة X تستخدم في الخرائط لتحديد الأماكن المختلفة، أو حتى عند تصويب سهم إلى تفاحة أو أي جسم آخر، فإنه غالبًا ما توضع علامة X على الهدف المراد توجيه السهم إليه، تمامًا كما هو مرسوم في لغز التفاحة.

- هل هذا يعني أن الخريطة مدفونة أسفل تمثال الإمبراطور



قسطنطين العظيم؟ تساءل عبد العزيز بلهفة.

- هذا أمر مستبعد، فهذا التمثال تم بناؤه حديثًا في منتصف تسعينات القرن الماضي، وبالتأكيد تم الحفر تحته لأمتار أثناء وضع أساساته، ولو افترضنا أن أمي من أخفى خريطة الكنز، فمن المستحيل أن تكون قد حفرت تحت التمثال في هذا المكان السياحي دون أن يلاحظها أحد، وأعتقد أن الحل يكمن في الرمز X الذي يشير إلى المكان الذي ينبغي التوجه إليه، هذا الرمز مرتبط بعبارة «بهذا تفتح» التي وردت في الرسالة، فهذه العبارة ترمز أيضًا للحرف X كما جاء في الأسطورة، لذلك فإن الذي سيدلنا على هذا المكان الخفي هو قسطنطين نفسه!



نظر عبد العزيز إلى وجه تمثال قسطنطين وقد انعكس عليه نور القمر، وقد لاحظ أن عينيه تنظران إلى مكان ما في أرض ساحة الكاتدرائية، ثم قال:

- إذا فالكنز مدفون في هذا المكان الذي ينظر إليه قسطنطين؟

- عبد العزيز، يبدو أنك لم تلاحظ هذا!

استدار نضال حول تمثال قسطنطين ونظر إلى يد الإمبراطور اليمنى وقد بدا إصبع السبابة في كفها وكأنه يشير إلى مكان ما نحو أرضية الساحة حيث توجد فتحة صغيرة لتصريف مياه الأمطار، ثم نظر إلى عبد العزيز قائلًا:

- أعتقد أننا وجدنا مكان خريطة كنز الفاندال يا صديقي!



لغز الحلقات العشر

كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة من بعد منتصف الليل عندما كان نضال وعبد العزيز يجلسان على مقعديهما في القطار الليلي المتوجه إلى العاصمة لندن، وقد أمسك نضال بيده اليمنى برسالة ملفوفة من الجلد وهو يتأمل فيها بصمت دون أن يقدم على فتحها.

- كانت فكرة ذكية من أملك أن تحفظ هذه الورقة داخل قنينة بلاستيكية مغلقة تحفظها من مياه الأمطار التي تصب في تلك الفتحة،

وفي نفس الوقت ربط القنينة بغطاء الفتحة من أسفل بحيث لا تنجرف في مجرى المياه تحت الأرض، ولكن يا نضال إلى متى ستظل ماسكًا بهذه الورقة دون أن تفتحها؟! لقد تكبدنا الكثير من التعب للعثور عليها، والآن وبعد أن صارت بين يديك، ما زلت مترددًا في فتحها!

- لا أخفيك يا عبد العزيز أنني خائف مما قد تحتويه هذه الورقة!

- خائف؟ خائف من ماذا؟!

- .من الفشل! ماذا إن فشلت؟ ماذا إن احتوت هذه الورقة على لغز جديد قد لا أتمكن من حله؟!

- أتعرف ما هو الفشل يا صديقي؟

«الفشل هو ذلك الوحش الوهمي الذي يحاول منعك
من البدء بالمسير في طريق النجاح!»

- وماذا لو لم أنجح في نهاية الطريق؟

- على الأقل تكون وقتها قد نلت شرف المحاولة وقمت بكل ما في وسعك، بدلًا من العيش بقية عمرك نادمًا من عدم قيامك بتلك المحاولة. ولكن لماذا تفكر الآن بمثل هذه الأمور الغريبة؟ تساءل عبد العزيز.

- لا أعلم بالتحديد، ربما لأنني تعبت، ربما لأن التفكير يكاد يقتلني، فأنا منذ أن وصلتني الورقة التي تحتوي على لغز بربروسا وأنا



ألاحق رموزًا تأخذني من مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، أحيانًا أفكر وأحاول فهم السبب الذي دفع أمي لتعقيد الأمور إلى هذا الحد، وأتساءل في قرارة نفسي لماذا لم تبعث لي بالمعلومات التي امتلكتها بشكل مباشر منذ البداية بدلًا من دفعي للبحث عن معنى هذه الرموز ومطاردة هذه الألغاز التي تستنزف الكثير من الجهد والوقت!

- أنت تعلم أكثر مني يا نضال أن أمك رحمها الله استغرقت سنوات طويلة من حياتها للتوصل إلى ما توصلت إليه، وبالتأكيد فإنها كانت تخشى أن تقع ثمرة جهدها بأيدي قراصنة القديس يوحنا، وعلى ما يبدو أنها قامت بإخفائها بهذه الطريقة لكي تجعل الوصول إليها مقصورًا على شخص واحد فقط، هو أنت!

- ولكن كيف تأكدت من مقدرتي على إيجاد ما أخفته؟! ماذا لو لم أتمكن من حل جميع ألغازها المعقدة؟!

- لا أعلم بالضبط ماذا كان يدور في رأسها حينما فكرت بهذه الطريقة، ولكن من الواضح أنها كانت مؤمنة بك وبإمكانياتك، فكما ظهر من رسالتها الصوتية التي تركتها في نهاية لغز بربروسا، كانت أمك تتابعك منذ صغرك، وعلى الرغم من وجودها في مكان آخر، كانت على اطلاع كامل بكل أمور حياتك، وكانت هي من تبعث بالألغاز إلى عمتك لكي تدربك عليها منذ نعومة أظافرك، لذلك يبدو أنها كانت تعلم أنك

متمرس على أسلوبها الخاص، ناهيك عن معرفتها أن ابنها أصبح أحد كبار أساتذة «علم الرموز» «**Symbologie**» في العالم، لذلك لا بد أنها كانت واثقة من وصولك إلى حل ألغازها، أو على الأقل كانت على يقين أن تلك المعلومات لن يصل إليها أحد من أولئك الأشرار إذا عجزت أنت من الوصول إليها، أما الآن فدعنا نرى ما تحتويه هذه الرسالة، فأنا في قمة الحماس والفضول.

فتح نضال الرسالة أمام صديقه ببطء، لتظهر عليها رسمة مكونة من رموز عديدة.



- ما هذه الرموز يا نضال؟!

- كما توقعت، هذه الرسالة عبارة عن خريطة تدلنا على مكان الكنز!

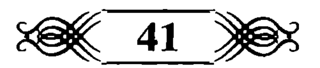
- ولكن لا أرى أمامي أي خريطة جغرافية، كل ما تحتويه الرسمة عبارة عن رموز مبهمة.

- تأمل يا عبد العزيز هذا الشكل في المنتصف، هل يذكرك هذا الشكل برمز تعرفه؟

نظر عبد العزيز بإمعان إلى الشكل الذي أشار إليه نضال، وقد كان شكلًا يتكون قسمه العلوي من خط منحنى على شكل نصف دائرة مفتوحة من أسفل، يتصل بطرفيه خطان يتحدان في أسفل الشكل ليكونا زاوية حادة، تدور حولها دائرة صغيرة من أسفل.



- لا أتذكر أنني شاهدت رمزًا بهذا الشكل؟



- هل أنت متأكد؟ هذا الرمز موجود في هاتفك الجوال وغالبًا ما نستخدمه في تعاملاتنا اليومية!

- أتقصد رمز تحديد الموقع! قال عبد العزيز.

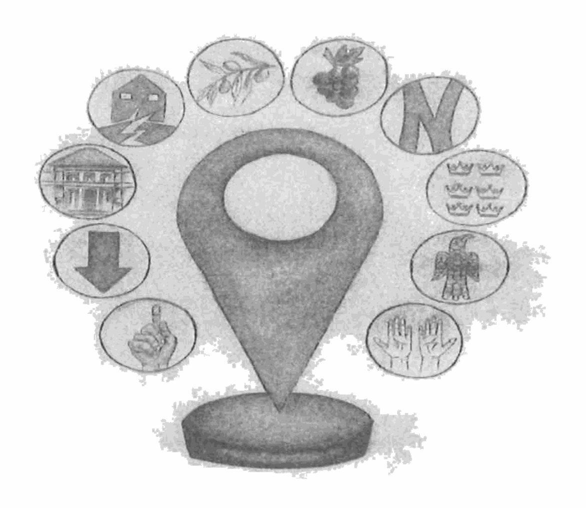
- أحسنت، رمز تحديد الموقع، المعروف برمز «جي بي إس» «**GPS**»، وهي اختصار لمصطلح «**Global Positioning System**»، وتعني «نظام التموضع العالمي»، وهو نظام ملاحة عالمي عبر الأقمار الصناعية، وضعته الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب الباردة في القرن الماضي، حيث بدأت في هذا المشروع عام **1973**، ثم أدخلت عليه تطويرات عبر الأقمار الصناعية يقوم بتوفير معلومات عن الموقع والوقت في جميع الأحوال الجوية في أي مكان على أو بالقرب من الأرض، لضرب أهدافها العسكرية بدقة.

- أتقصد أن هذا النظام الذي نستخدمه في هواتفنا المحمولة كان بالأساس نظامًا لضرب الصواريخ؟

- أنشئ هذا النظام أساسًا أثناء الحرب الباردة لأغراض عسكرية بحتة، وذلك لتوفير نظام ملاحي للجيش الأمريكي وحلفائه لمساعدة الطائرات والقطع البحرية للوصول لأهدافها في مختلف الأحوال الجوية، ولم يكن استخدام هذا النظام سهلًا كما هو الحال اليوم يا عبد العزيز، فقد كانت الأجهزة الأولى لهذا النظام أضخم مما يمكن

لجندي المشاة حمله بالسهولة اللازمة، وفيما بعد تم تطوير النظام للاستخدام في الأسلحة الموجهة.

- وماذا عن هذه الحلقات العشر التي تعلو هذا الرمز؟ تساءل عبد العزيز.



- لكي نفهم رمزية هذه الحلقات، ينبغي علينا أولًا فهم طبيعة عمل نظام التموضع العالمي «جي بي إس»، فهذا النظام يعتمد على عدة أقمار صناعية موزعة في أماكن مختلفة في الفضاء، وإحداثيات أي موقع على الأرض ما هي إلا نتاج للمعلومات المرسلة من تلك الأقمار الصناعية، بمعنى آخر أن المعلومات الموجودة في تلك الأقمار الصناعية هي من تحدد الموقع في نهاية الأمر.

- هل تقصد أن تلك الحلقات العشر الموجودة في الأعلى هي بمثابة الأقمار الصناعية التي تحدد الموقع الذي نبحث عنه؟

- بالضبط يا عبد العزيز، هذه الحلقات العشر في الأعلى ترمز إلى الأقمار الصناعية في الفضاء التي من خلالها سيتم تحديد إحداثيات موقع الكنز، فتحديد إحداثيات أي موقع على الأرض يتطلب إشارات مرسلة من أكثر من قمر صناعي، وللوصول إلى موقع كنز الفاندال ينبغي علينا أولًا معرفة كل ما تحتويه هذه الرموز الموجودة داخل الحلقات.

- إذا فنحن على موعد مع مغامرة جديد لحل لغز الحلقات العشر!

- لغز الحلقات العشر؟! هل هذا هو الاسم الذي اخترته لهذا اللغز؟

رد عبد العزيز مبتسمًا:

- بعد «اللغز بربروسا» و«اللغز التفاحة»، أرى أن يكون «اللغز الحلقات العشر» هو اسم هذا اللغز الجديد، فهو اسم يحتوي على إثارة أكثر من سابقيه، ويناسب رحلات البحث عن الكنوز وأجواء الغموض التي ترافقها، ولكن من أي حلقة من الحلقات العشر ينبغي علينا أن نبدأ البحث يا **101**؟

- بالتأكيد من أول حلقة من اليسار. أجاب نضال دون تردد.

- وكيف تأكدت من هذا الأمر؟ لماذا لا نبدأ من اليمين كعادتنا؟

- في مثل هذه المسائل لا ينبغي التفكير بهذه الطريقة، بل يجب



الأخذ بالدليل والحجة، وهناك عدة إشارات تشير إلى ضرورة البدء من الرمز الموجود في أقصى اليسار.

- وما هي هذه الإشارات؟

- أولًا أن هذا الرمز هو عبارة عن شكل لكف يد مرفوع بها إصبع واحد هو إصبع السبابة، بينما الشكل في أقصى اليمين يتكون من يدين تبرز بها الأصابع العشر، وهذه إشارة قوية أن رحلتنا ستبدأ من الحلقة الأولى في اليسار وتنتهي في الحلقة العاشرة في اليمين. ثانيًا أن هذا الرمز له علاقة كبيرة بالمكان الذي وجدنا فيه خريطة كنز الفاندال في مدينة يورك.

- أتقصد أن هذا الإصبع له علاقة بتمثال الإمبراطور قسطنطين العظيم في مدينة يورك حيث كان يشير بإصبع السبابة إلى مكان الخريطة؟

- هذا صحيح، ولكن ليس هذا هو كل شيء، فهناك إشارات أخرى سأخبرك بها لاحقًا، ولكن هناك ما ينبغي علينا القيام بها أولًا، أريد منك الآن أن تبحث مباشرة من خلال هاتفك الجوال على أقرب رحلة طيران إلى المغرب، وتحجز لنفسك تذكرة إلى مدينة الدار البيضاء، فهناك شيء مهم أريد منك القيام به هناك.

- وما هو هذا الشيء؟

- هل تتذكر ذلك المكان الشعبي الذي أخذتني إليه في الدار البيضاء لتنصيب بعض برامج الحاسوب القديمة على جهازي؟

- أتقصد سوق «درب غلف» في الدار البيضاء الذي يتجمع فيه

أباطرة تكنولوجيا الحاسوب وأقوى قراصنة الإنترنت في العالم بأسره؟ سأل عبد العزيز وهو يبتسم.

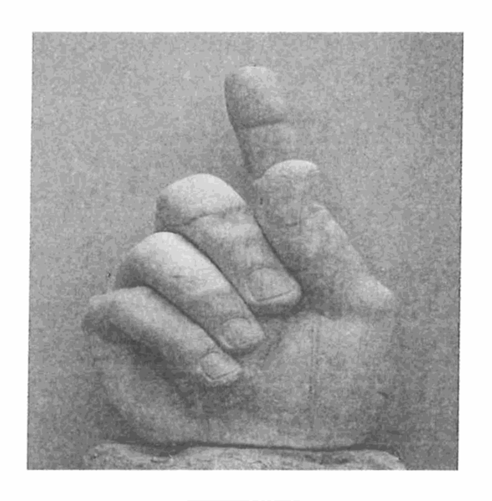
- هو بعينه، أريدك أن تذهب هناك في مهمة مستعجلة.

- وماذا عنك يا نضال؟ لماذا لا تسافر معي؟!

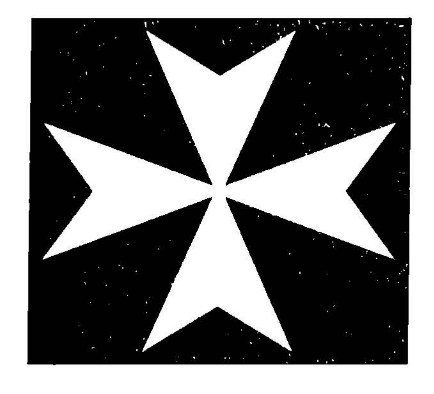
- في فترة سفرك إلى المغرب سأقوم أنا بعدة أمور مهمة للتحضير لهذه الحرب المصيرية التي بدأناها بالفعل منذ ساعات، وبعد أن ينتهي كل منا من مهمته، نلتقي إن شاء الله في المكان الذي بدأت منه حكاية كنز الفاندال الأسطوري منذ ما يزيد عن **1500** سنة، مدينة روما الإيطالية.

- ولكن لماذا روما؟ تساءل عبد العزيز.

- هناك يا صديقي سنبدأ مغامرتنا بالبحث في أقدم متحف في العالم عن أولى الحلقات العشر لهذا اللغز!



الصفقـة



استقل نضال طائرة متوجهة إلى مالطا، وفور وصوله إلى العاصمة المالطية «فاليتا» «Valletta» توجه مباشرة إلى قصر تاريخي كبير يقع في أطراف المدينة، هذا القصر تشير جدرانه الضخمة التي تحيط بها تماثيل حجرية لمخلوقات مرعبة أنه يعود إلى حقبة القرون الوسطى، وعلى مدخل هذا القصر وضعت لافتة كبيرة مكتوب عليها بعدة لغات عالمية: «المقر العالمي لمنظمة القديس يوحنا الخيرية»، وقد نقش أسفل منها الصليب المميز الذي ما زالت تستخدمه هذه المنظمة منذ زمن الحروب الصليبية، وعند دخوله إلى

بهو القصر أخبر نضال موظف الاستعلامات أنه يريد مقابلة رئيس المنظمة شخصيًا، فاعتذر منه الموظف وأخبره بأن مقابلة الرئيس تتطلب موعدًا مسبقًا، ولكن نضال طلب من الموظف أن يبلغ المسؤولين أن اسمه نضال بدوي وأنه ابن عالمة التاريخ الفلسطينية عائشة، وأن لديه شيئًا في غاية الأهمية يريد اطلاع رئيس المنظمة شخصيًا عليه.

وبعد فترة غياب لعشر دقائق تقريبًا، رجع موظف الاستعلامات بخطوات سريعة ومعه رجلين آخرين عظيمي الجثة، وبعد أن قاما بتفتيش نضال تفتيشًا دقيقًا، اصطحباه إلى غرفة في أسفل القصر مكتوب على بابها «الرئيس»، وهناك وجد رجلًا في منتصف الخمسينات من العمر، يلبس بدلة سوداء أنيقة، ودون أن ينظر في وجه نضال، قال له وهو يظهر انشغاله بأعماله من على مكتبه:

- أخبروني أنك تريد مقابلتي لأمر مهم، معك خمس دقائق لعرض ما ترغب به!

ألقى نضال نظرة خاطفة على المكان ثم قال:

- يبدو أن من أخبرك بذلك أراد إضاعة وقتك ووقتي، فقد جئت هنا لمقابلة رئيس المنظمة شخصيًا، وليس لمقابلة شخص آخر يدعي ذلك!

ألقى الرجل الأوراق التي كانت بين يديه، واستند على مقعده ببطء، ونظر إلى نضال وهو يبتسم ابتسامة ساخرة حاول من خلالها إخفاء ارتباكه الواضح من رد نضال المفاجئ، ثم قال:

- السيد نضال بدوي، في العادة لا أقابل أحدًا دون موعد مسبق، لذلك ينبغي عليك أن تكون ممنونًا بأنك تتحدث إلى رئيس منظمة فرسان القديس يوحنا شخصيًا دون سابق موعد.

- لا أعتقد أن منظمة دينية كبيرة وعريقة مثل منظمتكم تختار رئيسًا لها دون السبعين من عمره على أقل تقدير، وحتى لو كان الرئيس في مثل عمرك، فلا أظن أنه في حاجة لارتداء سماعة صغيرة في أذنه مثل هذه التي تضعها في أذنك اليسرى لكي تستمع من خلالها للكلمات التي يتم تلقينك بها لتقولها لي، وعلى أية حال كنت قادمًا لأعرض عليكم صفقة في صالحكم، ولكن يبدو أنكم غير مهتمين بالأمر!

وما أن فرغ نضال من حديثه، حتى نهض من مجلسه بهدوء، ومشى باتجاه الباب مغادرًا المكتب، قبل أن يستوقفه صوت انطلق من خلفه بكلمات عربية ظهرت عليها لكنة أجنبية واضحة:

- يبدو أنك قد ورثت العناد من أمك أيها الشاب!

توقف نضال مباشرة بعد أن سمع تلك الكلمات، ثم استدار

خلفه ليرى بابًا سريًا يُفتح من أحد جدران المكتب، يخرج منه راهب مسن بلحية بيضاء ناصعة البياض، يلبس رداء أسود اللون منقوشًا عليه صليب فرسان القديس يوحنا، متوجهًا بخطوات بطيئة إلى مقعد المكتب، في نفس الوقت قام الرجل الخمسيني من مقعده خلف المكتب وانحنى للراهب الذي مد له يده ليقبلها ويخرج بعد ذلك من المكتب تاركًا نضال والراهب لوحدهما.

- اجلس يا بني، أنا البروفيسور جورج رفايلي رئيس منظمة فرسان القديس يوحنا الخيرية. قال الراهب بصوت أعيته الشيخوخة موجهًا كلامه إلى نضال.

رجع نضال ببطء ليجلس من جديد إلى مقعده أمام المكتب وهو يحدق في قسمات وجه ذلك الراهب المسن ويتأمل في صوته الذي بدا له مألوفًا، ولم تمضِ سوى لحظة قصيرة حتى أدرك أنه نفس ذلك الرجل الأجنبي الذي رآه في طفولته، فعلى الرغم من ما أحدثه الزمن من تغير في الشكل والصوت، إلا أن نضال تذكره مباشرة، فقد كان هذا الرجل هو أول إنسان أجنبي رآه نضال في حياته، لذلك بقي شكله وصوته المميزين محفورًا في ذاكرته، وعند تلك اللحظة، تملكت نضال مشاعر قوية من الغضب والرغبة الجارفة للانتقام من هذا الإنسان الذي عمل على تدمير حياته وحياة عائلته، إلا أنه تمالك نفسه، وسيطر على مشاعره، ثم قال:

- لم أكن أعلم أن رئيس منظمة فرسان القديس يوحنا يتكلم العربية.

- اللغة المالطية هي في حقيقة الأمر مجرد لهجة عربية شبيهة باللهجة التونسية، لقد عاش المسلمون في مالطا لمئات السنين قبل أن نختار هذه الجزيرة لتكون مقرًا لمنظمتنا بعد أن هجرنا سليمان القانوني من جزيرة رودس، لذلك لا تتعجب من معرفتي بالعربية، خاصة أنني سافرت كثيرًا إلى دول عربية أثناء فترة شبابي.

- وسافرت إلى فلسطين أيضًا؟ سأل نضال مظهرًا عدم معرفته بهوية الراهب.

- حسنًا، لقد كنت وقتها طفلًا صغيرًا يا نضال، ولكني قابلت والديك في منزلكم في غزة، كانت أمك باحثة تاريخية تبحث في موضوع تاريخي مهم، وقد راسلتني بصفتي أحد المختصين التاريخيين بنفس الموضوع، وقد نصحتها صادقًا بالتعاون معنا أو التوقف عن الاستمرار في بحثها الذي قد يجلب لها ولعائلتها المتاعب، إلا أنها كانت عنيدة وأصرت على المضي-قدمًا في ذلك، وبعد وفاة أبيك في حادث مأساوي، تظاهرت أمك بالتعاون مع منظمتنا، واستطاعت بعد ذلك خداعنا والاختفاء عن الأنظار لسنين طويلة اعتقدنا فيها أنها قد توفيت، لنكتشف مؤخرًا أنها ما زالت على قيد الحياة، بعد أن تمكنت من اختراق الأرشيف السري للمنظمة والحصول على مستندات مهمة عن طريق

أحد عملائنا المنشقين، قبل أن تختفي من جديد في ظروف غامضة.

- بروفيسور رفايلي، لم أتكبد عناء السفر للوصول إلى مقر منظمتكم في هذه الجزيرة من أجل مناقشة الماضي، أنا هنا من أجل المستقبل!

- ما الذي تقصده بالضبط؟ تساءل الكاهن.

أخرج نضال من حقيبته الورقة التي تحتوي على لغز الحلقات العشر، وعرضها على الكاهن الذي نظر إليها مستغربًا، ثم قال:

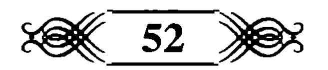
- ما هذه الورقة؟!

- هذه ورقة تركتها لي أمي قبل اختفائها، وهي عبارة عن خريطة على شكل لغز يؤدي حله في نهاية الأمر إلى الوصول إلى إحداثيات الموقع الذي يحتوي على كنز الفاندال الأسطوري!

أخرج الكاهن نظارة طبية من جيب معطفه، وارتداها ليتفحص ورقة اللغز، قبل أن يقاطعه نضال قائلًا:

- بإمكانك الاحتفاظ بها إن شئت، فهو مصمم بلغة رمزية خاصة بيني وبين أمي، وأؤكد لك أنه لا يوجد أحد على وجه الأرض بإمكانه حل هذا اللغز سواي أنا.

- هذه ليست مشكلة، فلدينا طرقنا الخاصة لانتزاع المعلومات التي نريدها من أي شخص نريده!

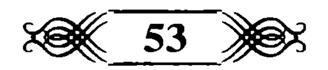


ابتسم نضال، ثم قال للكاهن بعينين واثقتين:

- أتذكر أنك أنت الذي قلت في بداية لقائنا أنني ورثت العناد من أمي، لذلك كن على ثقة يا بروفيسور بأن أي طريقة ستستخدمونها لانتزاع المعلومات مني ستؤول بالفشل، حتى لو كلف ذلك حياتي، ليس فقط لأنني لن أبوح لكم أبدًا بأي شيء لا أرغب بالبوح به، بل أيضًا لأنني حتى الآن لا أملك أي معلومة بهذا الشأن للبوح بها، فحل اللغز يحتاج مني للتنقل بين أماكن عديدة للوصول إلى خيوطه التي لا تنكشف إلا عند معاينة تلك الأماكن بشكل مباشر.

صمت الكاهن للحظة عم السكون فيها أرجاء المكتب، ثم نظر إلى نضال وقال:

- ما هي الصفقة التي جئت من أجلها؟
- جئت لأعرض عليكم تزويدكم بإحداثيات موقع كنز الفاندال.
- وما الذي تريده منا بالمقابل؟
- أريد معرفة مصير أمي!
- أمك اختفت في ظروف غامضة بالمغرب كما أخبرتك سابقًا، والأرجح أنه قد تم اختطافها لسبب ما من قبل تنظيم إرهابي جديد يطلق عليه تنظيم الحشاشين الجدد.
- أعلم ذلك، ما أريده منكم هو معلومات كاملة وموثقة عن



مصيرها، إن كانت ما تزال على قيد الحياة أم لا، وفي جميع الأحوال أريد معلومات كاملة عن المقر السري الذي يستخدمه تنظيم الحشاشين الجدد كمركز لإدارة نشاطاته الإجرامية في العالم.

- هذا التنظيم من أخطر التنظيمات الإرهابية التي ظهرت على الساحة في السنوات الأخيرة، وهو تنظيم سري وغامض لا يعرف أحد مصدر قوته الهائلة التي استطاع من خلالها إنشاء إمبراطورية إجرامية رهيبة في جميع أنحاء العالم في وقت وجيز، لذلك فإن منظمتنا وكثير من المنظمات العريقة الأخرى تتحاشى الاحتكاك مع هذا التنظيم، والبحث عن مصير أمك والحصول على هذه المعلومات الحساسة التي طلبتها يعتبر مخاطرة كبيرة، ولكن كنز الفاندال يستحق المخاطرة من أجله، ولحسن حظك فإن منظمتنا تمتلك شبكة واسعة من العملاء المدربين الذين بإمكانهم الحصول على هذه المعلومات، ولكن...

صمت الكاهن من جديد وأخذ ينظر في عيني نضال بارتياب وكأنه يبحث عن شيء داخلهما.

- ولكن ماذا يا بروفيسور؟

- ما الذي سيضمن لنا أنك ستعطينا الإحداثيات بالفعل، وحتى لو أعطيتنا الإحداثيات ما الذي سيضمن لنا أنها إحداثيات



صحيحة؟ أو أن ما تقوم به مجرد خدعة للحصول على ما تريده من معلومات قبل أن تلوذ بالفرار؟ أو أن تقوم بالتبليغ عن نشاطاتنا السرية مسببًا لنا مشاكل قانونية نحن في غنى عنها؟

بعد أن فرغ الكاهن من كلامه، وضع نضال يده في حقيبته بهدوء، وأخرج منها ملفًا به مجموعة من الأوراق وألقاها على المكتب أمام الكاهن.

- ما هذه الأوراق؟

- هذه هي المستندات التي حصلت عليها أمي من أرشيفكم السري، أرسلتها إلي قبل اختفائها.

- هل هذه أوراق مصورة من المستندات الأصلية؟ سأل الكاهن وهو يقلب بالأوراق بتلهف.

- بل هي المستندات الأصلية بحد ذاتها، المستندات التي تحتوي على تفاصيل كل جرائمكم وعملياتكم السرية في السنين الثلاثين الأخيرة.

- ولماذا تسلمنا هذه الأوراق دون مقابل؟! تساءل الكاهن.

- هذه المستندات مجرد بادرة طيب نية مني لطي صفحة الماضي، لو كنت أريد توريطكم في قضايا قانونية لكنت تصرفت في هذه المستندات الخطيرة التي بين يديك الآن، كان بإمكاني تسليمها لجهات الأمن المختصة أو على الأقل تسريبها للصحافة، ولكني غير

مهتم بهذا الأمر، فكل ما أريده الآن هو معرفة مصير أمي والحصول على السلام الداخلي الذي افتقدته منذ طفولتي، تلك الطفولة البائسة التي لم أخترها أنا وإنما فرضت علي دون إرادة مني، أما الآن وقد كبرت وأصبحت أنا من يختار اختياراتي بنفسي، فقد رأيت أن ما كانت تقوم به أمي معكم مجرد عبث أضاعت به عمرها وعمري معه، وأن الوقت قد حان لإنهاء هذا الأمر، والعيش بسلام إلى الأبد!

قام الكاهن من مكتبه ومشى بخطوات بطيئة باتجاه مقعد نضال، وأخذ يربت على كتفه من خلفه وهو يقول لنضال بصوت:

- ربما تكون عنيدًا وصلبًا مثل أمك، ولكنك بلا شك أذكى منها، فأنت إنسان واقعي، تحب الحياة، وتكره الصدام، وأنت ما تزال شابًا في مقتبل العمر، وبإمكانك الاستمتاع في الحياة بدلًا من القيام بحروب خاسرة تضيع فيها عمرك، وطريقتك الواقعية في التفكير تعجبني، لذلك فأنا أقبل الصفقة التي عرضتها.

قام نضال من مجلسه، ليصافح بها يد الكاهن الذي مدها إليه معلنًا عقد الصفقة، ثم قال:

- لقد صدقت يا بروفيسور، فأسلوبي في الحياة يختلف عن أسلوب أمي كما تفضلت، فقد رحلت أمي عني منذ نعومة أظافري، والشخص الذي تولى تربيتي هي عمتي، وهي التي علمتني في صغري

درسًا من أهم الدروس في حياتي، هذا الدرس جعلني لا أشارك في حرب خاسرة على الإطلاق!

- هذا جميل، يبدو أنها كانت إنسانة واقعية أيضًا، وماذا كان هذا الدرس؟ تساءل الكاهن وهو يصافح نضال مبتسمًا.

نظر نضال إلى ساعته، ثم قال:

- للأسف يا بروفيسور، طائرتي ستقلع بعد قليل، أعدك بأن أخبرك بدرس عمتي عندما نتقابل في المرة القادمة، أما الآن فينبغي أن أغادر إلى المطار بسرعة.

وضع الكاهن يده في جيبه وأخرج بطاقة وأعطاها لنضال قائلًا:

- خذ يا نضال هذه البطاقة التي تحتوي على رقمي الخاص الذي لا يعلمه إلا عدد قليل من المقربين لي، عندما تنتهي من الوصول إلى إحداثيات الكنز، اتصل بي على الفور، وبإرادة الرب، ستكون المعلومات التي طلبتها في حوزتنا عند ذلك الحين.

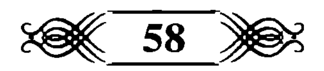
بعد ذلك، غادر نضال قلعة منظمة فرسان القديس يوحنا، وتوجه على الفور إلى المطار مسافرًا إلى العاصمة الإيطالية روما، لكي يلتقي هناك بصديقه عبد العزيز الذي وصل إليها في وقت مبكر من صباح ذلك اليوم، لكي يبدأ الصديقان من هناك مغامرتهما الجديدة في رحلة البحث عن كنز الفاندال المفقود.



في أقدم متحف في العالم

كان نضال وعبد العزيز يمشيان في شوارع مدينة روما القديمة في طريقهما إلى متحف كابيتولين «Musei Capitolini»، حيث يعتقد نضال أن الحلقة الأولى من لغز الحلقات العشر موجودة هناك.

- هل هذا المتحف هو بالفعل أقدم متحف في العالم؟ تساءل عبد العزيز.



- هذا صحيح، فتاريخ هذا المتحف يرجع إلى القرن الخامس عشر، وبالتحديد إلى عام **1471**، عندما تبرع البابا «سيكستوس الرابع» «**Pope Sixtus IV**» بمجموعة لمنحوتات قديمة وهامة لشعب روما.

- وهل كانت تلك المقتنيات ملكًا خاصًا للبابا؟

ابتسم نضال ثم قال:

- في ذلك الوقت من العصور المظلمة التي مرت بها أوروبا كان الباباوات يمتلكون كل شيء بحكم سيطرة الكنيسة المطلقة على البشر، لذلك فقد اعتبرت كل أملاك الدولة ملكًا خاصًا للبابا يتصرف بها كيفما يشاء.

- وهل كل ما هو موجود في المتحف يعود إلى تلك الفترة؟

- على مدى مئات السنين من وجود المتحف أضيفت إلى مقتنيات المتحف العديد من التحف والآثار التي تم جمعها واكتشافها، فضمت جدران المتحف العديد من النقوش الرومانية القديمة، والتماثيل، ومجموعة كبيرة من منحوتات زمن النهضة والفن في العصور الوسطى، ومجموعة كبيرة من القطع النقدية والمجوهرات الثمينة، وتحف أخرى تعود للعصر البرونزي ما قبل التاريخ، لذلك فإن هذا المتحف هو في الواقع ليس متحفًا واحدًا، وإنما مجموعة من

المتاحف التي تقع على تل كابيتوليني في روما، لذلك فاسمه الرسمي «متاحف كابيتوليني» بالإيطالية «**Musei Capitolini**» وبالإنجليزية «**The Capitoline Museums**».

- يبدو أن كلمة متحف تتشابه في لفظتها في كثير من اللغات الأوروبية، فكلمة متحف بالفرنسية هي «**Musée**». علق عبد العزيز.

- هذا يعود لأن جميع هذه الكلمات مشتقة من أصلها الإغريقي «موزيون»، وهو المكان الذي كانوا يعبدون به الميوزات.

- وما هي الميوزات؟

- الميوزات «**Muses**» هي آلهة الإلهام عن الإغريق القدماء، وهن تسع أخوات، اعتقد الإغريق حسب الميثولوجيا اليونانية القديمة، أي حسب أساطيرهم، أن كل واحدة منهن إلاهة مختصة بنوع من أنواع الفنون والشعر والعلوم، فهناك إلهة الشعر الملحمي، وإلهة الشعر الغنائي، وإلهة الشعر الغزلي، وإلهة الترانيم والأغاني الدينية، وإلهة الأغاني التي تغنى بشكل جماعي، وإلهة العلوم الفلكية، وإلهة التاريخ، وإلهة التراجيديا، وإلهة الكوميديا، وقد عبد قدامى الإغريق الميوزات التسع طلبًا للإلهام، ولإبراز أعمالهم بشكل مميز، وكانوا يعتقدون أنهن تابعات لمعبودهم الشهير أبولو الذي كان...

توقف نضال عن الحديث عندما لاحظ أن عبد العزيز ينظر إليه باستغراب.



- لماذا تنظر إلي بهذه الطريقة؟!

- كنت أتساءل في الماضي كيف لشاب مثلك في مقتبل العمر أن ينسى مفاتيحه أو معطفه أو أي شيء من متعلقاته الشخصية بعد كل زيارة لي في شقتي، ولكن بعد مرافقتي لك عن قرب في هذه المغامرة، واطلاعي على حجم المعلومات المهمة وغير المهمة التي تخزنها ذاكرتك، أصبحت أتفهم حالتك الصعبة يا صديقي! قال عبد العزيز وهو يضحك.

- كان يجب عليك أن تسافر معي منذ زمن، فالسفر من الأمور التي تكشف لك حقيقة صاحبك عن قرب. رد نضال مبتسمًا.

- بالمناسبة يا نضال، كيف تأكدت أن الحلقة الأولى من لغز الحلقات العشر موجودة في هذا المتحف؟

- لست متأكدًا تمامًا من هذا الأمر، وإنما هو مجرد ترجيح لبعض الدلائل، فكما أخبرتك سابقًا فإن موطن كنز الفاندال هو روما، لذلك فمن الطبيعي أن نبدأ من حيث بدأت حكاية الكنز، إضافة لذلك فإن الحلقة الأولى من اليسار تشير إلى إصبع السبابة، بينما الحلقة العاشرة تشيع إلى يدين بعشرة أصابع، ومن المحتمل أن يكون هذا الأمر دلالة على ترتيب تصاعدي للحلقات العشر، إضافة لذلك فإن إصبع السبابة في تمثال قسطنطين العظيم في يورك كان هو العلامة الفارقة التي دلتنا على مكان الورقة التي تحتوي على لغز الحلقات العشر، أضف إلى هذا كله فإن المكان الذي أرجح أن يكون هو

مكان الحلقة الأولى في اللغز هو تمثال للإمبراطور قسطنطين أيضًا، وهذه إشارة للعلاقة بينه وبين تمثال قسطنطين في مدينة يورك حيث وجدنا ورقة اللغز.

- من المؤكد أن هناك الكثير من التماثيل لقسطنطين منتشرة في أماكن مختلفة في روما وغيرها، لماذا اخترت البحث عند هذا التمثال بالذات؟

- هذا التمثال ليس كباقي التماثيل، فهو عبارة عن «كولوسوس» «**Colossus**» وتعني «تمثال عملاق» أو «تمثال ضخم»، يبلغ ارتفاعه **12** مترًا، بينما يبلغ ارتفاع الرأس وحدها مترين ونصف المتر تقريبًا، المثير في هذا التمثال أن اليد اليمنى لقسطنطين تشير إلى أعلى بإصبع السبابة، تمامًا كالإشارة الموجودة في الحلقة الأولى، وإذا صح ظني، فإن الأرقام الأولى من إحداثيات كنز الفاندال موجودة عند هذه اليد.

- مستحيل! هذا يعني أنه يجب علينا أن نتسلق إلى أكثر من **12** مترًا لكي نصل إلى ذلك سبابة ذلك التمثال دون أن نلفت الأنظار!

صاح عبد العزيز مصدومًا.

ابتسم نضال ثم قال:

- بالتأكيد لا، فهذا التمثال العملاق لم يعد على حاله الأولى، فقد تفككت أجزاء التمثال ونهب الجزء البرونزي، ولم تبقَ منه غير

بعض الأجزاء القليلة التي لم يطمع بها اللصوص لأنها مصنوعة من الرخام، مثل الرأس واليد والقدم، قبل أن ينقل الفنان الإيطالي الشهير «مايكل أنجلو» «**Michelangelo**» هذه الأجزاء من مكانها الأصلي في إحدى كنائس روما القديمة حيث بني التمثال، إلى أحد مداخل متحف كابيتوليني حيث تقع الآن، لذلك لا تقلق، فيد التمثال مثبتة على قاعدة حجرية على ارتفاع منخفض.

- وهل هذه هي كل الدلائل التي استنتجت منها أن هذا التمثال هو مكان الحلقة الأولى من حلقات اللغز؟

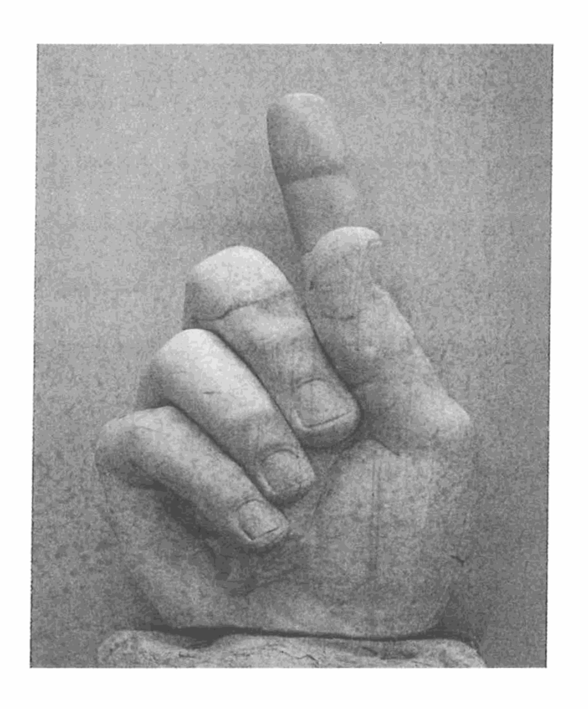


- هناك أمر لا أعرف إن كانت أمي قد فكرت به أم لا عندما وضعت لغزها، فهذه الإشارة تشبه الإشارة التي يستخدمها المسلمون الموحدون في صلاتهم، وحكاية كنز الفاندال وقبائل الفاندال عمومًا هي في حقيقة الأمر جزء لا يتجزأ من الحكاية الأكبر والأعظم، وهي حكاية الموحدين من أتباع المسيح، أو كما كان يطلق عليهم في ذلك الوقت الأريسيين أو الأريوسيين «The Arians»، فحرب الفاندال وغيرها من الحروب التي وقعت في ذلك الزمن بين الإمبراطورية الرومانية وكثير من القبائل الأوروبية الأريسية كانت في واقع الأمر حروبًا دينية شنها الرومان المثلثون على هؤلاء الأوربيين الموحدين الذين رفضوا سيطرة الرومان عليهم، لذلك قامت جيوش الإمبراطورية البيزنطية المثلثة على مدى عشرات السنوات بشن حرب شعواء على قبائل الفاندال ومن معهم من القبائل الأوروبية الموحدة، فقد كان العامل الديني من أهم أسباب الحروب الطويلة بين الرومان وتلك القبائل الجرمانية على حد وصف المؤرخ الكاثوليكي جريجوري أوف تورس «GregoryofTours»، أي أن تلك الحروب كانت حروب شنها الرومان المثلثون على الأريسيين الموحدين.

وما أن فرغ نضال من شرحه التاريخي، حتى وصل الصديقان أخيرًا إلى الموقع الذي يحتوي على أجزاء تمثال الإمبراطور قسطنطين

العظيم في متحف الكابيتوليني، وقد كانت تلك الأجزاء قائمة على جدران أحد مباني المتحف الخارجية.

- هل تم نحت هذا الإصبع في تمثال قسطنطين بهذا الشكل للدلالة على توحيد الإمبراطور لله؟ سأل عبد العزيز وهو يقف أمام اليد العملاقة للتمثال.



- تم بناء هذا التمثال في الفترة بين عامي **312** و**315**، ومن المفترض أن الإمبراطور قسطنطين كان وثنيًا في تلك الفترة، فمن

الثابت لدى معظم المؤرخين القدماء والمعاصرين أن الإمبراطور قسطنطين اتبع المسيحية وفاته بأيام قليلة عام **337** عندما اختار أن يتم تعميده رسميًا على يدي صديقه قائد المسيحيين الآريسيين يوسابيوس النيقوميدي «**Eusebius of Nicomedia**»، لذلك لا أعتقد أن إصبع السبابة في هذا التمثال كان يشير إلى التوحيد، بل ربما كان يشير إلى السماء حيث العلامة التي رآها وفقًا للأسطورة، ولكن لدي إحساس قوي بأن في اختيار أمي لهذا الشكل بالتحديد ليكون الحلقة الأولى في لغزها إشارة قوية بأن مغامرتنا في البحث عن كنز الفاندال مرتبطة بشكل كبير بقصة الأريسيين الموحدين.

- نضال، وعدتني أثناء بحثنا عن سر آريوس في السابق أن تحدثني أكثر عن هذا الرجل، يوسابيوس النيقوميدي، ولكنك وحتى الآن لم تفعل!

- أعدك أن أحكي لك حكايته بالتفصيل لاحقًا إن شاء الله، ولكن الآن وقبل كل شيء يجب علينا أن نفكر في طريقة نتمكن من خلالها تفحص هذه اليد عن قرب دون أن نلفت انتباه السياح الذين يملؤون هذا المكان!

- هل قمت بإضاعة كل هذا الوقت ونحن في طريقنا إلى هذا المكان لسرد تاريخ الرومان والإغريق وغيرهم من أمم الأرض دون أن

تفكر في خطة مسبقة لتفحص التمثال؟! سأل عبد العزيز ضاحكًا، قبل أن يضيف:

- حسنًا يا صديقي، فكر أنت على مهلك وحاول أن تجد طريقة لذلك، بينما أقوم أنا بأخذ بعض الصور التذكارية في هذا المكان.

ودون أن ينتظر ردًا على كلامه، استدار عبد العزيز على الفور نحو التمثال، وقفز بسرعة على القاعدة الحجرية المثبتة عليها يد التمثال، وأخذ يتلقط لنفسه بكاميرا هاتفه صورًا ذاتية «سيلفي» «Selfie» من جوانب مختلفة، قبل أن ينزل من على يد التمثال بعد عدة ثوان التقط خلالها العديد من الصور، ويتوجه بعدها إلى نضال الذي كان متجمدًا في مكانه من هول الصدمة التي أصيب بها وهو يراقب ما يفعله صديقه، قبل أن يسأله بصوت منخفض:

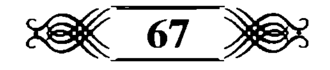
- ما الذي قمت به للتو أيها المجنون؟!

ابتسم عبد العزيز، ثم قال:

- أحيانًا يكون التفكير العميق في الأمور البسيطة مضيعة للوقت والجهد!

- ولكن ماذا لو لاحظ أحد عمال المتحف ما قمت به؟!

- لم أفكر بذلك، ولكن بالتأكيد لن يقطع رأسي حينها، أكثر ما يمكن أن يقوم به هو طردي من المتحف، ولكن بعد أن أكون قد التقطت هذه الصورة.



عرض عبد العزيز على نضال من شاشة هاتفه المحمول صورة لرسالة مكتوبة بخط صغير على حائط المتحف خلف يد التمثال مباشرة:

T

4

في منزل قسطنطين تحت الأرض، عند رأس الغولة الجميلة

- أحسنت يا صديقي، أعتقد أننا قد توصلنا إلى الرقم الأول من إحداثيات موقع كنز الفاندال، وهو الرقم **4**. قال نضال وهو يتأمل الصورة.

- وماذا عن بقية ما جاء في الرسالة؟

- لا أعرف بالضبط ما يرمز إليه الحرف اللاتيني **T**، ربما يرمز إلى الحرف الأول من المكان الذي يوجد به الكنز، لست متأكدًا من ذلك، ولكن الشيء الذي أنا متأكد منه هو أن الكلمات التي تحتويها الرسالة تشير بشكل واضح إلى المدينة التي تحتوي على الحلقة الثانية من اللغز.

- أي مدينة؟

- إنها المدينة التي بناها الإمبراطور قسطنطين العظيم لتكون عاصمة جديدة للرومان بعد روما، المدينة الحصينة التي عرفت

باسـمه «القسـطنطينية» «**Constantinopolis**»، أو إسـطنبول حاليًـا، فهنـاك يوجـد قـبر قسـطنطين، بـالقرب مـن رأس الغولـة الجميلة... «الموديسا»!



الفـانـدال



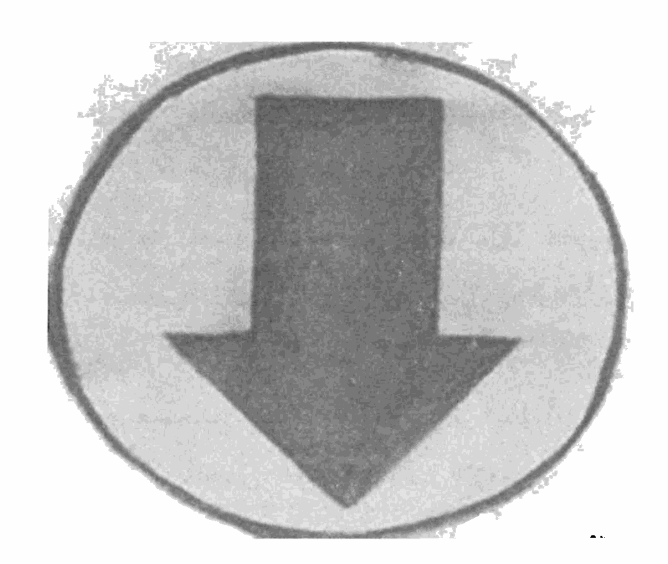
كـان نضـال وعبـد العزيـز جالسـين علـى مقعـديهما في الطـائرة المتوجهـة إلى مطـار إسـطنبول الـدولي، وأثنـاء الرحلـة أخـذ نضـال يقلـب بصمت في صفحات بعض الكتب التاريخية التي جلبها معه من لندن، بينما كان عبد العزيز يتأمل في الورقة التي تحتوي على رموز لغز الحلقات

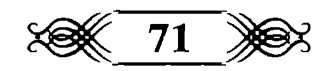
العشر، وبعد دقائق طويلة من الصمت، قال عبد العزيز متسائلًا:

- هناك شيء لا أفهمه، ما علاقة إسطنبول بهذا الرمز المرسوم داخل الحلقة الثانية من اللغز؟!

توقف نضال عن القراء، وأغلق الكتاب الذي كان يقرأ منه، ثم نظر إلى عبد العزيز وقال:

- هذا السهم يشير إلى أسفل، أي إلى الأرض، حيث تنتهي رحلة حياة كل إنسان مدفونًا تحتها، وفي هذا إشارة إلى قبر الإمبراطور قسطنطين العظيم الموجود في إسطنبول، وهو المكان الذي تم وصفه في الرسالة التي عثرنا عليها بأنه منزل قسطنطين تحت الأرض.





– ولكن لماذا رسمت أمك رمزًا يشير إلى قبر الإمبراطور طالما أنها أشارت إليه مباشرة من خلال كلمات الرسالة المكتوبة التي وجدناها عند يد التمثال؟!

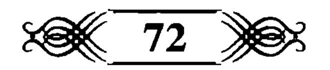
– لا أعلم، ربما يكون في ذلك زيادة في الإيضاح.

– بالمناسبة يا **101**، ما هذه الكتب التي تقرأها طيلة الوقت في الفندق والمطار والطائرة وفي كل مكان ذهبنا إليه؟ سأل عبد العزيز بفضول.

– هذه كتب تاريخية ودينية متعلقة بتاريخ آريوس والأريسيين استعرتها من البروفيسور بريستلي والشيخ صالح داود قبل أيام قليلة، فأثناء فترة سفرك إلى المغرب، التقيت بهما لكي أستفسر منهما عن بعض الأمور المتعلقة بتاريخ الآريسيين، وقد نصحاني بقراءة هذه الكتب التي قد تساعدني في حل رموز لغز الحلقات العشر والوصول إلى الكنز.

– أتعلم ما هو الطريف في الأمر يا نضال؟ الطريف هو أنني أرافقك في هذه المغامرة للبحث عن كنز الفاندال دون أن أعرف من هم الفاندال أصلًا!

– هذا غير صحيح، فقد أخبرتك من قبل أنهم قسم من المسيحيين الأريسيين الذين حوربوا من قبل الإمبراطورية الرومانية البيزنطية!



- أعلم ذلك، ولكن من هم؟ ومن أين جاءوا؟ وما هي قصتهم؟ وما حكاية كنزهم الذي نبحث عنه؟!

- حسنًا، استمع إلي جيدًا، الفاندال «**The Vandals**» أو الواندال هم قبائل أوروبية جرمانية هاجرت في الأصل من شمال أوروبا، على الأرجح من إسكندنافيا في جنوب السويد، وبعد ذلك استقروا في مناطق شرقية من القارة الأوروبية، وهناك مع بداية القرن الخامس الميلادي اختارت هذه القبائل ككثير من القبائل الجرمانية أن تتبع الآريسية كديانة لها.

- أنت تقصد بالآريسية ذلك المذهب المسيحي المنسوب إلى القسيس الأمازيغي آريوس، أليس كذلك؟

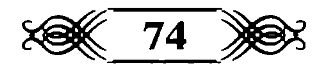
- يمكنك قول ذلك، وإن كان آريوس «**Arius**» لم يأتِ بشيء جديد من عنده، ولكن الرومان المثلثين ومن معهم من الذين يؤمنون بألوهية المسيح صاروا يطلقون لقب «الأريسيين» «**The Arians**» على كل أتباع المسيح عليه السلام ممن يرفضون مبدأ التثليث ويؤمنون بأن المسيح مخلوق من الله، وذلك بعد أن وقف القسيس آريوس في وجه فكرة تأليه المسيح في بداية القرن الرابع الميلادي، وبعد ذلك انتشرت المسيحية التوحيدية، أو الأريسية كما صارت تعرف من قبل المثلثين، بين صفوف كثير من القبائل الأوروبية وخاصة الجرمانية منها، والذين كان الرومان يطلقون عليهم اسم «البرابرة».

- هل تدل هذه التسمية أن هذه القبائل كانت قبائل همجية وبدائية؟ تساءل عبد العزيز.

- على الإطلاق، فهذا اللفظ كان يعني «الأجنبي»، فقد أطلق الرومان على كل من هم لا ينتمون للثقافة الرومانية من شعوب العالم اسم «البرابرة» «**barbarian**»، وأصل هذه الكلمة هي كلمة «باريباروس» من الإغريقية القديمة، وقد كان لإغريق أول من استخدم هذا المصطلح لوصف كل الذين لا يتكلمون اليونانية ويتبعون العادات اليونانية التقليدية، بما في ذلك المصريين والفرس والميديين والفينيقيين، لأن اللغة التي تحدثوها بدت للإغريق مثل الرطن غير المفهوم، ممثلة بالأصوات «بار بار»، أي أنهم قسموا العالم إلى يونانيين وغير يونانيين، وقد رفض الفيلسوف الشهير «أفلاطون» هذا التقسيم، واعتبره عبثًا منطقيًا.

- ولكن لماذا يقال في زماننا هذا على كل من يتصرف بطريقة متوحشة أو غير حضارية بأنهم برابرة!

- مع مرور الوقت أضاف بعض الإغريق، وخاصة الأثينيون منهم، بعدًا ثقافيًا واجتماعيًا لهذا اللفظ، واستخدموه للتهكم على غيرهم من الأقوام اليونانية الأخرى، مثل المقدونيين والإسبارطيين، ومع سيطرة إمبراطورية روما على العالم القديم، استخدم الرومان



هذا المصطلح تجاه غيرهم من شعوب العالم، مثل الجرمانيين، والكلت، والإغريق، والإيبريين، والأمازيغ.

- حسنًا، الآن أخبرني، ما الذي دفع الفاندال إلى أن يتركوا موطنهم في القارة الأوربية ويتجهوا إلى القارة السمراء للاستيطان في شمال أفريقيا؟

- هناك عدة عوامل عملت على هجرة الفاندال إلى هذه الأرض، كان من بينها بحث هذه القبائل الأوروبية عن حياة كريمة في شمال أفريقيا، فأرض شمال أفريقيا كانت من أغنى البلدان في العالم بما تملكه من ثروات وخيرات، كان من أهمها أشجار الزيتون التي كان زيتها بمثابة النفط في هذا الزمان، ولكن العامل الديني كان من أهم تلك العوامل، فكما أخبرتك سابقًا كان الرومان المثلثون يضطهدون الأريسيين الموحدين ويرتكبون في حقهم المجازر البشعة، ومع بداية القرن الخامس الميلادي، وصل الفاندال إلى حدود نهر الراين في ألمانيا، وقد كان هذا النهر يعتبر بمثابة الحد الشمالي للإمبراطورية الرومانية، وهناك انضم إليهم مهاجرون جدد من قومية أوروبية أخرى تعود جذورها إلى القوقاز، وهي قومية الآلان «**The Alans**» الذين كانوا أيضًا على الآريسية، وبعد اشتداد وطأة البرد والجوع على المهاجرين الفاندال والآلان داخل ألمانيا، واقتراب خطر جديد من ناحية الشرق متمثلاً بقبائل الهون المرعبة القادمة من آسيا، عبر المهاجرون الفاندال

ومن معهم من الآلان نهر الراين، وهناك ارتكب الرومان المثلثون وحلفاؤهم مجازر مروعة في حق تلك القبائل الموحدة، راح ضحيتها عشرات الآلاف من الأبرياء، لذلك لجأ الفاندال من جديد نحو الغرب، فوصلوا عام **409**م إلى شبه الجزيرة الإيبيرية حيث توجد دولتي إسبانيا والبرتغال الحاليتين، واستقروا في منطقة في جنوب إسبانيا الحالية، وبالتحديد في منطقة تسمى هيسبانيا بايتيكا «**Hispania Baetica**»، فسميت تلك المنطقة بعد ذلك باسمهم «فاندالوسيا» «**Vandalusia**»، نسبة إلى قبائل الفاندال الموحدة، ومن هنا جاءت تسمية هذه الأرض لاحقًا بـ «أندلوسيا» «**Andalusia**»، والتي أطلق عليها العرب اسم «الأندلس»، وما زالت هذه المقاطعة الجنوبية في مملكة إسبانيا الحالية تسمى إلى يوم الناس هذا بهذا الاسم.

- ولكن كيف تمكنت هذه القبائل المهاجرة المشردة من تكوين تلك القوة الجبارة التي سمحت لهم بمواجهة إمبراطورية عظمى مثل إمبراطورية الرومان واحتلال عاصمتهم وسلبها من كنوزها؟!

- هذا أمر شرحه يطول يا صديقي، وأنا الآن مشغول بالبحث في هذه الكتب عن بعض الأمور التي قد تساعدنا في معرفة معنى الرموز الموجودة في لغز الحلقات العشر، ولكن لا تقلق، فمغامرتنا ما زالت في بدايتها، وسيكون لدينا الكثير من الوقت لإكمال قصة الفاندال العجيبة، إن شاء الله.

في مدينة قسطنطين العظيم

بعد وصولهما إلى مدينة إسطنبول، نزل نضال وعبد العزيز في فندق في منطقة الفاتح، وبعد أن استراحا قليلًا من عناء السفر، اقترح نضال على صديقه أن يذهبا للصلاة في جامع الفاتح القريب من مكان إقامتهما، وبعد أداء الصلاة مباشرة، أشار عبد العزيز إلى عبارة مكتوبة بخط كبير في صدر الجامع، وقال لصديقه مبتسمًا:



- انظر يا نضال، هذه هي العبارة التي أخبرتني عنها في بداية رحلتنا، والتي كانت أول خيط من خيوط لغز بربروسا:

«فتح من الله ونصر قريب وبشر المؤمنين يا محمد».

- أتعلم يا عبد العزيز، في البداية كنت أتساءل في قرارة نفسي عن السبب الذي دفع أمي إلى الإشارة إلى هذه المدينة بالذات في أول خيط من خيوط لغزها، أما الآن فقد أصبح الأمر أكثر وضوحًا بالنسبة لي.

- وما هو هذا السبب؟

- هذه المدينة العتيقة ترمز إلى القضية الجوهرية التي تدور حولها مغامرتنا منذ البداية، قضية التوحيد، قضية الصراع الأزلي بين الموحدين وأعدائهم، فحكاية هذه المدينة مرتبطة بشكل كبير بحكاية الموحدين، وذلك منذ بنائها على يد مؤسسها الموحد الإمبراطور الأريسي قسطنطين العظيم على أنقاض مدينة بيزنطيوم «**Byzantium**» التي حمل الرومان البيزنطيون اسمها، فبعد سنوات من تأسيسها، حدثت جريمة اغتيال قائد المسيحيين الموحدين آريوس، وفيها انتشر التوحيد الأريسي بعد وفاة قسطنطين العظيم وأصبح هو دين الأغلبية العظمى، قبل أن يسيطر الرومان المثلثون على هذه

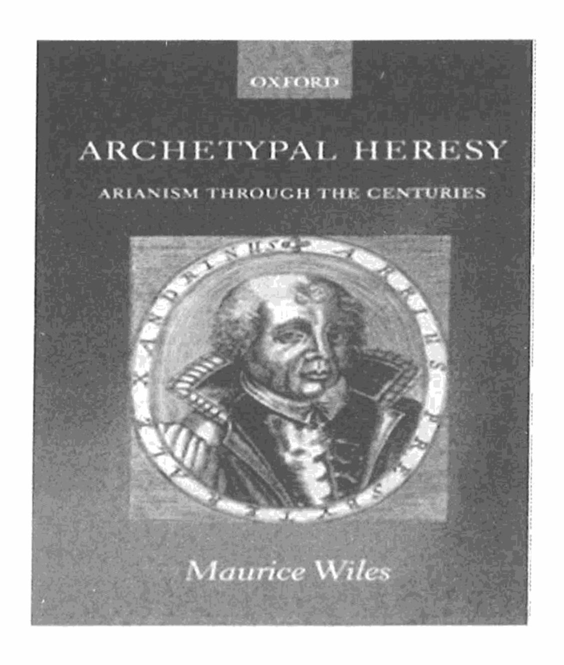
المدنية ويعقدوا فيها المؤتمر الذي حمل اسمها «مجمع القسطنطينية الأول»، وهو المجمع المسكوني التي اعتمدت فيه بشكل رسمي لأول مرة في التاريخ عقيدة التثليث، وبعد ما يقرب من ألف عام من سيطرة المثلثين عليها، عاد التوحيد من جديد لينتشر في هذه المدينة العجيبة على يد المسلمين العثمانيين، وذلك تحقيقًا لنبوءة آخر أنبياء التوحيد في الأرض محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي حرص على ذكر هذه المدينة بالاسم، وتنبأ بفتحها من قبل أتباعه الموحدين.

- وهل كان حقًا أغلب سكان هذه المدينة في أيامها الأولى من الآريسيين الموحدين؟

- القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية كانت مدينة آريسية عن بكرة أبيها، وهو ما يؤكده المؤرخ وأستاذ علم اللاهوت في جامعة أكسفورد البروفيسور «موريس وايلز» «**Maurice Wiles**» في كتابه «الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية»:

Archetypal Heresy Arianism through the Centuries :

«ليس فقط أن قيادة الكنيسة في القسطنطينية كانت آريسية لمدة **40** عامًا، بل إن معظم السكان المسيحيين في المدينة كانوا يميلون للآريسية عن عقيدة نيقية».

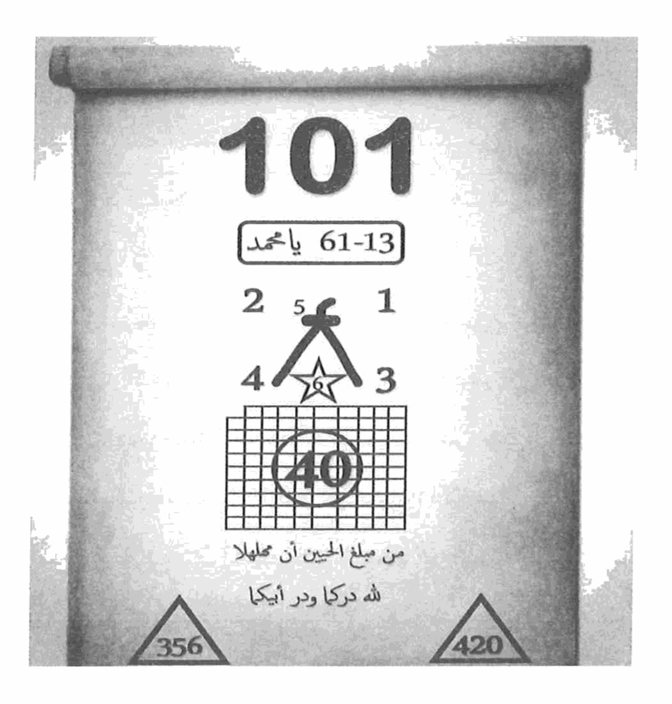


- ولكن أين اختفى هؤلاء الآريسيون الذين كانوا في المدينة ؟

- مع نهايات القرن الخامس الميلادي، استولى أحد الأباطرة النيقيين على مقاليد الحكم في الإمبراطورية الرومانية، وهو «ثيودوسيوس الأول» «**Theodosius I**»، فلم يكتف هذا الإمبراطور بدعم رجال الدين النيقيين الداعين لتأليه المسيح، بل أعلن ثيودوسيوس صراحة تجريمه لكل من يؤمن بعقيدة التوحيد، وارتكب جرائم إبادة بشرية ومجازر مرعبة في حق عامة المسيحيين الموحدين الذين كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة لمسيحيي العاصمة

القسطنطينية، وفي عام 381 أمر الإمبراطور ثيودوسيوس الأول بعقد مجمع القسطنطينية، وفي هذا المجمع أضيف طرف ثالث للعقيدة النيقية، فقد تم اعتماد «الروح القدس» «**Holy Spirit**» بشكل رسمي كإله معبود، لتكتمل لأول مرة في التاريخ أضلاع «الثالوث المقدس» في المسيحية، المعروف بمبدأ «ترينيتي» «**Trinity**»، وملخص هذا المبدأ حسب الاعتقاد التثليثي: بأن الآب وصوروه كرجل مسن، والابن وصوروه كرجل أشقر في غالب الأحيان، والروح القدس وصوروه كحمامة، كل واحد من هؤلاء يساوي الرب، ولكن أيًا منهم لا يساوي الآخر، ليصبح الإيمان بعقيدة الثالوث المقدس شرطًا للإيمان المسيحي الذي فرضته الكنيسة في ذلك العام فقط، أي أن عقيدة التثليث التي يعتقد بها أغلب المسيحيين في هذا الزمان لم تظهر إلى الوجود بشكل رسمي إلا بعد 381 عامًا من ميلاد المسيح!

- حسنًا، أتفهم الآن اختيار أمك لهذه المدينة المحورية في تاريخ المسيحية لتكون أولى حلقات لغز بربروسا الذي كان مقدمة لسر آريوس، ولكن لماذا اختارت الخالة عائشة أن ترمز للقسطنيطينة بهذه العبارة بالذات «نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا محمد»؟



- صراحة لا أعلم بالضبط ما الذي كانت تفكر به، فهناك الكثير من الأشياء التي ترمز إلى هذه المدينة، وهذه العبارة منتشرة في كثير من مساجد تركيا وليس في مسجد الفاتح فقط، ولكن ربما أرادت الإشارة إلى هذا المسجد بالذات، مسجد محمد الفاتح، فهذا القائد العثماني هو الذي فتح القسطنطينية، وهو الذي انتصر على الرومان، واسمه محمد، وهذا كله يرتبط بكلمات «الفتح، النصر، محمد» الواردة في هذه العبارة، الله أعلم!

- ولكن لماذا مسجد الفاتح بالتحديد؟

- إذا صح هذا التحليل فإن ذلك يعود لكون هذا المكان يحمل رمزية كبيرة لقضية التوحيد، ليس فقط لأن بانيه هو القائد المسلم محمد الفاتح الذي أعاد عقيدة التوحيد إلى هذه المدينة، وليس فقط لأن قبره موجود في فناء المسجد، ولكن أيضًا لأن في هذا المكان أيضًا دفن مؤسس هذه المدينة الإمبراطور الموحد قسطنطين العظيم!

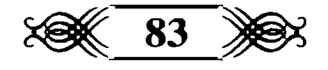
- ماذا؟! هل يوجد قبر قسطنطين في هذا المكان؟!

- انتبه إلى ما أقوله جيدًا يا عبد العزيز، لقد قلت في هذا المكان دُفن قسطنطين، ولم أقل إن قبره موجود هنا!

- ولكن ما الفرق؟!

- حسنًا، هذا المكان في الأصل كان موضعًا لكنيسة أسسها الإمبراطور الآريسي الموحد قسطنطين العظيم وهي كنيسة «الحواريين المقدسين» «**Church of the Holy Apostles**»، هذه الكنيسة كانت ثاني أهم وأكبر كنيسة في القسطنطينية بعد كنيسة «آيا صوفيا» «**Hagia Sophia**» التي بناها ابن قسطنطين الإمبراطور «قسطانطيوس الثاني» «**Constantius II**».

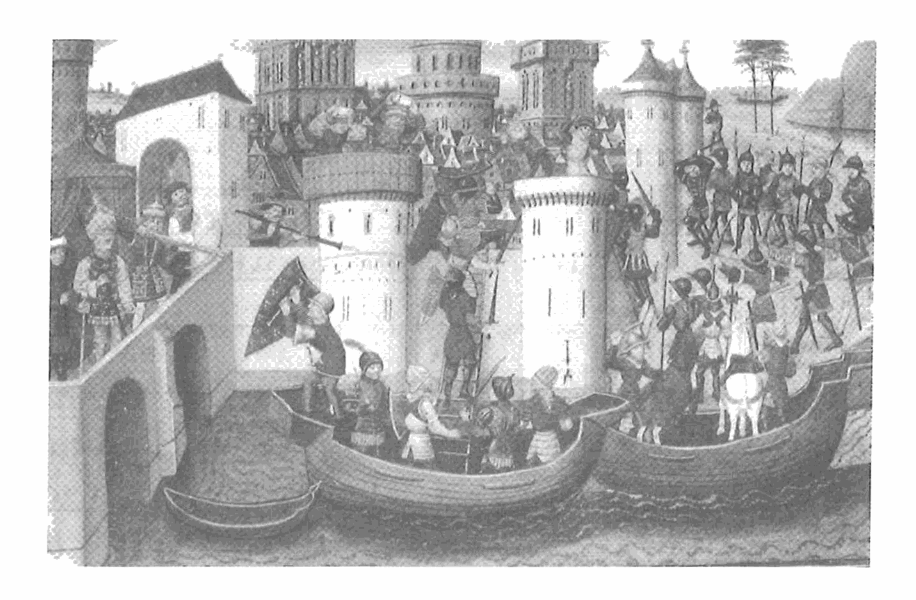
- وهل كان هذا الإمبراطور الروماني آريسيًا كأبيه؟ تساءل عبد العزيز.



ابتسم نضال ثم قال:

- الإمبراطور قسطانطيوس الثاني لم يكن مسيحيًا آريسيًا وحسب، بل كان من أشد مناصري عقيدة التوحيد ورافضي فكرة تأليه المسيح، وفي عهده عقد الأساقفة المسيحيون مجامع مسكونية ألغوا فيها نتائج «مجمع نيقية» الداعية إلى مساواة المسيح بالله، ويعتبر عهد قسطانطيوس الثاني الفترة الذهبية للآريسية، حيث أصبح التوحيد بشكل رسمي دين الإمبراطورية الرومانية الممتدة من إنجلترا غربًا وحتى العراق شرقًا! وبعد وفاة الإمبراطور قسطنطين العظيم عام 337، أمر ابنه قسطانطيوس الثاني بأن يدفن أبوه عند هذه الكنيسة، ومع مرور الزمن، دفن أغلب الأباطرة البيزنطيين عند هذه الكنيسة، لذلك عرفت كنيسة الحواريين المقدسيين أيضًا بـ «مقبرة الأباطرة» «**Imperial Polyándreion**»، لذلك احتوت هذه الكنيسة على كميات كبيرة من الذهب والفضة والكنوز التي حفظت فيها على مدى مئات السنين.

- وماذا حصل بعد ذلك؟



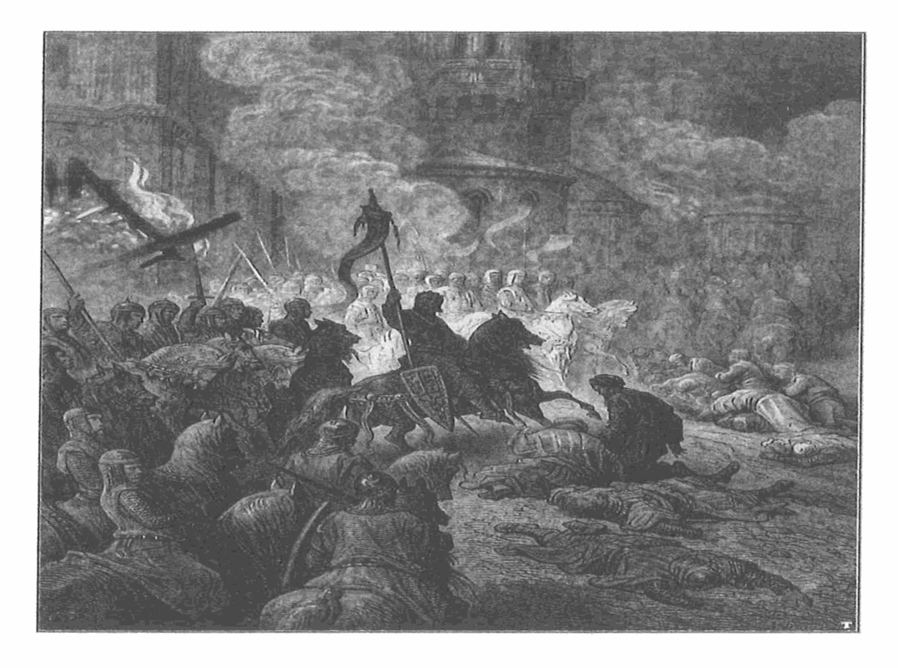
- مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي، وأثناء فترة الحروب الصليبية، كون الصليبيون جيشًا جرارًا في محاولة لاحتلال القدس من جديد بعد أن حررها منهم القائد الإسلامي الكبير الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، فتكون ما عرف في التاريخ بـ «الحملة الصليبية الرابعة» «The Fourth Crusade» بمباركة مباشرة من بابا الفاتيكان في روما، وكان الهدف الاستراتيجي المعلن لهذه الحملة هو احتلال مصر والزحف منها إلى فلسطين نحو القدس لإعادة احتلالها من جديد، ولكن سفن هذه الحرب المقدسة من قبل الصليبيين بدلًا من أن تبحر باتجاه مصر والأراضي المقدسة، أبحرت باتجاه القسطنطينية عاصمة

البيزنطيين، وفي 23 يونيو 1203، تفاجأ المسيحيون الأرثـدوكس مـن سكان هذه المدينـة الحصينـة، والذين كان عددهم يقدر بنصف مليون إنسان، تفاجأوا بأساطيل جرارة ترفـع أعـلام الصـليب، وتحمـل عليهـا آلافًا مـن المرتزقـة اللاتـين مـن المسـيحيين الكاثوليـك، غـالبيتهم مـن جمهوريـة البنـدقية ومملكة فرنسا والإمبراطورية الرومانيـة المقدسـة «الألمانية»، ليتم احتلال القسطنطينية على أيدي الصليبيين الـذين نهبوا هذه الحاضرة البيزنطية العريقـة ودمـروا أثارهـا الثقافيـة الأثريـة، ويذكر المؤرخون الغربيون في كتبهم واحدة من أبشع الفظائع التي وقعـت علـى مـدار التـاريخ الإنسـاني، ارتكبهـا الصـليبيون في حـق سـكان القسـطنطينية المتحضـرين مـن المسـيحيين الأرثـدوكس، فقـد قتـل الآلاف من الأبرياء العزل، واغتصبت الفتيـات والنسـاء وحتى الراهبـات في دور العبادة من قبل الجنود الصليبيين، ونهبـت أمـوال السـكان الـذين شـرد عشـرات الآلاف منهم، ودمـرت المبـاني والآثـار الإغريقيـة القديمـة الـتي يرجـع بعضـها إلى عهـد الإسـكندر الأكـبر، وانتهكـت حرمـات دور العبـادة، بعـد أن نهبـت الكنـائس ودنسـت بطـرق همجيـة مـن قبـل الصليبيين، فخربـت كثـير من مبـاني أيـا صـوفيا الـتي انتهـك الصـليبيون حرمتها بممارسـة الفـواحش داخـل أبنيتهـا عنـد المقعـد البـابوي المقـدس لـدى الأرثـدوكس، في حـين خربـت كنيسـة الحـواريين ثـاني أهـم كنـائس المدينـة، ونهبـت كنوزها وآثارها لتنقل إلى كنائس البندقية وروما حيـث مـا

تزال معروضة إلى يوم الناس هذا، ولم تسلم حتى قبور الأباطرة الرومان في هذه الكنيسة من النهب والتخريب، وطوال سنوات إقامتهم في أراضي البيزنطيين، نشر الصليبيون الإرهاب في المناطق التي سقطت بأيديهم، وارتكبوا العديد من عمليات الإبادة البشرية في حق سكان تلك البلاد من المسيحيين واليهود على حد سواء، وقد نزعت الحملة الصليبية الرابعة بما رافقها من عمليات وحشية وإرهاب منظم القدسية الدينية للحملات الصليبية على الشرق، وأثارت الشكوك التاريخية حول مصداقية الحروب الصليبية بشكل عام وأهدافها الحقيقية، وإن كانت تلك الحملات قد قامت بالفعل من أجل أهداف دينية، أم أنها كانت مجرد حروب همجية شنها ملوك وأمراء أوروبا الإقطاعيون، بدعوة مباشرة من بابوات الكنيسة، وذلك من أجل أطماع سياسية واقتصادية بحتة غلفت بغلاف ديني لإعطائها شرعية أخلاقية، يتم من خلالها تجنيد فقراء أوروبا ورعاعها الذين اعتقد قسم منهم بالفعل أن جرائم القتل والاغتصاب والتدمير التي كانوا يرتكبونها في حق كل من المسلمين واليهود وحتى المسيحيين كانت ضمن مهمة مقدسة من أجل الرب!

- كنت أعتقد أن المسلمين فقط هم من عانوا من وحشية الصليبيين، ولم أتوقع أن هناك من المسيحيين من كان أيضًا ضحية للإرهاب الصليبي!

– على العكس يا صديقي، ربما الصدمة التي أصيب بها مسيحيو الشرق من وحشية الصليبيين وإرهابهم كانت أكبر من صدمة المسلمين بهم، فقد اعتقد مسيحيو الشرق أن الصليبيين إخوة لهم في الدين، فتفاجأوا بتلك الأعمال الإرهابية التي يندى لها جبين الإنسانية، لذلك ما تزال هذه المأساة التاريخية بالذات حاضرة في الوجدان المسيحي الشرقي، ومن بين الحوادث التي رسخت الخلاف الديني القائم بين الكنيسة الأرثدوكسية والكنيسة الكاثوليكية حتى يوم الناس هذا، ففي عام **2001** عارض كثير من رجال الكنيسة الأرثدوكس في اليونان زيارة البابا «يوحنا بولس الثاني» إلى اليونان، ولم يُجرَ له استقبال رسمي في مطار أثينا على عكس العادة، واقتصر استقباله على وزير الخارجية اليوناني، وأثناء زيارته لمطرانية أثينا الأرثدوكسية ألقى البابا كلمة أعرب فيها عن أسفه الشديد لما وصفه بـ «عملية النهب المؤسفة لمدينة القسطنطينية التي كانت قلعة المسيحية في الشرق» أثناء الحملة الصليبية الرابعة، وطلب البابا من رئيس كنيسة الروم الأرثوذكس اليونانية الغفران عن تصرفات الكاثوليك «الذين ارتكبوا خطيئة في حق المسيحيين الأرثوذكس» على حد قول البابا الكاثوليكي.



- وما الذي حصل بعد ذلك لكنيسة الحواريين؟

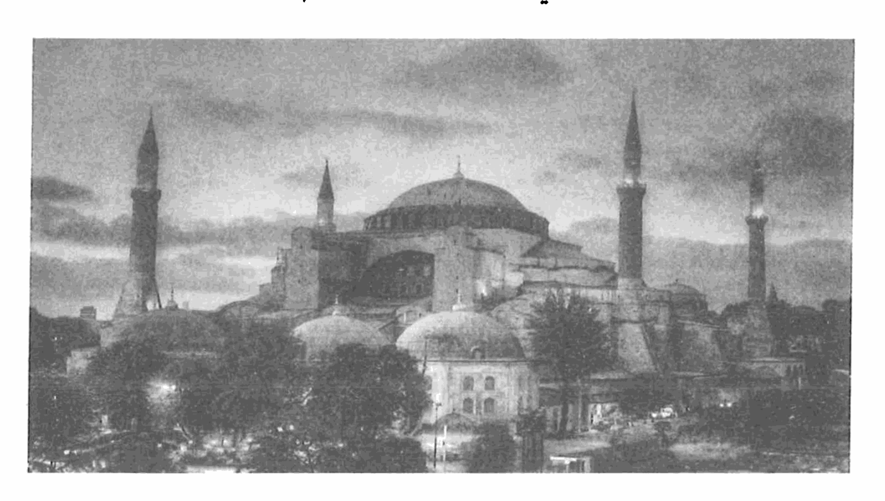
- كما أخبرتك قبل قليل، كانت كنيسة الحواريين من بين الكنائس التي تعرضت للنهب والتخريب أثناء الحملة الصليبية الرابعة، فنبش الصليبيون القبور التي تضمها هذه الكنيسة، وسرقوا كل ما تحتويه هذه القبور من كنوز، وبعد ذلك اختفت أغلب قبور أباطرة الرومان ولا يعرف ماذا حل بها، أما مباني الكنيسة فقد كانت في حالة مهلهلة يرثى لها جراء ما تعرضت له من تخريب من قبل الصليبيين، وبعد أن استعاد البيزنطيون القسطنطينية من أيدي الصليبيين، حاول بعض

أباطرتهم إعادة إصلاح الكنيسة المخربة من جديد، ولكن الإمبراطورية الرومانية في ذلك الوقت كانت قد دخلت عمليًا في مرحلة الانحدار والضعف، وانخفض عدد سكان القسطنطينية بشكل حاد بعد حملة الصليبيين عليهم، الأمر الذي أدى إلى تحول الكنيسة إلى مكان مهجور، وفي عام **1420**، أي قبل سنوات قليلة من الفتح الإسلامي العثماني للقسطنطينية، زار الرحالة الإيطالي «كريستوفورو بونديلمونتي» «**Cristoforo Buondelmonti**» كنيسة الحواريين ووصف حالة الخراب التي كانت بها. ومع انتصار المسلمين العثمانيين على إمبراطورية الروم البيزنطية وإنهاء وجودها بشكل نهائي من على ساحة التاريخ، منح السلطان المسلم محمد الفاتح الأمان لمسيحيي المدينة، وكفل لهم الحرية الدينية لممارسة شعائرهم الدينية، فدبت الحياة من جديد في هذه الكنيسة، فبعد أن حرر الفاتح آيا صوفيا، أصبحت كنيسة الحواريين المقر الجديد لبطريرك القسطنطينية.

- عفوًا على المقاطعة، ولكن ماذا تقصد بأن آيا صوفيا تم تحريرها؟

- أقصد أن تحويل محمد الفاتح لآيا صوفيا لتكون مسجدًا كان في حقيقة الأمر مجرد إعادة هذا المكان إلى أصله كمكان عبادة للموحدين، فسواء كان الفاتح يعلم ذلك أم لا، فإن آيا صوفيا بناها الموحدون الآريسيون لعبادة الله الواحد قبل ذلك التاريخ بنحو ألف عام، ولكن

المثلثين استولوا عليها بحد السيف من أصحابها الآريسيين الذين رفضوا فكرة تأليه المسيح، وذلك من خلال عمليات قتل وإرهاب تعرضوا لها من قبل الأباطرة المثلثين، فقد بنيت آيا صوفيا بأمر مباشر من الإمبراطور الأريسي-الموحد قسطانطيوس الثاني في عام **360**، وافتتحت على يد أسقف القسطنطينية الآريسي «إيودوكسوس الأنطاكي» «**Eudoxius of Antioch**»، الذي كان من أشهر الأساقفة الآريسيين على الإطلاق، وبالمناسبة هذا الكلام ينطبق أيضًا على ثاني أهم كنائس المدينة كنيسة الحواريين التي أسسها قسطنطين وافتتحت في عهد ابنه قسطانطيوس الثاني، ولكن المثلثين الأرثوذوكس استولوا على هذه الكنائس الآريسية لاحقًا بعد إبادة المؤمنين المسيحيين الموحدين في هذه المدينة التي أسسها بالأصل الإمبراطور الآريسي قسطنطين العظيم.



- ولكن أين اختفت كنيسة الحواريين بعد ذلك؟

- على الرغم من تحولها إلى المقر الأول لبطريرك القسطنطينية، كانت حالة كنيسة الحواريين ما تزال سيئة من جراء ما تعرضت له من تخريب من قبل الصليبيين، إضافة لذلك فقد زاد عدد المسلمين في المنطقة التي تقع بها الكنيسة، لذلك اختار بطريك القسطنطينية أن ينقل مقره إلى كنيسة أخرى في المدينة، وبعد هجرانها بشكل تام من قبل البطريك، اختار السلطان محمد الفاتح ذلك المكان المخرب ليكون موضعًا لمسجده الشهير الذي ما يزال قائمًا إلى يوم الناس هذا، مسجد الفاتح في إسطنبول، وليدفن بجانب المسجد حيث ما يزال قبره هناك.

- أفهم من كل هذا الكلام أن قبر الإمبراطور قسطنطين العظيم مؤسس القسطنطينية كان موجودًا هنا في موضع جامع الفاتح، ولكنه اختفى مع باقي القبور التي اختفت جراء تخريب الصليبيين.

- ليس تمامًا، فلسبب ما، كان قبر قسطنطين من بين القبور القليلة الناجية من الحملة الصليبية الرابعة.

- وأين يوجد هذا القبر الآن؟

- يوجد في ساحة متحف إسطنبول، وهو المكان الذي سنتوجه إليه الآن، المكان الذي ينطبق عليه وصف الرسالة التي وجدناها في روما:

«في منزل قسطنطين تحت الأرض، عند رأس الغولة الجميلة»

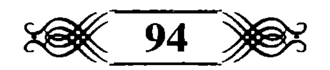


رأس الغولة الجميلة



كان نضال وعبد العزيز يمدان الخطى في طريقهما إلى منطقة «إمينونو» في مدينة إسطنبول حيث يوجد «متحف إسطنبول الأثري»، وهو المتحف الذي يعود تاريخ إنشائه إلى نهاية القرن التاسع عشر، وفي الطريق إلى ذلك المكان، أخذ الصديقان يتبادلان أطراف الحديث.

- عندما كانت جدتي تخيفني وأنا طفل صغير بقصص الغولة



المرعبة، كنت أتخيل أن الغولة كائن قبيح ومرعب، ولم أتخيل أبدًا أنه سيأتي اليوم الذي أسمع فيه أن هناك غولة جميلة! قال عبد العزيز مازحًا.

- لا قبيحة ولا جميلة يا صديقي، الغولة مجرد خرافة لا وجود لها سوى في قصص الجدات وأساطير الشعوب القديمة.

- ما حكاية هذه الغولة الجميلة التي نبحث عن رأسها؟

- «الموديسا» «**Mudesa**»، هي وحش أسطوري مرعب ظهر في الخرافات الإغريقية القديمة، وهي عبارة عن نصف إنسان ونصف مسخ، وتقول الأسطورة أن الموديسا كانت بنتًا فاتنة في غاية الجمال، إلا أن آلهة اليونان الشهيرة «أثينا» غضبت عليها وحولتها إلى وحش مرعب.

- ولكن ما الذي فعلته الموديسا لتنال هذا العقاب؟

- وفقًا للأسطورة فإن الموديسا تم الاعتداء عليها واغتصابها في معبد للآلهة أثينا، الأمر الذي جعلها عرضة للعقاب من قبل الآلة الإغريقية.



- وهل الاعتداء على فتاة مسكينة يستوجب عقابها هي بدلًا من عقاب المجرم الذي اعتدى عليها؟! سأل عبد العزيز مستنكرًا.

- بالرغم من أن الأمر برمته عبارة عن أسطورة خرافية، إلا أنك محق في استنكارك لمثل هذه القصة، فأساطير الشعوب ما هي إلا انعكاس للثقافة الشعبية لمجتمعاتها، وللأسف كانت المرأة في الثقافة الشعبية اليونانية هي المخطئة دائمًا في مثل هذه الحالات، وكانت سهام المجتمع تصوب عليها مباشرة بعد كل حادثة اعتداء تتعرض لها، فالمجتمع الإغريقي، كغيره من المجتمعات المتخلفة قديمًا وحديثًا، اعتبر المرأة أصل كل الشرور والمصائب، وكانت نظرة المجتمع الإغريقي القديم إلى المرأة نظرة دونية بشكل عام، فبالرغم من كل التقدم الحضاري والثقافي الذي ظهر في اليونان، كان التعليم ممنوعًا على الفتيات، وكان لا يحق للمرأة أن تصبح شاعرة أو كاتبة أو تاجرة، وبشكل عام افتقدت النساء في اليونان القديمة لكثير من الحقوق الأساسية، مع بعض الاستثناءات القليلة التي ظهرت في بعض الأزمنة والأماكن، خاصة في مجتمع مدينة إسبارطا الذي تمتعت فيه المرأة ببعض الحريات النسبية التي افتقدتها في مجتمع أثينا وبقية المدن اليونانية، فعلى الرغم من أن أثينا ابتكرت نظامًا مدنيًا متطورًا في إدارة المجتمع، فإن النساء هناك لم يسمح لهن باكتساب حق المواطنة الكاملة، شأنهن في ذلك شأن العبيد، لذلك كانت صورة المرأة في العقل

الجمعي للإغريق صورة مشوهة، حتى أن الفيلسوف الإغريقي الشهير «أرسطو» كان من أكبر المنظرين لدونية المرأة في المجتمع، حيث اعتقد أرسطو أن المرأة تجلب الفوضى والشر للمجتمع، وأن النساء عديمات الفائدة تمامًا، وأنهن يسببن ارتباكًا للمجتمع أكثر من الأعداء!

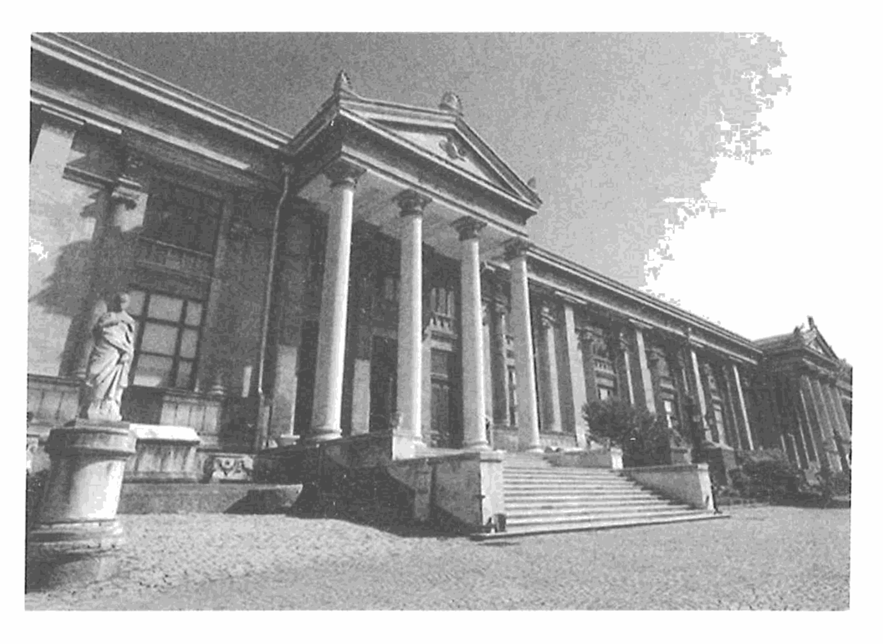
- وما العقاب الذي فرضته الآلهة على الموديسا حسب اعتقاد الإغريق؟

- حسب ما جاء في الأسطورة، فإن أثينا صبت جم غضبها على الموديسا، فمسختها إلى امرأة مرعبة، كما حولت شعرها إلى ثعابين، وسحرتها بحيث يتحول الإنسان الذي ينظر إلى عينيها إلى حجر، فتحولت الموديسا إلى وحش مخيف ينشر الرعب في أرجاء اليونان، قبل أن يتمكن أحد أبطال اليونان الشعبيين ويدعى «بيرسيوس» «**Perseus**» من قتلها وقطع رأسها.

- ولكن كيف تمكن ذلك الشخص من قتلها دون أن يتحول إلى حجر؟!

- وفقًا للميثولوجيا اليونانية القديمة فإن بيرسيوس تسلح بعدة أسلحة ساعدته على إتمام مهمته، فاستطاع الحصول على حذاء مجنح مكنه من الطيران، وخوذة تجعله غير مرئي، وكيسًا خاصًا يمكنه من حمل رأس المدويسا بعد قطعها دون أن يتحول إلى حجر، وسيفًا معقوفًا، إضافة لدرع منحته إياه الآلهة أثينا، ومن خلال هذا

الدرع استطاع أن يرى صورتها أثناء انعكاسها عليه، في الوقت الذي لم تتمكن هي من رؤيته لارتدائه خوذة الإخفاء، وبذلك تمكن بيرسيوس من قطع رأس الموديسا بسيفه المعقوف، وتقول الأسطورة أن سحر الموديسا استمر بعد قطع رأسها، لذلك وضعه بيرسيوس في الكيس الخاص الذي أحضره معه، وصار يكشف عنه لاستخدامه كسلاح يسلطه على أعدائه لتحويلهم إلى حجارة.



وصل الصديقان إلى متحف إسطنبول الأثري، وبعد أن ألقيا نظرة سريعة على قبر الإمبراطور قسطنطين العظيم، توجها على

الفور إلى تمثال رأس الموديسا الموجود في حديقة المتحف، فأخذ نضال يبحث هناك عن الحلقة الثانية من حلقات اللغز، بينما ظل عبد العزيز واقفًا على مسافة منه ليراقب المكان ويحذر نضال عند مرور أي زائر، وبعد فترة غير قصيرة من البحث، ترك عبد العزيز مكانه وتوجه إلى نضال الذي ظهرت عليه مظاهر الانفعال والتعب وهو منهمك في البحث عند رأس الموديسا.



- هل وجدت شيئًا؟

- أكاد أجن! منذ نصف ساعة وأنا أحوم كالمجنون حول هذا التمثال، بحثت في كل موضع فيه لعلي أجد رمزًا أو إشارةً لها علاقة باللغز، ولكن كل ذلك كان دون جدوى.

- نضال، ماذا إن كنا نبحث في المكان الخاطئ؟ ماذا إن كنا قد أخطأنا في تحليلنا لكلمات الرسالة التي وجدناها في روما ومعنى الرمز المرسوم في الحلقة الثانية من لغز الحلقات العشر؟

توقف نضال فجأة عن البحث، وجلس على الأرض مقابلًا لرأس الموديسا، وأخذ يتأمل فيها دون أن يجيب بأي كلمة على تساؤلات عبد العزيز، ففهم هذا الأخير أن صاحبه اقتنع بوجهة نظره، فتركه واقفًا لوحده يفكر، وذهب هو إلى متجر المتحف ليشتري زجاجتين من الماء البارد، وبعد دقائق قليلة، عاد عبد العزيز إلى صديقه الذي كان ما يزال جالسًا بسكون أمام رأس الموديسا، وكأنه تمثال آخر شُيد بجانبه، فناوله زجاجة الماء قائلًا:

- أعلم أنك تحب التفكير بهدوء، لذلك رأيت أن أتركك لوحدك هنا، لأحضر لك بعض الماء البارد.

تناول نضال زجاجة الماء دون أن يتحدث بأي كلمة، وأخذ يشرب الماء منها دفعة واحدة، فنظر إليه عبد العزيز وهو يشرب بهذه السرعة، وقال له مازحًا:



- لم أعتد على رؤيتك بهذا النهم، ولكن يبدو أن التفكير والإجهاد وحرارة الجو قد استنزفوا ما في جسمك من السوائل، وهو ما قلل من قدراتك العقلية المحدودة أصلًا، لذلك أرجو أن تساعدك هذه المياه على معرفة المكان الصحيح الذي ينبغي علينا التوجه إليه.

وما إن سمع نضال هذه الكلمات، حتى شرق بالماء الذي كان يشربه، وأنزل الزجاجة من على فمه بسرعة، ليقول بعد أن التقط أنفاسه من جديد:

- ما الذي قلته الآن يا عبد العزيز؟

- على رسلك يا صديقي، الأمر كان مجرد مزحة، لم أقصد الإساءة إليك على الإطلاق! رد عبد العزيز بصوت مرتبك.

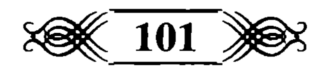
- أعد ما قلته أرجوك!

- حسنًا، أخبرتك مازحًا أن التفكير والإجهاد وشدة الحرارة ربما أثروا على تحليلك للأمور.

- وماذا قلت بعد ذلك فيما يخص المياه؟

- قلت إن المياه ربما تساعدك على إيجاد المكان الصحيح للبحث.

توقف نضال مرة أخرى في مكانه دون حراك، وأخذ ينظر من جديد إلى رأس الموديسا بصمت، وبعد ثوان معدودة، ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه، فحول بصره باتجاه صديقه، وقال له بصوت تغمره السعادة:



- أحسنت يا عبد العزيز، كل يوم تثبت لي أكثر أنك عبقري، لقد أرشدتني للتو إلى المكان الصحيح الذي ينبغي علينا البحث عنده.

- ولكن ما الذي قلته بالضبط؟! وكيف ومتى أرشدتك؟!

- المياه! السر يكمن في المياه! كيف لم أنتبه إلى ذلك؟!

أخذ عبد العزيز يقلب زجاجة المياه الخاصة به، ثم قال باستغراب:

- إنها مجرد زجاجة مياه معدنية اشتريتها من متجر المتحف!

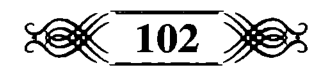
ضحك نضال ثم قال:

- لا أقصد هذه المياه بالتحديد، بل أقصد المياه التي ستساعدنا على حل لغز الموديسا والسهم الموجه إلى الأسفل، فنحن نبحث هنا في المكان الخاطئ، فالرسالة لا علاقة لها على الإطلاق بالمتحف!

- ولكن قبر الإمبراطور موجود هنا، ورأس الموديسا أيضًا!

نظر نضال إلى ساعة يده، ثم قال:

- سأخبرك بكل شيء، ولكني أخشى أننا لا نملك الكثير من الوقت لنضيعه الآن في الشرح، ينبغي علينا أولًا أن نخرج من هذا المتحف لكي نستقل سيارة أجرة تنقلنا إلى المكان الصحيح الذي يحتوي على حل اللغز، فلدينا ساعة واحدة فقط قبل أن يغلق ذلك المكان أبوابه.

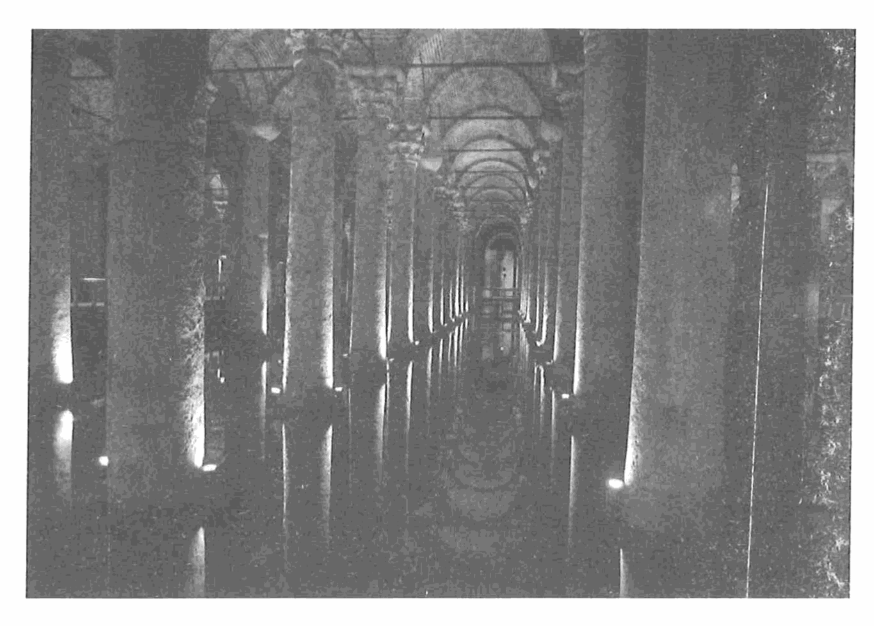


- عن أي مكان تتحدث بالضبط؟

- أتحدث عن المكان الأثري الذي أسسه الإمبراطور قسطنطين تحت الأرض، المكان الذي تخزن فيه مياه القسطنطينية لما يقرب من ألف وخمسمائة عام، خزان القسطنطينية العملاق... «القصر الغارق»!



القصر الغارق



وصل الصديقان إلى ساحة «السلطان أحمد» حيث يوجد مسجد «آيا صوفيا»، وعلى بعد عدة أمتار من ذلك المكان توجها إلى مبنى صغير يصطف أمامه السياح، وبعد وقت طويل من الانتظار عند المدخل، تمكن نضال من شراء تذكرتي دخول، ثم نزل هو وصاحبه درجًا طويلًا قادهما إلى قصر عظيم يقع تحت الأرض، هذا

القصر أحاط بأرجائه من الداخل جو من الرهبة والإثارة والغموض، فقد كانت طرقاته معتمة إلا من بعض الإنارة الخافتة التي ثبتت حول أعمدته الأثرية العملاقة التي حملت هذا البناء الضخم تحت الأرض، في حين كانت طرقاته مغمورة بالمياه التي انعكست عليها أضواء الأعمدة الخافتة لتصبح وكأنها أرضية مصنوعة من المرايا.

- ما هذا المبنى العجيب؟ تساءل عبد العزيز بانبهار.

- هذا المكان هو خزان المياه العظيم للقسطنطينية المعروف بـ «خزان البزايليك الأرضي» «**Cisterna Basilica**» أو «القصر المغمور»، وهو الخزان المائي الذي حمى القسطنطينية لمئات السنين.

- ماذا تقصد بأنه حمى القسطنطينية؟

- هذه المدينة كانت منذ نشأتها هدفًا للفاتحين من أعداء الإمبراطورية الرومانية البيزنطية، وهي مدينة استراتيجية عظيمة التحصين، رشحها «نابليون بونابرت» بأن تكون عاصمة للعالم إذا ما كان العالم دولة واحدة، وبالرغم من تحصينات المدينة الطبيعية والصناعية، إلا أنها كانت تفتقد إلى مصادر المياه العذبة التي تكفي عشرات الآلاف من سكانها، لذلك اعتمدت على مصادر للري تقع خارج أسوارها، فكان تخزين أطنان المياه العذبة في هذا المكان هو ما مكن هذه المدينة من الصمود أثناء فترات الحصار الطويلة التي تعرضت لها عبر تاريخها.

- هل هذا يعني أن هذا الخزان كان من أسباب صمود القسطنطينية أمام محاولات المسلمين المتكررة لفتحها؟

- هذا صحيح، فمنذ أن أشعل الإمبراطور البيزنطي « فلافيوس أغسطس هرقل» «**Flavius Heraclius Augustus**» شرارة الصراع الروماني الإسلامي في عهد النبوة، جرت عدة محاولات إسلامية لفتح هذه المدينة، إلا أنها لم تنجح لشدة تحصينات المدينة واكتفائها بالمؤن والمياه المخزنة التي مكنتها من الصمود لفترات زمنية طويلة من الحصار، حتى تمكن العثمانيون أخيرًا بقيادة محمد الفاتح من فتحها وإنهاء الإمبراطورية الرومانية إلى الأبد.

- وكيف تمكن الرومان من بناء هذا الخزان الضخم تحت الأرض؟

- عمليات بناء وتطوير هذا المكان كانت مشروعًا ضخمًا للإمبراطورية، احتاج لمئات السنين وآلاف العمال معظمهم من العبيد الذين مات كثير منهم أثناء البناء، وقد أسس هيكل هذا المكان الإمبراطور قسطنطين العظيم ليكون «بازيليكا»، أي صالة كبيرة للتبادل التجاري والقانوني والفني، قبل أن يتحول فيما بعد إلى خزان للمياه.

- الآن فهمت، هذا القصر بناه قسطنطين تحت الأرض، وهو ترجمة حرفية لما جاء في رسالة روما «في منزل قسطنطين تحت الأرض»!

- هذا صحيح، كنت أعتقد أول الأمر أن معنى هذه الكلمات رمزي، وأن المقصود هو قبر قسطنطين، حتى ذكرتني أنت بهذا الخزان المائي بواسطة زجاجة المياه التي أعطيتني إياها. قال نضال مبتسمًا.

- وماذا عن رأس الغولة الجميلة؟

- عندما بني هذا المبنى، كانت أغلبية أعمدته التي تزيد عن **300** عمود عبارة عن أعمدة مستخدمة من بقايا أبنية متهدمة وآثار قديمة تم إحضارها من أماكن متفرقة من الإمبراطورية، بعض هذه الأعمدة كان أقصر من الطول المطلوب للبناء، لذلك ثبتت على أحجار ضخمة لتعويض النقص في الطول، ومن بين هذه الأحجار المستخدمة رأسين ضخمين للموديسا من بقايا الآثار اليونانية القديمة في المنطقة، وقد وضع كل من الحجريين على الأرض بطريقة محددة ليتناسب كل منهما مع طول العمود وقاعدته المثبتة على رأس الموديسا، فوضع أحد الرأسين على جانب الوجه، بينما وضع الرأس الآخر بشكل مقلوب من الأعلى إلى الأسفل.

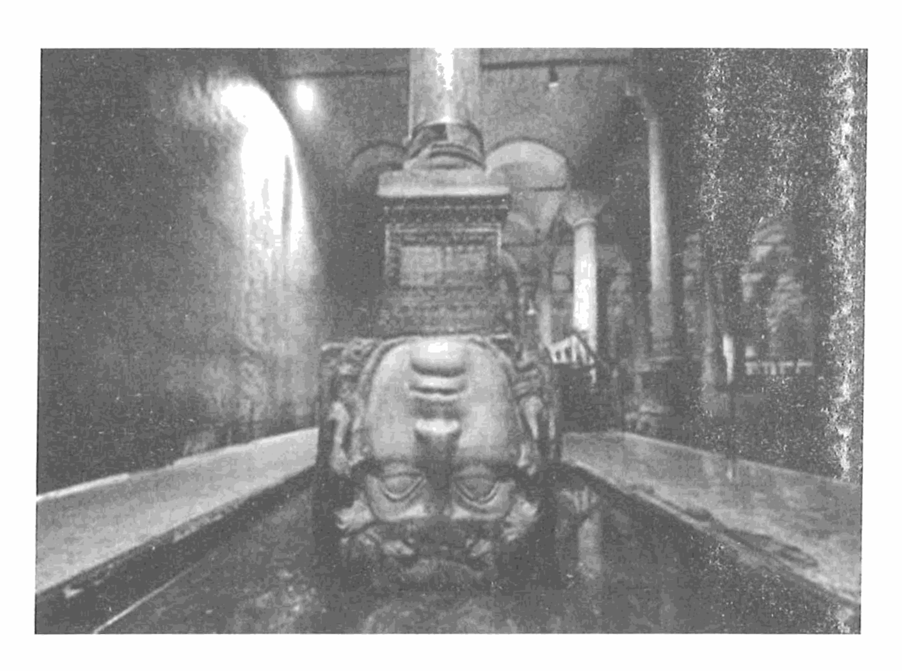
- وهذا هو تفسير رمز السهم الذي يشير إلى الأسفل! قال عبد العزيز مقاطعًا.

- هذا ما أرجحه، فشكل السهم يرمز إلى عدة أشياء، فالسهم يشير إلى الأرض، ونحن الآن في قصر واقع تحت الأرض، ورأس السهم يشير إلى أسفل، وهي إشارة إلى أن رأس الغولة الجميلة الموديسا يشير

إلى أسفل بشكل مقلوب، إضافة لهذا كله فإن شكل السهم المتجه إلى الأسفل يشبه في حد ذاته شكل العمود المثبت على قاعدة شبه مثلثة هي عبارة عن رأس الموديسا.

- هذا يعني أن الحلقة الثانية من لغز الحلقات العشر موجودة عند رأس العمود المثبت على رأس الموديسا المقلوب.

- هذا ما سوف نكتشفه حالًا!



بعد لحظات من المشي في طرقات القصر شبه المظلمة، وصل الصديقان أخيرًا إلى رأس الموديسا المقلوب، فوجداها محاطة بالسياح

من مختلف الجنسيات، فانتظرا حتى أصبح المكان خاليًا تمامًا قبل دقائق قليلة من موعد انتهاء وقت الزيارة المحدد، فأسرعا بالبحث على الحلقة الثانية، ولكنهما لم يجدا أي شيء مكتوب على سطح الرأس، ولم يجدا كذلك أي إشارة على سطح العمود المثبت عليها الرأس.

- نضال، لقد غادر أغلب السياح القصر، وبدأ حراس الأمن يطوفون بعصيهم في طرقات القصر طالبين من بقية السياح المغادرة، وها هو أحدهم في طريقه إلينا، وإذا استمر بالمشي فسوف يصل إلينا خلال دقيقة واحدة على الأكثر!

- «عند رأس الغولة الجميلة» وليس «على رأس الغولة الجميلة»!

- نضال! هل سمعت ما قلته للتو؟!

- الرسالة موجودة عند الرأس، وليس على الرأس! عبد العزيز حاول أن تشغل هذا الحارس لبعض الوقت، بينما أقوم أنا بتفحص هذه الأعمدة القريبة.

وعلى الفور أخذ نضال يتفحص الأعمدة التي تحيط برأس الموديسا، بينما هرول عبد العزيز مسرعًا ليقابل الحارس قبل أن يصل إلى المكان، وعلى بعد أمتار منه، ودون تفكير مسبق، وجد نفسه وهو يلقي بقبعته في الماء بين طرقات القصر، طالبًا من الحارس مساعدته بالتقاطها بواسطة العصا التي كان يحملها، الأمر الذي تتطلب من

الحارس الانتقال إلى طريق آخر يمكنه من الوصول إلى القبعة بعصاه، وخلال ذلك الوقت، مر نضال من أمام عبد العزيز وهو يشير بإبهامه مبتسمًا بأن الأمور سارت بشكل جيد، وأكمل طريقه بهدوء إلى مخرج القصر، في حين ظل عبد العزيز ينتظر الحارس.

وبعد عدة دقائق، خرج عبد العزيز وهو يمسك قبعته المبتلة، فوجد نضال ينتظره في الخارج.

- ما الذي وجدته؟ سأل عبد العزيز مباشرة.

- على سطح الأعمدة المجاورة لرأس الموديسا، وجدت عدة كتابات تركها السياح للذكرى، ومن ضمن تلك الكتابات، وجدت رسالة مكتوبة بالعربية، أدركت من أسلوبها أنها الحلقة الثانية من لغز الحلقات العشر.

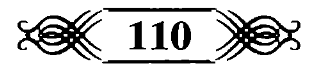
أخرج نضال هاتفه المحمول، وفتح على صورة التقطها لتلك الرسالة:

E

9

عند القبر المنحوت في الصخر، في مدينة أودين المزيف

- إذن فقد أصبح لدينا الآن الرقم الثاني من إحداثيات موقع الكنز وهو الرقم **9**، وأصبح لدينا حرف آخر وهو الحرف **E**، وهذه



الكلمات أسفل الرسالة يبدو أنها تشير إلى وجهتنا المقبلة. قال عبد العزيز وهو يتأمل الرسالة.

- هذا صحيح، لذلك دعنا نرجع إلى الفندق الآن لكي نأخذ قسطًا من الراحة، فأمامنا غدًا رحلة طويلة بالقطار إلى جنوب البلاد.

- إلى أين بالتحديد؟

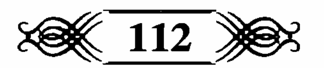
- إلى محافظة «أنطاليا»، حيث توجد مدينة أودين المزيف... مدينة بابا نويل!



في الطريق إلى مدينة بابا نويل

كان قطار الشرق السريع يشق طريقه جنوبًا عبر هضبة الأناضول، وفي القطار جلس نضال وعبد العزيز بصمت على كرسيين متقابلين يتأملان الطبيعة الخلابة التي تتراءى لهم من نافذة القطار، قبل أن يقطع عبد العزيز ذلك الصمت بسؤال وجهه إلى صديقه:

- هل سيوصلنا هذا القطار إلى وجهتنا مباشرة؟



- اسم المدينة التي نريد الوصول إليها هو «ديمري»، وهو الاسم الجديد لمدينة أثرية يعود تاريخها إلى زمن ما قبل الميلاد كان يطلق عليها اسم «ميرا» «**Myra**»، وللأسف فإن هذا القطار السريع يتوقف فقط في المدن الكبيرة، لذلك فإنه ينبغي علينا الانتقال إلى وسيلة نقل أخرى للوصول إليها.

- بالمناسبة من هو بابا نويل؟ وما علاقته بمغامرتنا التي تتمحور حول قصة الآريسيين؟ ولماذا ورد بالرسالة أنه أودين المزيف؟ ومن هو أودين أصلًا؟!

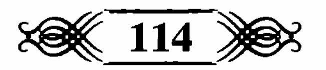
- أتذكر أننا انتهينا من مناقشة هذه التساؤلات أثناء بحثنا عن سر آريوس! واستعرضنا أنا والبروفيسور بريستلي حكاية آريوس والآريسيين بالتفصيل في تلك الليلة التي زرنا فيها أنا وأنت قصر البروفيسور!

ضحك عبد العزيز ثم قال:

- أنا لست خبيرًا في التاريخ مثلك ومثل أستاذك يا صديقي، هل تعتقد حقًا أنني استوعبت كل تلك المعلومات الهائلة التي ناقشتموها في تلك الليلة؟! كنت أهز رأسي أمامكما فقط لمجاراتكما، على الرغم من عدم استيعابي لأغلب تفاصيل تلك الحكاية المتشعبة، والآن اعتبرإنني لا أعلم شيئًا عن حكاية آريوس وما جرى له ولأتباعه،

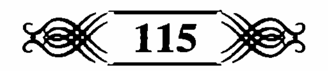
وأعد على مسامعي تلك الحكاية بالتفصيل، فلدينا بعض الوقت حتى موعد وصولنا.

- حسنًا، «بابا نويل» ليس اسمًا في حد ذاته وإنما هو لقب يعني بالفرنسية أبو الأعياد «**Papa Noël**»، وهو نفس اللقب الذي أطلق على أسقف يوناني اسمه «نيكولاس» وهو أسقف مدينة «ميرا» الواقعة في جنوب تركيا، وبعد موته خلعت عليه الكنيسة لقب «قديس» ليصبح اسمه «سانت نيكولاس» ليعرف بعدها اختصارًا بـ «سانتا كلوز»، وكان هذا الأسقف من قادة الأساقفة الداعين إلى بدعة تأليه المسيح، وشارك في «مجمع نيقية» الشهير، وكان من ألد أعداء



فريق الموحدين بقيادة القسيس آريوس، وعلى عكس الصورة التي تنشرها الكنيسة عنه، فلم يكن هذا الأسقف رجلًا ودودًا وضحوكًا كما يظهر في صورة بابا نويل الشهيرة، فأثناء جلسات مجمع نيقية اعتدى نيكولاس بالضرب على زعيم الموحدين القسيس آريوس أثناء عرضه لأدلته حول وحدانية الله، الأمر الذي دفع بالحاضرين إلى طرد نيكولاس من جلسات المجمع وسجنه لتجاوزه للقانون، قبل أن يخرج من السجن بعد نيقية، ليقوم باضطهاد المسيحيين الموحدين في مدينته التي كان أسقفًا فيها.

توقف نضال عن الحديث ليشرب قليلًا من الماء، ثم أكمل حديثه قائلًا:



- ولسبب ما قررت الكنيسة مؤخرًا خلق صورة مزورة عنه، وذلك عن طريق انتحال شخصية أسطورية موجودة في التراث الإسكندنافي لإله وثني يتمثل برجل أبيض اللحية اسمه أودين «**Odin**»، وهو كبير الآلهة في الميثولوجيا النوردية، وأبو «ثور» «**Thor**» إله الرعد عند الأوربيين الشماليين، ووفقًا للأسطورة فإن أودين كان يطير بمركبته في الشتاء ليوزع الهدايا يوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر، فأخذت الكنيسة من أودين كل شيء، ابتداءً من عربته الطائرة، وهداياه، وتاريخ ظهوره، وحتى لحيته البيضاء، وألصقوها بالأسقف نيكولاس، الذي كان في حقيقة الأمر على غير تلك الصورة المحببة للأطفال.



- حسنًا، هل لك أن تحكي لي الآن بشكل مبسط حكاية القسيس آريوس ومجمع نيقية؟



- حكاية القسيس آريوس هي جزء من حكاية أشمل، وهي حكاية الموحدين من أتباع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فبعد المسيح وحتى انعقاد جلسات مجمع نيقية في عشرينات القرن الرابع الميلادي، لم يكن غالبية المسيحيين يعتبرون أن المسيح رب معبود، صحيح أنه كان هناك من كانوا يبالغون في قدرات المسيح وصفاته، ولكن قليلين هم

من اعتبروه إلهًا، ومع مرور الوقت، بدأت فكرة تأليه المسيح تطفو على السطح من بعض الأساقفة الذين تأثروا بالثقافات الوثنية لبلاد اليونان والرومان ومصر، والتي كانت تحتوي على كثير من الأساطير المتعلقة بآلهة بشرية أو نصف بشرية.

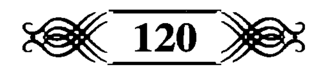
ومع نهايات القرن الثالث وبدايات القرن الرابع، بدأ نجم قسيس ليبي موحد يلمع في سماء العالم المسيحي، هذا القسيس كان اسمه «آريوس» «**Arius**»، وهو من أصول أمازيغية من شمال أفريقيا، كان ليبي المولد ومصري الموطن، ولد في «قورينا» شرقي ليبيا عام **256**، وعاش حياته في «الإسكندرية»، بعد أن تلقى العلم في شبابه في مدينة أنطاكية شمال بلاد الشام على يد أحد أعظم العلماء الأوائل للمسيحية الذين قدموا حياتهم في سبيل إيمانهم، وهو الأسقف السوري الشهير لوسيان الأنطاكي «**Lucian of Antioch**»، هذا الأسقف يسميه المسيحيون الآن «سانت لوسيان» «**Saint Lucian**»، أي القديس لوسيان، ويطلقون عليه أيضًا لقب لوسيان الشهيد «**Lucian the Martyr**»، وذلك لأن أحد أباطرة الرومان الوثنيين قتله بسبب رفضه التنازل عن إيمانه بدعوة المسيح. بعد ذلك ظهر في مدينة الإسكندرية المصرية صراع كبير بين فريقين، الفريق الأول ويقوده الأسقف «ألكسندروس الأول» أسقف الإسكندرية «**Alexander I of Alexandria**»، هذا الفريق كان من الداعين

إلى فكرة تأليه المسيح، أما الفريق الثاني، فكان بقيادة القسيس آريوس، الذي كان قسيسًا على إحدى الكنائس الصغيرة في الإسكندرية، هذا الفريق تصدى لفكرة تأليه المسيح، وكان من ضمن فريق الموحدين في مصر «ميلوتيوس» أسقف أكبر مدن الصعيد مدينة «ليكوبوليس» المعروفة بمدينة «أسيوط» حاليًا، ولما اشتد الصراع بين الفريقين كثف آريوس ورفاقه من تحركاتهم لدعوة الناس إلى توحيد الله، فأيده كثير من المسيحيين في مصر، وبات هذا الأمر يسبب إزعاجًا لأسقف الإسكندرية، فأصدر قرارا كنسيًا بعزل آريوس من كنيسته الصغيرة، ولكن وبالرغم من تلك الحرب التي شنتها الكنيسة عليه، استمر آريوس في دعوة التوحيد، فبعث برسالة يطلب فيها التأييد لقضيته من أحد زملائه في الدراسة عند معلمه لوسيان الشهيد، هذا الزميل كان اسمه «يوسابيوس النيقوميدي» «**Eusebius of Nicomedia**»، فأعلن يوسابيوس علانية تأييده الكامل لدعوة زميله التوحيدية، ثم وصلت أخبار هذا الصراع إلى بقية الكنائس المسيحية، فأعلن بقية تلاميذ لوسيان الشهيد الذين أصبحوا أساقفة كبار في مدنهم تأييدهم لدعوة التوحيد التي حمل لواءها آريوس، وبعثوا برسائل تأييد إلى زميلهم، في حين أيد عدد آخر من أساقفة المدن الأخرى بابا الإسكندرية في دعوته لتأليه المسيح.

في نفس ذلك الزمن تمكن الإمبراطور قسطنطين العظيم أخيرًا

من توحيد أرجاء الإمبراطورية الرومانية بعد انتصاره في الحرب الأهلية الطاحنة التي وقعت بين الرومان، وبما أن أغلب الكنائس كانت واقعة تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية، فقد خشي الإمبراطور أن يأخذ الصراع بين فريق الموحدين المسيحيين وفريق مؤلهي المسيح طابعًا تهديديًا للسلم الاجتماعي في مدن إمبراطوريته التي خرجت للتو من حرب أهلية، وفي نفس الوقت أراد قسطنطين أن يثبت حكمه عن طريق السيطرة على السلطة الدينية للمسيحيين، فسعى إلى تطويع المسيحية بحيث تصبح أقرب إلى الوثنية الرومانية التي كانت الدين الرسمي للرومان، فدعا الإمبراطور قسطنطين جميع أساقفة الإمبراطورية إلى اجتماع عاجل في مدينة تقع بالقرب من إسطنبول الحالية، هذه المدينة تسمى مدينة «نيقية» «**Nicaea**»، فاجتمع الأساقفة من مختلف أرجاء العالم المسيحي في أول مؤتمر ديني مسيحي في التاريخ، والذي عرف بالمجمع المسكوني الأول « مجمع نيقية» «**Council of Nicaea**»، وبدأت جلسات المجمع في العشرين من شهر مايو واستمرت إلى الخامس والعشرين من شهر يوليو من عام **325**م، وعلى الرغم من أن قسطنطين العظيم كان ما يزال وثنيًا في ذلك الوقت، فقد حرص الإمبراطور الروماني الوثني على حضور جلسات المؤتمر والتدخل في قراراته أيضًا.

- وكيف سارت أحداث هذا المجمع؟ سأل عبد العزيز.





- جلسات هذا المجمع شهدت نقاشات حادة بين فريقي الموحدين بقيادة الأسقفين الكبيرين آريوس ويوسابيوس، ومعه كثير من الأساقفة الموحدين، وللمفارقة العجيبة كان أسقف مدينة نيقية نفسه «ثيوغينس النيقي» «**Theognis of Nicaea**» مسيحيًا موحدًا ومن بين قادة الأساقفة الموحدين في هذا المؤتمر، هذا الفريق كان ينادي بأن المسيح مخلوق من الله، في حين نادى الفريق المقابل بأن المسيح إله غير مخلوق، وكان هذا الفريق بقيادة شاب أرسله بابا الإسكندرية لينوب عنه اسمه «أثناسيوس السكندري» «**Athanasius of Alexandria**»، أثناسيوس كان من أسرة وثنية وكان هو نفسه وثنيا قبل أن يتبناه ألكسندروس الأول ويجعله

أحد تلامذته، على عكس آريوس ويوسابيوس الذين ولدا على دين المسيح، وتتلمذا على يدي لوسيان الأنطاكي الذي يعتبر أحد أعظم علماء الدعوة المسيحية في التاريخ ويسميه المسيحيون حتى يوم الناس هذا بلوسيان القديس أو لوسيان الشهيد، وبعد أسابيع من النقاشات الطويلة، جاءت لحظة التصويت على وثيقة تنص لأول مرة في تاريخ المسيحية على ألوهية المسيح، وكانت كثير من الأساقفة مع عدم التصويت عليها، إلا أن التصويت لم يكن حرًا، فقد كان الإمبراطور قسطنطين بحكم دينه الوثني ضد فكرة توحيد الله، فدين الرومان الوثني يتعارض مع فكرة التوحيد من الأساس، لذلك وقف الإمبراطور ضد فريق الموحدين بقيادة آريوس، وقرر أن تكون نتيجة التصويت لصالح من ينادون بألوهية المسيح، ووفقًا لكتاب «الكنيسة، الانشقاق والفساد» للمؤرخ «أخيم ماسيكو» «**Church Schism & Corruption**» فقد أصدر الإمبراطور قسطنطين بيانًا مسبقًا يهدد فيه كل من يرفض التصويت لصالح هذا الاعتقاد المنادي بألوهية المسيح، لذلك أخذ الأساقفة الموحدون هذا التهديد على محمل الجد، خاصة مع علمهم المسبق بالمجازر المروعة التي قام بها الأباطرة الرومان في حق المؤمنين المسيحيين عبر التاريخ، فقرر غالبيتهم التصويت لعقيدة نيقية مكرهين، واعتقدوا أنها مجرد حبر على ورقة لن يغير ما في صدور المسيحيين من إيمان،

وفيما يبدو أن أغلب الموحدين خططوا للنجاة بأنفسهم من الفخ الذي نُصب لهم، والرجوع إلى مدنهم ليستكملوا دعوة التوحيد المسيحية التي اعتقدوا أنها لن تتأثر بورقة وُقعت كرهًا تحت حكم ملك وثني مستبد، في حين كان رجال الكنيسة من مؤلهي المسيح يدركون تمام الادراك بأن الأساقفة الموحدين وقعوا على وثيقة نيقية مكرهين، لذلك قاموا مباشرة بعد اختتام جلسات المجمع بعزلهم جميعًا من كنائسهم ونفيهم الى قرى وجزر نائية، وعينوا بدلًا منهم أساقفة من الداعين لتأليه المسيح، ودمروا كثيرًا من الكنائس التوحيدية، وفرضوا على عامة المسيحيين الإيمان بالعقيدة التي صارت تعرف بـ «عقيدة نيقية» «**Nicene Creed**»، والتي كتبت فيها لأول مرة في التاريخ أن المسيح بن مريم إله معبودْ، ونفي آريوس وكثير من الأساقفة الموحدين إلى مناطق نائية، واعتقد «النيقيون» أنهم قضوا نهائيًا على «الأريسيين»!

- ولكن الأريسيين عادوا بعد ذلك أقوى من ذي قبل، أليس كذلك؟

- نيقية كانت مجرد البداية للحرب الكبرى التي اندلعت بين الآريسيين والنيقيين، فبعد هذا المجمع بفترة قصيرة، حدث أمر عجيب لم يتوقعه أحد غير من موازين القوى في ذلك الزمان!



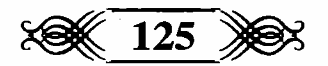
توقف الصديقان فجأة عن تبادل الحديث بعد أن لاحظا اقتراب القطار من المحطة التي يريدانها، وبعد نزولهما من القطار، ركبا في حافلة سياحية متجهة إلى مركز مدينة ميرا الأثرية، ومن هناك توجها مشيًا على الأقدام في طريق وعرة بين الغابات حتى وصلا إلى مكان صخري يشرف على ساحل البحر المتوسط، وهو المكان الذي يعتقد نضال أنه يخفي الحلقة الثالثة من حلقات لغز الحلقات العشر!

القبور العجيبة

تعجب عبد العزيز وهو ينظر إلى جبل في مدينة ميرا نحتت في صخوره أبنية كبيرة، فأشار إليها متسائلًا:

- ما هذه البيوت الصخرية الضخمة؟

- ليست بيوتًا، بل قبورًا نحتها السكان الأصليين لهذا المكان قبل ما يقرب من ألفي عام! أجاب نضال.



- ولكن لماذا اختار السكان هنا أن تكون قبورهم منحوتة في أعالي الجبال؟!

- هذه المدينة كانت في وقت من الأوقات عاصمة الليقيين، والليقيون هم سكان «ليقيا» «**Lykia**»، وهي اسم قديم لإقليم يقع جنوب غرب آسيا الصغرى، وسكنها شعب قديم من شعوب شرق البحر المتوسط، حيث كونت ميرا إضافة لبعض مدن المنطقة نظامًا سياسيًا شبيهًا بالنظام الفيدرالي، سمي هذا النظام بـ «الرابطة الليقية» «**the Lycian language**»، وقد كان السكان هنا يعتقدون أن أرواحهم تنتقل إلى العالم الآخر عن طريق كائنات مجنحة تشبه حوريات البحر، لذلك نحتوا هذه القبور في الجبال بالقرب من ساحل البحر، واختاروا أن يكون شكلها من الخارج مشابهًا لبيوتهم ومعابدهم، في حين نحتت في داخل القبور أشكال تشبه أشكال الأشخاص المتوفين إضافة لأشكال أقاربهم.

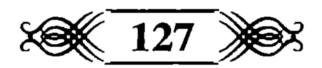
- إذن فإن الحلقة الثالثة من لغز الحلقات العشر موجودة في إحدى هذه القبور كما جاء في الرسالة التي وجدناها في إسطنبول!

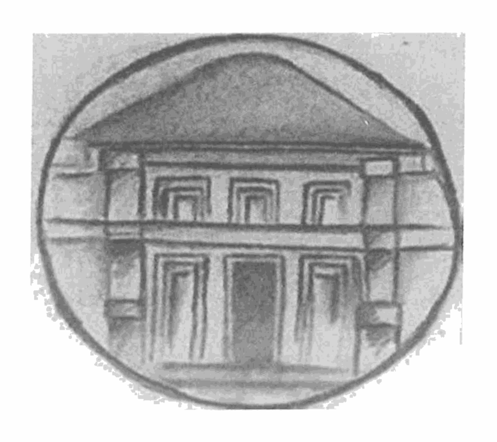
- هذا صحيح.

- ولكن هناك عدد كبير من هذه القبور في هذه المنطقة، هل ينبغي علينا أن نتسلق الجبل لكي نبحث فيها قبرًا قبرًا!

صمت نضال للحظة وهو ينظر إلى الجبل الذي يحتوي على القبور المنحوتة، ثم أخرج ورقة اللغز من حقيبته، وألقى نظرة سريعة عليها، قبل أن يحول نظره مرة أخرى نحو الجبل، وهو يشير إلى أحد القبور المبنية بشكل مميز قائلًا:

- هذا هو القبر الذي سنبحث فيه، فشكله يشبه الشكل المرسوم داخل الحلقة الثالثة من حلقات اللغز!





وبعد ذلك انتقل نضال وعبد العزيز إلى مبنى القبر المنحوت، وهناك وجدا رسالة جديدة مكتوبة على الجدار الداخلي للمبنى:

V

6

في النفق السري، أسفل القوس الأخير، في مدينة القائد

- حرف جديد، ورقم جديد! قال عبد العزيز وهو يتفحص في الرسالة.

- وكلمات جديدة أيضًا تشير إلى وجهتنا القادمة! أضاف نضال.

- وإلى أين تشير هذه الكلمات بالتحديد؟

أخرج نضال ورقة لغز الحلقات العشر من حقيبته، أخذ يدقق في الرمز الموجود في الحلقة الرابعة، ثم قال:

- هذا الرمز هو رمز الزلازل، لذلك أعتقد يا صديقي أنه ينبغي علينا العودة في نفس القطار الذي جئنا فيه.

- إلى إسطنبول مرة ثانية؟

- علينا النزول من القطار قبل مدينة إسطنبول بقليل، وبالتحديد في مدينة ضربها زلزال مدمر قبل عدة سنوات، مدينة «إزميت»، والتي كانت تعرف في السابق باسم «نيقوميديا»، مدينة صديق الإمبراطور قسطنطين العظيم، وزعيم فريق الآريسيين الذي

استطاع تغيير قوانين اللعبة بعد مجمع نيقية، مدينة القائد «يوسابيوس النيقوميدي»!

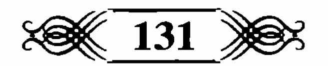




في مدينة القائد

يوسابيوس النيقوميدي
Eusebius of Nicomedia

كان الإرهاق الشديد قد بلغ من نضال وعبد العزيز مبلغه عندما تمكنا بشق الأنفس من اللحاق بالقطار الأخير المتوجه إلى إسطنبول، وبمجرد جلوسهما في مقعديهما، غطا في نوم عميق لم يوقظهما منه سوى مفتش التذاكر في منتصف الرحلة، وبعد أن استيقظا



من النوم ذهبا إلى مطعم القطار وأحضرا بعض الشطائر والمشروبات الباردة وعادا إلى مقعديهما، وأثناء تناولهما لطعامهما أخذا يتجاذبان أطراف الحديث:

أتذكر يا نضال ما أخبرتني به في السابق بأن أحفظ اسم هذا الشخص جيدًا «يوسابيوس النيقوميدي»، ولكنك لم توضح لي بالتفصيل ما الذي قام به!

- هذا الرجل كان له دور محوري ليس فقط في تاريخ المسيحية، بل في تاريخ الإنسانية بأسرها، وما قام به من أعمال ساهم في تغيير خارطة أوروبا وشمال أفريقيا والعالم القديم بشكل عام، ويمكن اعتباره الزعيم الحقيقي لفريق الموحدين المسيحيين الذين باتوا يعرفون باسم الأريسيين «**The Arians**».

- كنت أعتقد أن آريوس هو الزعيم الأول للآريسيين!

- في حقيقة الأمر أن أريوس لم يأتِ بشيء جديد من عنده، بل كانت تعاليمه مستمدة من تعاليم المسيح نفسه وتعاليم المعلمين الكبار للمسيحية، فدعوة آريوس القائمة على فكرة توحيد الله، وأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان إنسانًا مخلوقًا من الله، لم تكن اختراعًا جديدًا جاء به، وإنما كانت نتاجًا لما تعلمه من أستاذه «الوسيان الشهيد» الذي كان بدوره يتبع آراء أتباع المسيح الأوائل في وحدانية الله، إضافة لهذا

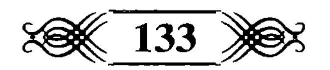
كله فإن آريوس تم نفيه بعد مجمع نيقية مباشرة، وأحرقت جميع كتاباته بأوامر من رجال الكنيسة، وحتى عندما تغير موقف الإمبراطور منه وأحضره من النفي إلى العاصمة القسطنطينية، تم اغتياله في نفس يوم وصوله، لذلك فإن أريوس لم يستطع أن يقوم بأعمال كثيرة في حياته، ولكن الشهرة التي نالها جاءت من كونه الشخص الذي أخذ على عاتقه مهمة التصدي للبدعة التي أريد لها أن تنتشر بين المسيحيين، وهي بدعة تأليه المسيح، وتنبع أيضًا من موقفه الثابت الرافض للتوقيع على نتائج مجمع نيقية بالرغم من كل التهديدات التي أطلقها الإمبراطور قسطنطين العظيم، الذي أمر جميع الأساقفة الحاضرين بالموافقة على ما بات يعرف بعد ذلك بـ «عقيدة نيقية» «**Nicene Creed**».

- وهل كان يوسابيوس النيقوميدي مثل زميله آريوس ورفض التوقيع على نتائج المؤتمر؟

- بالرغم من أن يوسابيوس كان من قادة الموحدين في نيقية، إلا أنه وقع في نهاية الأمر على ما جاء في الوثيقة النهائية.

- إذن فهذا الأسقف لم يكن قويًا وصلبًا مثل آريوس!

- استمع إليَّ جيدًا يا عبد العزيز، ما سأقوله الآن ليس دفاعًا عن يوسابيوس أو غيره من الموقعين، وإنما فقط محاولة لفهم الصورة كاملة ورؤيتها من جميع جوانبها، هناك نقطة يجب أن نضعها في



الحسبان دائمًا، ليس فقط في قراءة التاريخ، الذي هو في نهاية الأمر منتج بشري، وإنما أيضًا لفهم الحياة من حولنا، هذه النقطة تتلخص في الآتي:

«البشر يختلفون في قدراتهم، ويختلفون في اجتهاداتهم، ويختلفون أيضًا في أساليبهم التي يختارونها لمواجهة أمور الحياة المختلفة التي تواجههم، فمن الخطأ الحكم على موقف أي شخص تجاه قضية من القضايا دون فهم الدوافع التي أدت لاختياره لهذا الموقف، ورؤية النتائج النهائية التي ترتبت على اختياره».

- وهل كانت طبيعة يوسابيوس تختلف عن طبيعة آريوس؟

- إذا ما اعتبرنا أن آريوس كان يمثل الصخرة الصلبة التي تصدت لفكرة تأليه المسيح، فإن يوسابيوس كان بمثابة السياسي الداهية الذي فضل مناورة النيقيين الذين استندوا على قوة أصحاب السلطة السياسية واستعانوا بملك وثني لتغليب وجهة نظرهم في قضية فكرية بحتة تتعلق بالمسيحيين وحدهم، باختصار كان يوسيابيوس النيقوميدي نوعًا خاصًا من الرجال الذين يمكن أن نطلق عليهم لقب رجل بأمة، هذا القسيس السوري الموحد، الذي كان في السابق أسقفًا لمدينة بيروت اللبنانية، كان سياسيًا حكيمًا يعرف كيف تدار الأمور بحكمة وروية، بالإضافة لعلمه المسيحي الكبير الذي

تعلمه من أستاذه لوسيان الشهيد، فإذا ما اعتبرنا شخصية آريوس شخصية صلبة وعنيدة في الصمود على الحق، فإن شخصية يوسابيوس كانت شخصية مرنة وسياسية إلى أبعد الحدود.

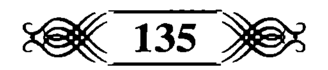
- ولكن كيف عرفت أن يوسابيوس هو المقصود في رسالة اللغز وليس آريوس؟

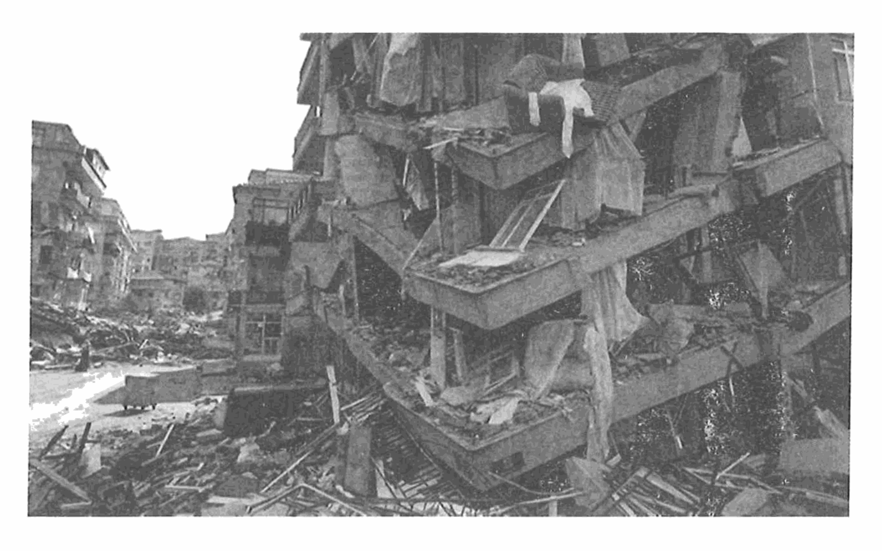
- أتقصد بهذا السؤال كيف عرفت أن المقصود بـ «مدينة القائد» هي مدينة يوسابيوس وليست مدينة آريوس؟

- بالفعل هذا ما أقصده، كيف عرفت أن المدينة المقصودة هي نيقوميديا؟!

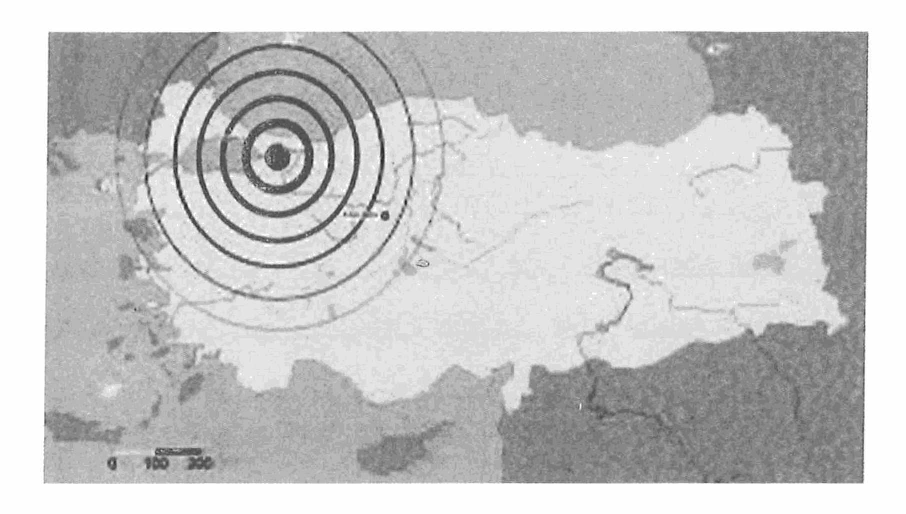
- لسببين اثنين، السبب الأول هو الرمز الموجود في الحلقة الرابعة من حلقات اللغز، هذا الرمز هو رمز الزلازل، ومدينة نيقوميديا، أو إزميد حاليًا، اشتهرت بالزلزال المدمر الذي ضرب تركيا نهاية القرن الماضي، زلزال عام **1999**، أو كما يعرف بـ «زلزال إزميد» «**The 1999 İzmit earthquake**».

- أتذكر هذا الزلزال جيدًا! كنت صغيرًا وقتها، ولكن أتذكر كيف كانت أمي تحرص على متابعة الأخبار الواردة عن هذا الزلزال من خلال الإذاعة المغربية، وأتذكر كيف أن التقديرات حول أعداد الضحايا كانت تزداد من ساعة إلى أخرى على مدار أسبوع كامل.





- كان زلزال إزميد من أسوء الزلازل التي ضربت تركيا على الإطلاق، ويعده بعض العلماء من أسوء الزلازل التي ضربت الأرض في التاريخ، وقد أدى توقيته الذي كان في وقت متأخر من الليل إلى زيادة أعداد الضحايا الذين تجاوزوا 17 ألفًا قضى أغلبهم وهم على فراش النوم، بينما تجاوزت أعداد المصابين عشرات الآلاف، في حين شرد ما يقرب من ربع مليون إنسان وأصبحوا دون مأوى، هذه المأساة كانت نتيجة لـ 37 ثانية فقط هي مدة الزلزال، هذه الثواني القليلة كانت كفيلة بتدمير مدينة إزميد العريقة عن بكرة أبيها، وتحويل كثير من المدن والبلدات القريبة منها إلى خراب وركام، ووصل تأثير هذا الزلزال إلى بعض أحياء إسطنبول القريبة من مركز الزلزال.



- لا يمكنني تصور حجم الكارثة الإنسانية التي كانت ستحصل لو أن مركز هذا الزلزال كان في مدينة إسطنبول المكتظة بملايين السكان!

- للأسف يا عبد العزيز فإن خبراء الزلازل يتوقعون زلزالًا قويًا سيضرب مدينة إسطنبول خلال السنوات القادمة، فتركيا تقع على صفيحة غير مستقرة جيولوجيًا وهي صفيحة الأناضول التي تعتبر من أكثر المناطق المعرضة للزلازل في العالم، وبتتبع مسار الزلازل فيها خلال القرن الماضي، يُخشى أن يكون الدور القادم على مدينة إسطنبول، وتاريخيًا ضربت هذه المدينة منذ زمن البيزنطيين عدة زلازل مدمرة.

- وما هو السبب الثاني الذي جعلك تتأكد أن نيقوميديا أو إزميد هي المدينة التي ينبغي علينا البحث فيها عن الحلقة الرابعة من لغز الحلقات العشر؟ سأل عبد العزيز.

- السبب الثاني هو ما جاء في الرسالة عن «النفق السري»، فهذه المدينة يخترقها نفق سري عمره أكثر من ألفي عام تم اكتشافه مؤخرًا، فأثناء عمليات التنقيب وإزالة الأنقاض التي أعقبت زلزال إزميد المدمر عام **1999**، تم العثور تحت ركام أحد المباني على قصر ملكي يحتوي على عدد كبير من التماثيل الرومانية القديمة، وبالقرب من القصر وتحت الأرض عثر على مسرح روماني حجري يشرف على نفق سري يخترق قاع المدينة.

- وما المقصود بـ «القوس الأخير» الذي جاء في الرسالة! قال عبد العزيز.

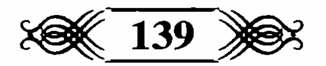
- ممرات هذا النفق تحتوي على أقواس رومانية، لذلك علينا البحث عند القوس الأخير على الخيط التالي من خيوط لغزنا!



داخل النفق السري

كان نضال وعبد العزيز يشقان طريقهما ببطء داخل نفق نيقوميديا السري، وقد أشعل كل منهما مصباح هاتفه الجوال لكي يتفحص خطواته في ذلك النفق المظلم.

- عندما حدثتني عن هذا النفق، اعتقدت أنه مجرد سرداب صغير تحت الأرض، ولم أتخيل أن يكون بهذا الاتساع وهذا الطول! قال عبد العزيز وهو يتأمل النفق.



- حُفر هذا النفق بطول 2 كيلو متر تحت مدينة نيقوميديا ليمتد من المسرح بالقرب من القصر الملكي حتى يصل إلى خليج بحر مرمرة، وكان بمثابة الممر السري لهروب العائلة المالكة والحاشية المرافقة لها في حالة سقوط المدينة، فمن خلاله يمكنهم الوصول إلى بحر مرمرة للإبحار من هناك إلى ملاذ آمن بعيدًا عن الغزاة المحتملين.

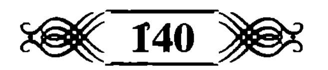
- هذا يعني أن أمامنا مسافة لا بأس بها من المشي.. لذلك أرجو أن تكمل لي أثناء مسيرنا قصة أسقف هذه المدينة يوسابيوس النيقوميدي، فحتى الآن لا أعلم كيف استطاع يوسابيوس العودة بالآريسيين إلى ساحة الأحداث من جديد بعد أن كانوا على وشك الفناء.

- حسنًا، بعد ثلاث سنوات من مجمع نيقية، وبالتحديد عام 328، استطاع يوسابيوس العودة من النفي ليكون أحد المقربين من الإمبراطور قسطنطين العظيم.

- ولكن كيف تمكن من ذلك؟

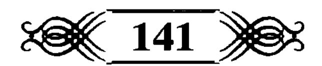
- بالرغم من كل ما قام به النيقيون بعد مجمع نيقية من عمليات قتل ونفي وإحراق للكتب تهدف بالدرجة الأولى إلى إنهاء الوجود الآريسي للأبد، بدأت عملية القيام الآريسي من مكان لم يتوقعه أحد، وبالتحديد من داخل قصر الإمبراطور قسطنطين نفسه، وعن طريق شخص لم يحسب النيقيون حسابه على الإطلاق.

- ومن هو ذلك الشخص؟



- إنها أم قسطنطين العظيم الإمبراطورة «هيلانة» «**Helena**»، المعروفة بالقديسة «سانت هيلانة» «**Saint Helena**»، هذه الإمبراطورة كانت على عكس ابنها وزوجها مسيحية من أبوين مسيحيين، وكانت موحدة ومتأثرة بتعاليم البطريرك الموحد «لوسيان الأنطاكي» أستاذ آريوس ويوسابيوس، ووفقًا لكثير من المؤرخين لعبت هيلانة دورًا بارزًا بعد مجمع نيقية في عملية إعادة الآريسيين، فقامت بتقريب يوسابيوس من ابنها قسطنطين، وبعد فترة قصيرة أصبح يوسابيوس صديقًا مقربًا للإمبراطور، وصار يناقش الإمبراطور حول حقيقة دعوة المسيح التوحيدية، وأوضح له أن ما قام به في نيقية من الإقرار بألوهية المسيح كان بدافع الخوف، فكما ورد في وثيقة تاريخية عبارة عن رسالة بعثها يوسابيوس إلى الإمبراطور قسطنطين العظيم، تبرأ يوسابيوس مما سماه «الكفر» الذي أقره مجمع نيقية، وقد وردت هذه الوثيقة في عدة مصادر تاريخية مثل كتاب الكاتب الألماني الكاثوليكي ماتياس هوفمان، **Vergiss das Leben nicht!: Ein Blick auf den Gott Abrahams**، «لا تنسَ حياتك، نظرة إلى رب إبراهيم»، جاء في تلك الرسالة التي كتبها يوسابيوس إلى قسطنطين:

«لقد ارتكبنا خطيئة أيها الأمير، عندما دفعنا خوفنا منكم للموافقة على كفر!»



- وكيف تطور موقف الإمبراطور من الآريسيين بعد ذلك ؟

- بعد أن أصبح يوسابيوس النيقوميدي مقربًا من قسطنطين، أخذ هذا الأسقف السوري يوضح للإمبراطور أن ما جاء به آريوس ليس شيئًا جديدًا، بل هو نفسه ما دعا إليه المسيح، فاقتنع بكلام يوسابيوس عن دعوة التوحيد، وأدرك قسطنطين حجم الكارثة التي تسبب بها لأتباع المسيحية بإجباره القساوسة على التوقيع على مجمع نيقية، بعد أن أيقن قسطنطين قاعدة غابت عن كثير من المسيحيين، وهي:

«الدين الذي تحدد عقيدته من قبل مجموعة من البشر
عن طريق التصويت في مؤتمر، ليس دينًا من صنع الخالق!»

لذلك قرر الإمبراطور البيزنطي إرجاع الأمور إلى نصابها، ولكن ميزان القوى الدينية في ذلك الوقت كان قد تغير بشكل كبير، فقد عُزل الأساقفة الموحدين بعد مجمع نيقية، وسيطر النيقيون على كنائس الإمبراطورية بشكل شبه كامل، وقام هؤلاء بدورهم باضطهاد الآريسيين وتعذيبهم، فكانت هناك خطورة كبيرة على وحدة وسلامة الإمبراطورية، وذلك لأن أي تهديد على سلطة الكنيسة الدينية، سيشكل بالضرورة تهديدًا لسلطة الإمبراطور السياسية، إلا أن الإمبراطور قسطنطين صمم على تدمير ذلك الوحش الذي تسبب

هو في صنعه، فقام بمعونة من الأسقف الموحد يوسابيوس بسحب البساط بشكل تدريجي من تحت أرجل النيقيين، وفي عملية متأنية استطاع قسطنطين العظيم عزل ثلاثة من أكبر القادة النيقيين، فعزل في عام **330** أويستاثيوس **Eustathius of Antioch** أسقف أنطاكيا ثالث أكبر مدن الإمبراطورية، وبعدها بـ **5** سنوات أي عام **335** عزل رأس النيقيين وعدو التوحيد الأول أثناسيوس الذي كان قد أصبح أسقفًا للإسكندرية بعد مجمع نيقية، وفي **336** عزل الإمبراطور مارسيلوس أسقف أنقرة **Marcellus of Ancyra** الذي كان أحد أكبر الداعمين لبدعة تأليه المسيح.

- ولكن أين كان آريوس خلال كل ذلك الوقت؟ تساءل عبد العزيز.

- يبدو أن الخطة كانت تقضي بإبعاد آريوس عن الصورة في ذلك الوقت الحرج لعدم إثارة البلبلة في صفوف الأساقفة النيقيين، ولكن بعد أن تمت إزاحة مراكز القوى للنيقيين، وصار المناخ مناسبًا لعودة زعيم الموحدين، أرسل قسطنطين مباشرة إلى القسيس آريوس في منفاه طالبًا منه القدوم إلى القسطنطينية، وبعد مسيرة نضال وكفاح استمرت لسنوات طويلة، وصل بطل التوحيد المسيحي آريوس إلى عاصمة الإمبراطورية القسطنطينية عام **336**م، ليستقبله الإمبراطور قسطنطين العظيم بنفسه في قصره، وبعد ذلك

خرج آريوس من قصر الإمبراطور في موكب احتفالي برفقة رفاقه الموحدين وعلى رأسهم يوسابيوس النيقوميدي ليحيي عامة المسيحيين الذين اصطفوا لتحيته في الشوارع، ليتم اغتياله بالسم في نفس اليوم، على الأرجح بواسطة أسقف القسطنطينية النيقي «ألكسندر» الذي زاره آريوس في نفس يوم اغتياله.

- وماذا حصل بعد وفاة آريوس؟

- بعد ذلك بأشهر قليلة وفي عام 337م أعلن الإمبراطور قسطنطين العظيم بشكل واضح ورسمي تركه للوثنية واتباعه لدعوة المسيح التوحيدية، واختار صديقه الأريسي يوسابيوس النيقوميدي ليتم تعميده على يديه، ليصبح أعظم إمبراطور للدولة البيزنطية الرومانية على الإطلاق قسطنطين الثاني المعروف بقسطنطين العظيم أول إمبراطور بيزنطي موحد في تاريخ الأرض، الطريف أنك لو بحثت عن قسطنطين في الإنترنت لوجدت أن جميع الكنائس الحالية تعتبره أحد أهم قديسي المسيحية عبر التاريخ، وأنه هو سبب انتصار المسيحية ونشرها في العالم، دون أن يذكروا لعامة المسيحيين أن قسطنطين اختار الآريسية كمذهب له، ولم يختر دعوة النيقيين التي تؤمن بألوهية المسيح، أي أن قسطنطين كان رافضًا لفكرة ألوهية المسيح، وكان من أنصار التوحيد، ومن أعداء الكنيسة التي يحاول باباوتها الآن المتاجرة باسمه وتاريخه، وهو ما عبر عنه

المؤرخ الغربي مارك الينكسون في موسوعته التاريخية الكبيرة (الرجوع إلى جذورنا) **(Reclaiming our roots)**:

Constantine and his successors made life pretty miserable for Church leaders committed to the decision and its Trinitarian formula Nicene

«قسطنطين وخلفاءه جعلوا الحياة بائسة جدا لزعماء الكنيسة النيقيين، ودعوتهم التثليثية»

- وهل يعلم المسيحيون حاليًا حقيقة عقيدة قسطنطين التي مات عليها؟

- رجال الكنيسة يعلمون ذلك بالتأكيد، ولكن عامة المسيحيين لا يعلمون شيئًا عن هذا الأمر، فقد تعمدت الكنيسة إخفاء هذه الحقيقة الصادمة عن عامة المسيحيين، لمعرفتهم بالشعبية الكبيرة التي يتمتع بها قسطنطين في الوجدان المسيحي، لذلك لن تجد على سبيل المثال فلمًا واحدًا يتحدث عن قسطنطين بالتفصيل، بالرغم من أن حياة هذا الإمبراطور الروماني مليئة بالدراما والوقائع التاريخية المثيرة، وحتى رواية «شفرة دافنشي» لدان براون حوربت من قبل الكنيسة لأنها تطرقت بشكل مختصر إلى قضية ألوهية المسيح وما حدث في مجمع نيقية، والمشكلة التي تواجه الكنيسة أنها لا تستطيع

أن تزيف في تاريخ قسطنطين كثيرًا، لذلك اختارت عدم التطرق إلى تفاصيل المذهب الذي اختاره عند اتباعه للمسيحية، فكل المثقفين والمؤرخين المسيحيين القدماء والمعاصرين يجمعون على أن الإمبراطور قسطنطين اختار اتباع المسيحية على يدي صديقه الموحد يوسابيوس النيقوميدي الذي عمده بيديه، ويوسابيوس كما هو معروف عنه هو القسيس الذي تجمع كل الكنائس المعاصرة بأنه كان قائد الآريسيين الموحدين بعد آريوس، فلماذا اختار الإمبراطور أن يتم تعميده من قبل يوسابيوس النيقوميدي بالذات؟ ولماذا توفي في مدينة نيقوميديا بالذات حيث يوجد صديقه يوسابيوس؟!

- ولكنك أخبرتني أن قبره كان موجودة في كنيسة الحواريين في القسطنطينية؟

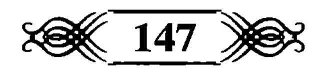
- هذا صحيح، الإمبراطور دفن هناك، ولكنه توفي في نيقوميديا، ونقل جثمانه إلى القسطنطينية بعد ذلك.

- وماذا حصل للأريسيين بعد وفاة قسطنطين؟ تساءل عبد العزيز من جديد.

- بعد رحيل الإمبراطور قسطنطين العظيم عام **337**، قسمت الإمبراطورية الرومانية البيزنطية إلى أربعة أقسام، وكان القسم الشرقي وعاصمته القسطنطينية من نصيب ابن من أبناء قسطنطين، وهو «قسطنطيوس الثاني»، ومباشرة بعد تسلم

قسطنطيوس الثاني مقاليد القسم الشرق للإمبراطورية، أصدر قرارًا بتعيين زعيم المسيحيين الموحدين في ذلك الوقت الأسقف يوسابيوس النيقوميدي كأسقف لعاصمة الإمبراطورية «القسطنطينية»، وبعد ذلك استطاع أن يوحد جميع أجزاء الإمبراطورية الرومانية البيزنطية تحت حكمه عام **350**، وأعلن المسيحية التوحيدية، أو الآريسية، دينًا رسميًا للإمبراطورية الرومانية البيزنطية الممتدة من إنجلترا وهسبانيا والمغرب إلى العراق وتركيا مرورًا بكامل شمال أفريقيا ومصر وأوروبا الوسطى، بعد أن أمر الإمبراطور الموحد قسطنطيوس الثاني بعقد عدة مجامع مسكونية اتفق خلالها الأساقفة المسيحيون على إلغاء قرارات مجمع نيقية وجميع الانحرافات العقدية التي نتجت عنه، كان من أبرز تلك المجامع مجمع ميلانو الإيطالية عام **355**، حيث كانت مدينة ميلانو في ذلك الوقت تعتبر معقلًا من أهم معاقل التوحيد في أوروبا، ويمكن اختصار صعود الأريسيين في زمن هذا الإمبراطور الأريسي بما قاله عالم اللاهوت البروفيسور كريستوفر هال **Christopher A. Hall**:

«الأساقفة الشرقيون الذين أيدوا نيقية عانوا بشدة في عهد قسطنطيوس، وبعد مقتل أخيه قونسطانس في عام **350**، أندمجت الإمبراطورية تحت حكم قسطنطيوس. وبدا أن العالم المسيحي كله قد سقط بأيدي الآريسيين!»



وهذا الأمر أكده أيضًا أحد أشهر المؤرخين المسيحيين المثلثين على الإطلاق، وهو المؤرخ جيروم «Jerome»، وهو بالمناسبة أول من ترجم الكتاب المقدس إلى اللاتينية، قال جيروم:

«معظم العالم صرخ وتعجب ليجد نفسه آريسيا».

- وماذا كان دور يوسابيوس في ذلك الوقت؟ سأل عبد العزيز.

- أسقف عاصمة الإمبراطورية الموحد يوسابيوس النيقوميدي كان هو الصانع الحقيقي لذلك الصعود الآريسي-، فقد أدرك يوسابيوس منذ بداية البداية أن الأفكار الفاسدة يمكن هزيمتها بالعلم، وأن المستقبل يمكن صناعته من خلال التربية الصحيحة، لذلك اهتم يوسابيوس بتعليم الناس دين المسيح الحقيقي ودعوته التوحيدية في عبادة الله، فتتلمذ على يديه كثير من التلاميذ الذين تحولوا بعد ذلك إلى دعاة كبار ينشرون دعوة التوحيد في أنحاء العالم، وهؤلاء هم من سيغيرون من مجرى التاريخ في بلدانهم بعد ذلك بسنوات قليلة.

وما أن انتهى نضال من حديثه، حتى رأى الصديقان بصيص نور ينبثق من بعيد، ولما اقتربا أكثر منه، أدركا أنهما قد اقتربا من مخرج النفق، وهناك وجدا قوسًا حجريًا على بعد أمتار قليلة من نهاية النفق، فأخذا يتفحصان حجارة القوس بحثًا عن أي رسالة خفية،

وبالفعل وجدا رسالة جديدة مكتوبة بخط صغير أسفل القوس:

L

5

في مسرح العاصمة المهدوم، من حيث بدأت إمبراطورية الرومان

وبعد أن التقط نضال صورة للرسالة، خرج هو وصديقه من مخرج النفق الذي يطل على شاطئ بحر مرمرة، وهناك أخذ نضال يقلب ناظريه بين صورة الرسالة التي التقطها من هاتفه المحمول، والورقة التي تحتوي على لغز الحلقات العشر.

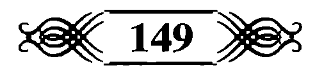
- يبدو أنه ينبغي علينا العودة إلى روما من جديد! قال عبد العزيز وهو يحدق بالصورة.

- وما علاقة روما بالموضوع؟

- هذا واضح من كلمات الرسالة، فعاصمة الرومان التي بدأت فيها إمبراطورية الرومان هي روما!

أخرج نضال ورقة لغز الحلقات العشر من حقيبته، وأشار إلى الحلقة الخامسة التي تحتوي على صورة لغصن شجرة زيتون، ثم قال لعبد العزيز:

- وجهتنا القادمة هي أرض الزيتون، البلاد الذي بدأت فيها وبسببها دولة الرومان إلى إمبراطورية عالمية... تونس!



- وما علاقة تونس بنشأة الإمبراطورية الرومانية؟!

- سأجيبك عن هذا السؤال، ولكن ليس هنا، وإنما في بلدة صغيرة تقع على بعد دقائق من هذه المدينة، ففي تلك البلدة يا صديقي يوجد قبر القائد التونسي الذي تسبب بتوحش روما وتحولها إلى قوة إمبراطورية غيرت من تاريخ وخريطة العالم، وهناك عند القبر سأوضح لك إن شاء الله ما أعنيه بالضبط.

- عن أي قبر تتحدث؟

نظر نضال إلى بحر مرمرة، ثم قال:

- قبر قائد قرطاجة الأسطوري الذي غزا روما بفيلته التي جاء بها من أفريقيا... هانيبال!



عند قبر هانيبال

بعد رحلة بالسيارة استغرقت ما يقرب من **40** دقيقة من مدينة إزميد، وصل نضال وعبد العزيز إلى مركز بلدة «جبزي» «**Gebze**»، ومن هناك توجها إلى غابة تشرف على بحر مرمرة، وفي منتصف الغابة وجدا حديقة على شكل دائري نصب في منتصفها ضريح حجري نقش عليه رأس إنسان.

- هذا هو المكان الذي يُعتقد أن هانيبال قد دفن فيه. قال نضال وهو يشير إلى الضريح الحجري.

- سمعت كثيرًا عن هذا القائد وحكاياته العجيبة منذ الصغر، ورأيت بعض الوثائقيات عنه، ولكنني لم أكن أعلم قبل اليوم أنه مات في تركيا!

- هانيبال جاء إلى آسيا الصغرى هاربًا من الرومان بعد هزيمته لمعركة فاصلة معهم في قرطاجة، وبعد ذلك طارده الرومان في هذه البلاد، فتنقل من مدينة إلى أخرى، حتى مر أواخر أيامه في نيقوميديا حيث كنا قبل قليل، ليموت منتحرًا بعد ذلك في هذه البلدة الصغيرة.

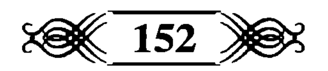
- ولماذا يختار قائد عسكري كبير مثل هانيبال الموت منتحرًا؟! تساءل عبد العزيز باستغراب.

- تقول الأسطورة أنه كان يخشى أن يقع في قبضة أعدائه الرومان الذين كرس حياته كلها لقتالهم، وعندما أحس أنهم باتوا قريبين منه، فضل الموت منتحرًا على أن يقع أسيرًا بأيديهم، وينقل بعض المؤرخون أنه ترك قبل موته رسالة جاء فيها:

«دعونا نخفف عن الرومان القلق الذي عاشوه لفترة طويلة

بعد نفاذ صبرهم وهم ينتظرون موت رجل مسن!»

- ولكن لم أفهم بعد كيف تسببت تونس في تكوين إمبراطورية الرومان؟





- الحكاية تبدأ منذ زمن بعيد، قبل الزمن الذي ظهر فيه هانيبال نفسه، ففي حدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد استوطنت قبائل أوروبية مهاجرة منطقة تقع وسط إيطاليا على ضفاف نهر «التيبر»، وفي القرن الثامن قبل الميلاد توحدت تلك القبائل تحت حكم ملك اسمه «رومولوس» «**Romulus**»، الذي اشتق من اسمه اسم مدينة «روما»، ليتعاقب على حكم الرومان ملوك عملوا على توحيدهم في تلك الأرض، حتى حكم الرومان ملك مستبد ثاروا عليه وخلعوه من العرش، ليكونوا بعد ذلك ما عرف بالتاريخ بـ «الجمهورية الرومانية» «**Res publica Romana**»، ثم نظم الرومان أنفسهم

في الحكم الجمهوري ووسعوا سيطرتهم لتشمل أغلب أراضي شبه الجزيرة الإيطالية، حتى قام البونيقيون باستفزازهم وتحويلهم إلى قوة استعمارية ضارية.

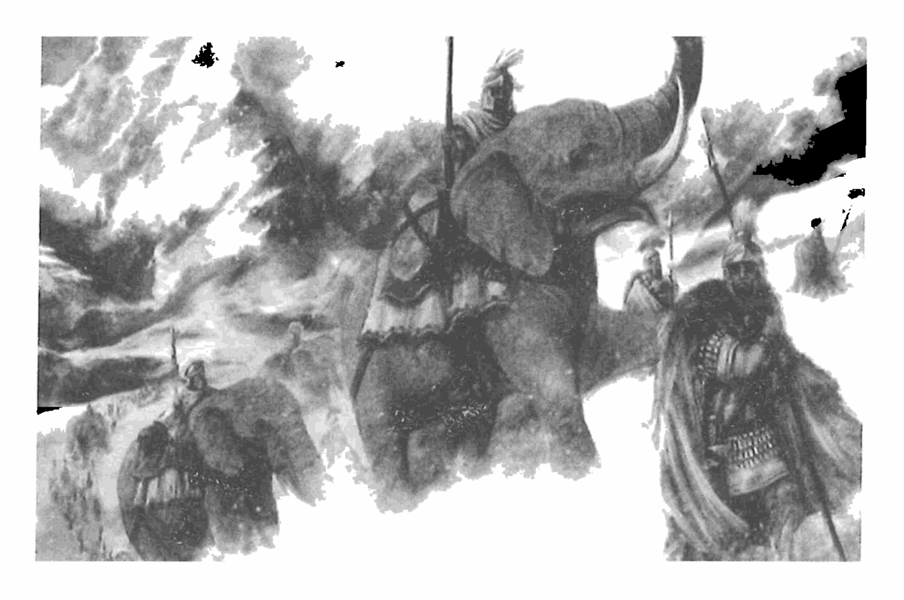
- أعتذر عن المقاطعة، ولكن من يكون هؤلاء البونيقيون الذين تحدثت عنهم.

- البونيقيون هو الاسم الذي أطلقه الرومان على الفينيقيين الغربيين الذين استوطنوا سواحل شمال أفريقيا وخاصة قرطاجة، والفينيقيون هم شعب عربي قديم خرج من الجزيرة العربية واستوطن في الجزء الشمالي الشرقي من البحر المتوسط، في المنطقة الواقعة من جنوب تركيا وحتى شمال فلسطين مرورًا بسواحل سوريا ولبنان، وقد أبحر الفينيقيون بسفنهم في أرجاء البحر المتوسط، وأسسوا العديد من المدن والمستوطنات الواقعة على البحر المتوسط، مثل مدينة طرابلس الليبية التي أطلقوا عليها نفس اسم مدينتهم الأم طرابلس الواقعة في شمال لبنان، وغير ذلك من المدن الليبية والجزائرية والتونسية والمغربية والإسبانية، وأصبحت اللغة البونيقية، وهي جزء من اللغة الفينيقية السامية، لغة لتلك المدن الفينيقية في شمال أفريقيا، ومن بين تلك المدن التي أسسها الفينيقيون، مدينة استراتيجية تقع على سواحل تونس الحالية، هذه المدينة أطلقوا عليها اسم «قَرْت حَدَشْت» وتعني بالفينيقية القديمة

«القرية الحديثة» (قَرْت أي قرية، وحَدَشْت أي حديثة)، فأصبح الاسم «قرطاج» «**Carthage**» عن طريق النطق اللاتيني. ومع مرور الوقت أصبحت قرطاج مملكة قوية استطاعت بسط سيطرتها على العديد من المدن في شمال أفريقيا وسواحل إسبانيا وإيطاليا.

- في القرن الثاني قبل الميلاد ظهرت خلافات بين البونيقيين ودولة الرومان الناشئة على بعض الأراضي، لتبدأ ما عرف في التاريخ بـ «الحروب البونيقية»، حتى قرر الملك القرطاجي هانيبال بعد ذلك غزو عاصمة الرومان روما وتدميرها إلى الأبد، فقاد بنفسه جيشًا جرارًا متعدد الجنسيات لمباغتة الرومان من الشمال بدلًا من الجنوب،

ووضع خطة عجيبة تقضي بالتفاف جيشه من خلال إسبانيا وفرنسا لمباغتة الرومان من شمال إيطاليا، وقرر أن ينقل لأول مرة في التاريخ عددًا من الفيلة الأفريقية إلى القارة الأوروبية، عابرًا بتلك الفيلة جبال الألب الوعرة المغطاة بالثلوج، وفي عملية عبور مجنونة مات فيها ما يقرب من نصف عدد جيشه من البرد والتعب، استطاع هانيبال أخيرًا الوصول بفيلته ومن تبقى من جيشه إلى إيطاليا، ليداهم الرومان في عقر دارهم.



وفي طريقه إلى روما، انتصر هانيبال على الجيوش الرومانية في عدة معارك طاحنة، كان من أهمها «معركة كاناي»، التي تمكن

فيها هانيبال من قتل 50 ألف جندي روماني في يوم واحد بعد نجاحه في استخدام «تكتيك الكماشة الخطير» لأول مرة في تاريخ الحروب العسكرية.

- ما هذا التكتيك الذي تتحدث عنه يا نضال؟

- «تكتيك الكماشة» أو «الضربة المزدوجة» «**Pincer movement**»، هو عبارة عن مناورة عسكرية يقوم فيها الطرف المدافع بمهاجمة جناحي الطرف المهاجم في نفس الوقت الذي يهاجم فيه المهاجمون قلب الجيش المدافع، الذي بدوره يتراجع بانتظام حتى يتمكن جناحاه من تطويق المهاجمين، حيث تنتهي المعارك التي يستخدم فيها هذا التكتيك بنجاح بالاستسلام أو تدمير القوة المحاصرة، وقد تم ذكر هذا التكتيك العسكري لأول مرة في القرن السادس قبل الميلاد في كتاب «فن الحرب» «**The Art of War**» للقائد العسكري الصيني «سون وو»، الذي نصح في كتابه بعدم استخدامه، وذلك لأن الجيش المهاجم يتمكن في العادة من تدمير قلب الجيش المدافع قبل أن يتمكن جناحاه من تطويق المهاجمين، لذلك لم ينجح سوى قادة معدودين في استخدام هذه المناورة العسكرية عبر التاريخ، كان هانيبال أولهم، وذلك في عام 216 قبل الميلاد في معركة كناي الشهيرة.

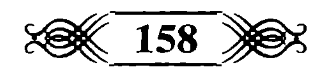
- ومن هم بقية القادة الذين نجحوا في استخدام هذا التكتيك الخطير؟

- ثاني إنسان على وجه الأرض نجح في استخدام تكتيك الكماشة الخطير هو القائد الإسلامي العربي الكبير سيف الله المسلول «خالد بن الوليد» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك ضد جيش الإمبراطورية الفارسية الساسانية في «معركة الولجة»، وثالث قائد عسكري في التاريخ استخدمه بنجاح هو القائد الإسلامي السلجوقي «ألب أرسلان» في «معركة ملاذكرد» المصيرية، أما رابع قائد عسكري نجح في استخدام تكتيك الكماشة الخطير فهو السلطان العثماني المسلم «سليمان القانوني» في معركة «موهاج»، كما استخدم هذا التكتيك بنجاح من قبل الجنرال السويدي «كارل غوستاف رينشولد»، والقائد الأمريكي «دانييل مورغان» إبان معارك التحرير الأمريكية من الإنجليز.

- وهل نجح هانيبال من احتلال روما بعد هذه المعركة؟

- بعد الهزائم النكراء التي تعرض لها الرومان في عقر دارهم، استخدم الرومان استراتيجية عجيبة تمكنوا من خلالها من هزيمة هانيبال.

- وما هي هذه الاستراتيجية التي استطاعت هزم هذا القائد الكبير؟



- هذه الاستراتيجية تتلخص في حكمة بشرية أدركها الرومان في ذلك الوقت المتقدم من التاريخ، هذه الحكمة تتلخص في هذه الكلمات القليلة:

«مجرد بقائك صامدًا أمام من يريد كسرك،

هو انتصار لك وهزيمة له!»

لذلك أقفل الرومان بوابات عاصمتهم الحصينة في وجه هانيبال، وتركوه يتسكع في السهول الإيطالية لأكثر من عشر سنوات دون أن يمنحوه أي فرصة للقتال، حتى أرهق هو وجنوده من المرتزقة متعددي الجنسيات الذين لم يوحدهم انتماء قومي أو ديني يدفعهم للقتال، على عكس الرومان الذين كانوا يدافعون عن أرضهم في تلك المعركة الوجودية بسياسة النفس الطويل.

- وماذا حصل بعد ذلك؟

- بعد تلك السنوات الطويلة، تمكن الرومان من استجماع قواهم من جديد، وأدركوا أن الوقت قد حان للانتقال من الدفاع إلى الهجوم، بعد أن بنوا أسطولًا قويًا أبحروا به إلى البر الشمال أفريقي لضرب عدوهم في قرطاج، ليتم استدعاء هانيبال على وجه السرعة للدفاع عن عاصمته لمواجهة جيش روما بقيادة قائد روماني كان من الناجين القلائل من كارثة كاناي، وفي عام 202 قبل الميلاد وقعت أحداث «معركة زاما» «**Battle of Zama**» التي انتصر فيها الرومان

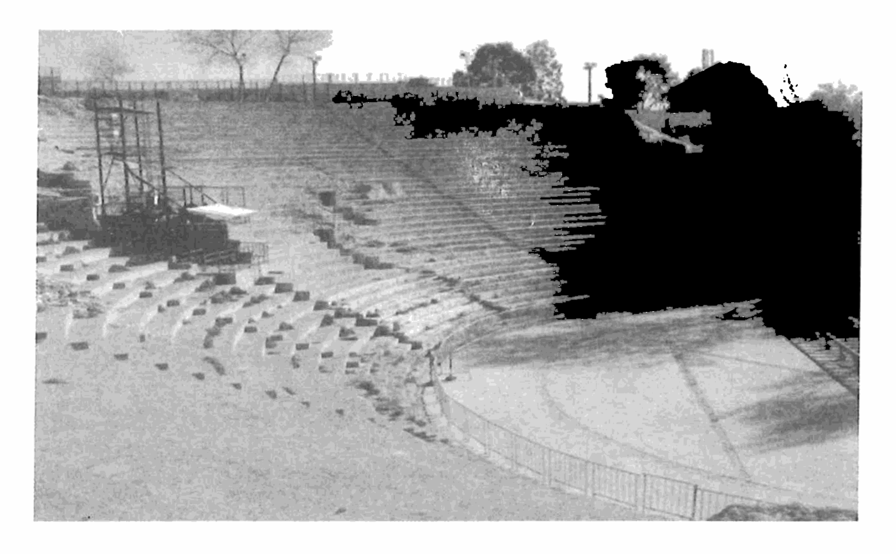
على جيش قرطاجة، ليفر هانيبال بعدها إلى آسيا الصغرى، في حين تحول الرومان من ذلك التاريخ، وفي تلك المدينة التونسية بالتحديد، إلى قوة استعمارية متوحشة، استطاعت خلال سنوات قليلة فقط تكوين إحدى أكبر الإمبراطوريات في التاريخ، تمكنت من خلالها من إعادة صياغة التاريخ البشري ورسم خارطة الأرض بشكل لا تزال آثاره قائمة إلى يوم الناس هذا، كل ذلك بسبب استفزاز هذا القائد العسكري الذي قادته مغامرته غير المدروسة إلى تدمير بلاده، وهلاك شعبه، واندثار حضارته إلى الأبد، بينما اختار هو النجاة بنفسه، والهروب من أرضه، ليعيش طريدًا، ويموت بعد ذلك منتحرًا في هذا المكان النائي الذي تراه أمامك!

- إذا فالمقصود بـ «العاصمة» الواردة في الرسالة هي قرطاج عاصمة البونيقيين! قال عبد العزيز معقبًا.

- هذا ما أرجحه، خاصة وأن قرطاج كانت أيضًا عاصمة لمملكة الفاندال، لذلك سيكون مسرح هذه المدينة الأثرية هو محطتنا القادمة للبحث عن الحلقة الخامسة من لغز الحلقات العشر!



تونس
عاصمة الفاندال



بعد هبوط طائرتهما في مطار تونس الدولي، نزل نضال وعبد العزيز في أحد الفنادق القريبة من مدينة قرطاج الأثرية الواقعة على أطراف مدينة تونس العاصمة، وبعد لحظات قليلة من وصولهما إلى الفندق، توجها مباشرة إلى المسرح الروماني في قرطاج ليصلاه في وقت الظهيرة، ونظرًا لارتفاع درجة الحرارة في ذلك الوقت من النهار، كانت

مدرجات المسرح شبه خاوية من الزوار، ولم يكن موجودًا هناك سوى بعض السياح الأجانب الذين انشغلوا بالتقاط الصور التذكارية، وبمجرد دخول الصديقين من البوابة الرئيسية، أخذ عبد العزيز يتنقل بين جوانب المسرح وعلامات الإعجاب والانبهار بادية على وجهه، في حين انشغل نضال مباشرة بالبحث بين حجارة المسرح عن أي كتابة أو نقش أو إشارة لها علاقة باللغز، وبعد ما يقرب من نصف ساعة قضاها في التجول في جميع مرافق المسرح، عاد عبد العزيز ليكون بجانب نضال الذي توقف عن البحث لبرهة وهو يتأمل في حجارة المدرج الضخمة، ولما اقترب منه سأله قائلًا:

- ما الذي تفكر به يا نضال؟
- أفكر في أمر هذه البلاد العجيبة... تونس!
- وما العجيب فيها؟
- هناك شيء عجيب لاحظته من خلال قراءتي لتاريخ الأمم والحضارات، هذا الشيء هو ارتباط أسماء دول ومدن وشعوب محددة بأمور ثابتة تكاد تتكرر من جيل إلى آخر بالرغم من تعاقب الزمان، ومن بين ما لاحظته ارتباط أرض وشعب تونس بشكل لافت للانتباه منذ القدم بالريادة وتغيير التاريخ، البداية كانت مع هذه المدينة «قرطاج»، التي أصبحت مركزًا لمملكة قوية استطاعت بسط سيطرتها على العديد من مدن شمال أفريقيا وسواحل إسبانيا وإيطاليا، وكما أخبرتك سابقًا

فقد كانت تحركات مملكة قرطاج العسكرية هي التي عملت على صنع الإمبراطورية الرومانية، وذلك بعد أن خرج هانيبال من هذه الأرض لغزو روما، الأمر الذي أعقبته صدمة وجودية للرومان أدت إلى توحشهم الإمبراطوري وتسببت في النهاية إلى سيطرتهم على أغلب أراضي العالم القديم، هذا الأمر ما تزال آثاره السياسية والثقافية والدينية قائمة في دول العالم حتى يوم الناس هذا، كل هذا بدأ من هذه الأرض! نفس الشيء تكرر عندما سيطر الفاندال الآريسيون على شمال أفريقيا واختاروا تونس بالتحديد لتكون مركزًا لهم، وتمكنوا من هنا الإبحار إلى إيطاليا واحتلال روما وسلبها من كنوزها، حتى الإمبراطور الروماني الشهير هرقل الذي يعود الفضل إليه في إنقاذ إمبراطورية الرومان بعد هزيمتهم من الفرس، هذا الإمبراطور انطلق في حملته العاجلة لإنقاذ الإمبراطورية من أرض تونس حيث كان أبوه واليًا عليها، لتكون تونس نقطة الانطلاق لتغيير واقع العالم القديم من جديد، وذلك بعد أن سحق هرقل الفرس وأصبح الإمبراطور الذي وصلته رسالة الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع دخول مرحلة الفتح الإسلامي، حرر العرب المسلمون الشمال الأفريقي من الاحتلال الروماني الذي سيطر على تلك الأرض لمئات السنين، واتخذوا من القيروان في تونس مركزًا أولًا للمسلمين في شمال أفريقيا والأندلس، وهذه الأرض كانت أيضًا مركزًا لعلماء المالكية الذين نشروا المذهب المالكي في شمال أفريقيا والأندلس

وبقية أنحاء أفريقيا، وسكن فيها كثير من علماء المسلمين الذين برز منهم ابن خلدون رائد علم الاجتماع، ومن حلقات العلم في تونس تخرج القائد الأمازيغي المسلم الشيخ عبد الله بن ياسين الذي سافر من المغرب ليدرس ويقيم في تونس قبل أن ينطلق من تونس من جديد ليؤسس من المغرب إمبراطورية عظمى هي إمبراطورية المرابطين في أفريقيا والأندلس، لذلك فأنا شخصيا أتابع دوما بترقب ما يحصل في هذا البلد، والقارئ الجيد للتاريخ يدرك أن هذه البقعة من الأرض كانت وما زالت وربما ستظل سباقة في كثير من الأحداث الرائدة، وربما كان هذا هو قدرها الذي قدره الله لها!

- تحليل منطقي، ولكن الآن أخبرني، لماذا وصف هذا المسرح بـ «مسرح العاصمة المهدوم»؟ فأثناء تجولي هنا لم أرَ أي أثر لهدم أو خراب، وحسب معلوماتي فإن هذا المكان يشهد سنويًا مهرجانًا من أكبر المهرجانات العربية!

- هذا الوصف هو ما أكد لي أن مسرح قرطاج بالذات هو المكان الذي ينبغي علينا التوجه إليه، فقد بُني هذا المسرح في زمن الاحتلال الروماني لتونس، ولكن في القرن الخامس الميلادي تمكن الفاندال من السيطرة على هذه البلاد، وكان هدم هذا المسرح من ضمن الأمور التي حرص الفاندال على القيام بها بعد انتزاع هذه المدينة من قبضة الرومان، وقد ظل هذا المسرح مهدومًا لما يقرب من **1500** عام، حتى تم

ترميمه في زمن الاحتلال الفرنسي لتونس في مطلع القرن العشرين.

- ولكن لماذا يقوم الفاندال بتخريب مثل هذا الصرح الثقافي الكبير؟! سأل عبد العزيز مستنكرًا.

ابتسم نضال ابتسامة ساخرة، ثم أجاب:

- هذا المسرح وغيره من المسارح التي حرص الرومان على بنائهما في مستعمراتهم كانت رمزًا للهمجية الرومانية التي أخرجت أبشع ما في النفس البشرية من توحش وإجرام، فالشيء الذي لا يعرفه الكثير ممن يفتخرون بمثل هذه المسارح الرومانية في بلدانهم أن هذه الأماكن اختلطت حجارة حلباتها بدماء الأبرياء الذين كانوا يقتلون ويعذبون بأبشع صورة يمكن أن يتخيلها المرء، في حين كان أبناء الطبقة النبيلة من الرومان يجلسون على هذه المدرجات ليستمتعوا بأشلاء الأبرياء التي تقطع أمامهم، وقد شهد مسرح قرطاج عمليات قتل وتعذيب لكثيرمن الضحايا من المسيحيين الموحدين وغيرهم من الأبرياء، لذلك حرص الفاندال بعد طرد الرومان من تونس على تدميرهذا الصرح الذي كان يرمزللقتل والتعذيب والاضطهاد الذي مارسه الرومان لقرون عديدة في هذه البلاد.

- وكيف تمكن الفاندال من السيطرة على هذه الأرض والانتصار على الإمبراطورية الرومانية؟

- كما ذكرت لك في السابق، فإن الفاندال قبائل أوروبية جرمانية

اختارت المذهب التوحيدي الآريسي دينًا لها، هذا الأمر عرضهم للاضطهاد من قبل المثلثين، وبعد عمليات قتل وتعذيب في القارة الأوروبية من الرومان وحلفائهم من قبائل الفرانك، هاجر الفاندال ومن معهم من قبائل الآلان الموحدة إلى أقصى الغرب الأوروبي ليستقروا في جنوب إسبانيا في منطقة الأندلس، وهناك في الأندلس، توحدت القبائل الفاندالية تحت قيادة ملك يعتبره المؤرخون أحد أعظم ملوك الأرض عبر التاريخ.

- من هو ذلك الملك الفاندالي؟؟ سأل عبد العزيز بحماس.



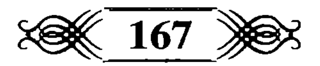
- إنه الملك الفاندالي الآريسي «غايسريك» «**Gaiseric**»، هذا الملك الآريسي كان طفلًا صغيرًا أثناء هجرة قبيلته في أنحاء أوروبا، عاش معهم حياة اللجوء الصعبة، فنشأ نشأة قوية وصلبة، وشاهد عمليات التعذيب البشعة التي مارسها الرومان المثلثون بمباركة من الكنيسة في حق شعبه من المسيحيين الآريسيين، فتكون في وجدان هذا الطفل شعور كبير بالظلم، ورغبة قوية بالانتقام، فقام بتدريب شعبه الفاندالي على فنون القتال، وعمل على إنشاء السفن على السواحل الأندلسية، وفي عام **429**م، وبعد سنوات طويلة من الإعداد والتدريب، تحركت سفن الفاندال الآريسية بقيادة غايسريك لتعبر المضيق الذي سمي لاحقًا بـ «مضيق جبل طارق»، وهناك في المغرب هزم الأوروبيون الموحدون من الفاندال والآلان جيوش الإمبراطورية الرومانية المثلثة في معارك متعددة.

- ولكن كيف استطاع جيش من المهاجرين الانتصار في أرض غريبة عليهم على جيش مدرب تابع لإمبراطورية عظيمة مثل إمبراطورية الرومان؟!

- لا تنسَ هذه القاعدة يا عبد العزيز:

«أخطر كائن حي على وجه الأرض هو الإنسان

الذي يملك شيئًا ليخسره!»

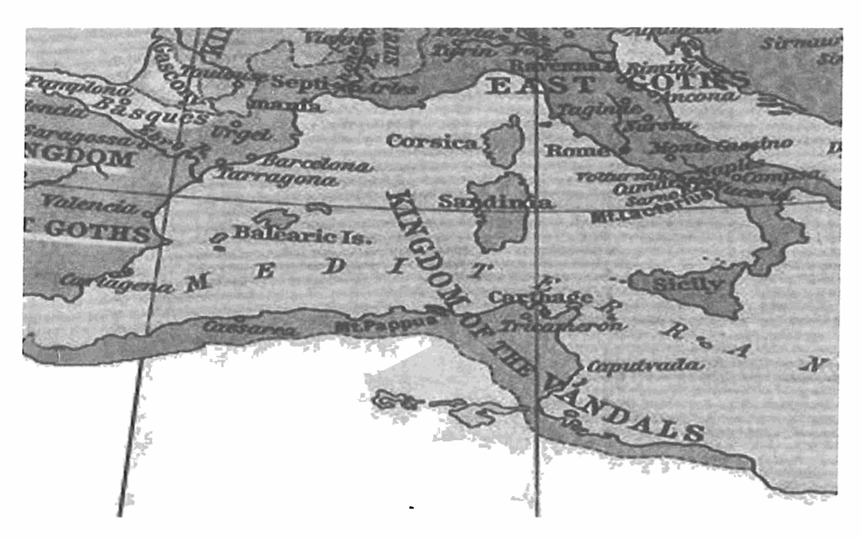




والفاندال لم يكن لديهم ما يخسروه في تلك الحرب المصيرية، أضف إلى ذلك أن معظم سكان شمال أفريقيا الأصليين في ذلك الوقت كانوا على المذهب الآريسي الذي ينسب للقسيس الأمازيغي آريوس الذي ينحدر أصلاً من تلك البلاد، لذلك فإن سكان شمال أفريقيا كانوا سعيدين بقدوم الفاندال الآريسيين، وهذا ما عبر عنه البروفيسور توماس آر مارتين من كلية الصليب المقدس «**Pr. Thomas R. Martin - College of Holy Cross**» بقوله:

«علينا أيضًا أن نتذكر أن كثيرًا من «سكان المناطق الرومانية» في شمال أفريقيا – والذين كانوا مسيحيين آريسيين – كانوا في حقيقة الأمر سعيدين لرؤية الفاندال، لأن الفاندال كانوا أيضًا آريسيين، وسيدعمون المسيحيين الآريسيين لتلك المناطق الرومانية في شمال أفريقيا».

- وما هي المناطق التي سيطر عليها الفاندال؟



- بعد انتصاراته الكبيرة على الرومان في المغرب، زحف الملك الفاندالي غايسريك بجيشه إلى الشرق ليطرد الرومان من الجزائر، ومن هناك توجه إلى تونس، لينتزع عاصمة الشمال الأفريقي مدينة قرطاج من الرومان، وبعد تثبيت دعائم حكمهم في الشمال الأفريقي،

أنشأ الفاندال أسطولًا حربيًا كبيرًا مكنهم من مواجهة سفن الرومان في البحر المتوسط، واستطاعوا من خلال هذا الأسطول القوي ضم جزر سردينيا وكورسيكا ومالطا وجزر البليار وقسمًا من جزيرة صقيلية، ليكون الفاندال مملكة آريسية في تلك البلدان، هذه المملكة المسيحية الموحدة كانت تضم أراض تابعة لثماني دول معاصرة: المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، مالطا، فرنسا، إيطاليا وإسبانيا، وبعد أن استتب الأمر للفاندال في مملكتهم، قرروا الانتقام من الرومان بضربهم في عقر دارهم، فقاد الملك الآريسي غايسريك أسطولًا فانداليًا وتوجه به في صيف **455** نحو شبه الجزيرة الإيطالية، ليحاصر الفاندال روما، وبعد أيام من الحصار، تمكنت هذه القبائل الجرمانية الموحدة من فتح روما، فلم يصدق الرومان أعينهم وهم يشاهدون عاصمتهم التاريخية التي كانوا يحكمون العالم منها تسقط أمام أنظارهم، خاصة بعد معرفتهم بأن الفاندال هم من تجرأوا على مواجهة التاريخ والجغرافيا، وتمكنوا من اختراق الدفاعات الإمبراطورية الأقوى في العالم، ونجحوا في اقتحام أسوار مدينتهم الحصينة التي استعصت على الغزاة من قبلهم لقرون عديدة، وعلى مدى أربعة عشر يومًا هي مدة احتلالهم لروما، تمكن الفاندال من إفراغ روما من كنوزها التي استولى عليها الرومان من حضارات وأمم الأرض المختلفة عبر مئات السنين، وكان من بين تلك الغنائم كنز

العرش الخاص بالعائلة الإمبراطورية الرومانية، والشمعدان اليهودي الكبير الذي سرقه الرومان ونقلوه إلى روما بعد أن هدم الرومان معابد اليهود، لينقل الفاندال إلى تونس أحد أكبر الكنوز في تاريخ الإنسانية، كنز الفاندال الأسطوري!

- وهل قام الفاندال بارتكاب مجزرة في سكان روما انتقامًا لما تعرضوا له في السابق من الرومان المثلثين؟

- العجيب أن الفاندال وبالرغم من سيطرتهم الكاملة على روما لمدة أسبوعين لم يرتكبوا مذبحة بحق سكان روما من المثلثين، وحتى بابا الفاتيكان نفسه لم يتعرض للقتل، بالرغم من أن عمليات القتل الممنهج التي تعرض لها الفاندال والموحدون المسيحيون كانت تتم بمباركة من رجال الكنيسة، فعلى عكس ما أشيع عنهم من قبل المثلثين، لم يكن الفاندال بتلك الوحشية التي صوروا بها، فلم يكن القتل هو هدفهم، بل كان هدفهم الأول والأخير هو إذلال إمبراطورية الرومان، لذلك اكتفوا بأخذ الغنائم، واسترداد الكثير من الكنوز التي نهبها الرومان المثلثون من المسيحيين الموحدين وغيرهم من شعوب العالم، ولكن لتشويه صورة الفاندال الموحدين، قامت الكنيسة مؤخرًا باختراع كلمة مشتقة من اسمهم، وهي كلمة «الفندلة» أو «فاندلزم» «**vandalism**»، وأعطوا لهذه الكلمة معنى سلبي، وصارت هذه الكلمة مرادفة لعمليات التخريب الهمجية وتدمير

الممتلكات الخاصة والعامة، مع العلم أن الفاندال لم يقوموا بتخريب روما وقتل سكانها كما كان الرومان يفعلون بالمدن التي يحتلونها، وإلا فكيف بقيت آثار روما حتى الآن؟! أضف إلى ذلك أن هذه الكلمة لم تظهر في كتب السابقين على الإطلاق، وكان أول ذكر لها في نهاية القرن الثامن عشر فقط، عندما قام أحد رجال الكنيسة الفرنسيين ويدعى الأسقف هنري غريغوري **Henri Grégoire, bishop of Blois** باختراع هذه الكلمة لوصف أعمال التخريب التي قام بها نابليون ورجال الثورة الفرنسية.

- وهل تركت الإمبراطورية الرومانية الفاندال ليعيشوا في سلام بعد أن أدركوا قوة مملكتهم الناشئة؟

- بعد أن أصبحت القوة الفاندالية الآريسية قوة عظيمة في غرب البحر المتوسط، قرر الرومان كسر هذه القوة الناشئة واسترداد كنزهم، فنحى الرومان المثلثون خلافاتهم الجانبية، فاتحدت أساطيل الإمبراطورية الرومانية الشرقية مع أساطيل الإمبراطورية الرومانية الغربية، وكونوا عام **468** أكبر أسطول بحري عرفته بحار الأرض حتى ذلك الوقت، ونقلوا على متن ذلك الأسطول مائة ألف مقاتل روماني مدججين بآخر ما توصلت إليه ترسانة الحرب الرومانية، وجعلوا على قيادة ذلك الجيش أحد أعظم قادتهم الحربيين، وهو الجنرال «باسيليسكوس» «**Basiliscus**»، ليكون قائدًا لواحدة من أكبر

العمليات العسكرية البرمائية في التاريخ، وفعلًا وصل أسطول التحالف الروماني المخيف إلى شواطئ تونس، وبالتحديد إلى منطقة ساحلية تسمى الآن «الرأس الطيب»، أو «رأس الدار» «**Cap Bon**»، وهناك أرسل باسيليسكوس رسالة إنذار إلى الفاندال يخيرهم فيها بين خيارين اثنين: الاستسلام غير المشروط والرضوخ لقوات تحالف الرومان المثلثين، أو الهزيمة والفناء، وأمهلوهم خمسة أيام فقط للاختيار!

- وماذا اختار الفاندال؟ تساءل عبد العزيز.

- الفاندال كان لديهم خيار ثالث لم يحسب الرومان حسابه، ألا وهو خيار المقاومة، خيار الصمود في وجه تلك القوة الغاشمة، فقد غاب عن باسيليسكوس أن الفاندال الموحدين بطبعهم لا يعرفون أصلاً ما تعنيه كلمة استسلام، وربما قاده استعلاءه الروماني وغروره بكثرة عدد قواته إلى نسيان معلومة في غاية الأهمية، فقد كانت هذه القبائل الأوروبية تحت قيادة أحد أعظم القادة العسكريين في التاريخ الإنساني على الإطلاق، وهو الملك الآريسي الموحد غايسريك، القائد الذي لقنهم قبل ذلك هزائم متكررة في شمال أفريقيا، قبل أن يتبعها بأخرى في جزر البحر المتوسط، ويختمها في حاضرتهم التاريخية روما، وهو نفسه من سيلقنهم في هذه المعركة المصيرية التي جرت على سواحل تونس أسوء هزيمة في تاريخ إمبراطورية الرومان على الإطلاق حتى ذلك الوقت!

- ما الذي حصل في هذه المعركة ؟ سأل عبد العزيز بصوت متلهف.

- وضع غايسريك خطة من أعجب الخطط الحربية في التاريخ، وذلك بعد أن اختار خيار المقاومة والتحدي، وخلال مدة المهلة المكونة من خمسة أيام، أمر جنوده بأن يجمعوا سراً تحت جنح الظلام كل ما يتمكنون من جمعه من زيت الزيتون التونسي.، ثم قام بتخزين تلك الكميات الكبيرة من الزيت في جرار وضعها داخل بعض سفنه، وبعد أن أعدوا كل ما يستطيعون من إعداده لمواجهة الغزاة، انتظر الموحدون الفاندال ساعة الصفر لانطلاق شرارة تلك المعركة المصيرية، «معركة كاب بون» «**Battle of Cape Bon**».

- ومتى كانت ساعة الصفر؟

- قبل انتهاء مهلة الخمسة أيام، هبت رياح قوية باتجاه الأسطول الروماني، عند تلك اللحظة بالتحديد أعطى القائد العام لقوات الفاندال الموحدة الملك الأريسي غايسريك إشارة البدء بالهجوم المضاد على قوات الغزاة الرومان، فأطلق سفنه المحملة بزيت الزيتون التونسي لتتوجه بفعل الرياح إلى سفن الأسطول الرومان، وذلك بعد أن فرغها من الجنود، وبعد أن دخلت تلك السفن الفاندالية الفارغة بين سفن العدو، أمر غايسريك جنوده المرابطين بالقرب من الساحل بإطلاق سهامهم النارية نحو سفنهم المليئة

بالزيت، لتتحول تلك السفن الى كتل من اللهيب الملتهب الذي يتحرك بسرعة مذهلة بفعل الرياح ليحرق كل سفينة رومانية تقابله، ونظرًا لأن أعداد سفن العدو كانت كبيرة ومتلاصقة، كانت كل سفينة رومانية تشتعل فيها النيران تقوم بدورها بإحراق السفينة التي تجاورها، وما هي إلا دقائق معدودة، حتى تحول المكان الذي يعسكر فيه الأسطول الروماني إلى جحيم مستعر بعد أن احترقت مئات السفن الرومانية بمن فيها من الغزاة الرومان على شواطئ تونس، وألقى جنود الرومان المحترقون بأنفسهم في مياه البحر المتوسط، لتتناثر جثثهم المتفحمة على طول الساحل، وتحت تأثير ذلك المنظر المرعب، أمر قائد الرومان باسيليسكوس من تبقى من جنوده بالانسحاب فورًا نحو العاصمة القسطنطينية، جارين أذيال أسوأ هزيمة بحرية عرفتها الإمبراطورية الرومانية عبر جميع مراحل تاريخها الممتد لمئات السنين، وبعد هذا الصمود الأسطوري للموحدين الفاندال، اعترف الرومان رسميا بسيطرة ملك الفاندل غايسريك على القسم الغربي من البحر المتوسط، لتصبح الآريسية في زمن الفاندال دينًا رسميًا لشمال أفريقيا لما يقرب من مائة عام.

- يا لها من قصة! أتعجب من عدم قراءتنا لها في كتبنا بالرغم من أنها جزء من تاريخنا في شمال أفريقيا بشكل خاص وتاريخ المسيحية والأرض بشكل عام، وأتعجب أكثر من عدم سماعنا بها

على الإطلاق في أي وسيلة إعلامية على الرغم من كونها قصة مثيرة تصلح لتكون فيلمًا مشوقًا!

- لا تنتظر أن يتم إنتاج أي فيلم عن تلك الحقبة التاريخية يا صديقي، فهناك من يريد أن تبقى قصة الفاندال وقصة الآريسيين مخفية عن عامة المسيحيين بشكل خاص.

وبعد أن قال جملته الأخيرة، أخرج نضال منديلًا ورقيًا من جيبه ليمسح به عرقه الذي كان يتصبب من جبينه، وعاد بعدها إلى البحث في حجارة المدرج الروماني.

- أعتقد أن الوقت قد حان لكي نتوقف قليلًا عن البحث، فقد حل وقت الظهيرة، والشمس هنا تكون حارقة في هذا الوقت من النهار. قال عبد العزيز.

- اذهب أنت واسترح في أحد المطاعم القريبة من المسرح، وأنا سأحاول الانتهاء من البحث في حجارة هذا الجانب من المدرج وألحق بك بعد عشر دقائق تقريبًا.

- لن أذهب إلى المطعم بدونك، سأنتظرك تحت ظل شجرة الزيتون الموجودة عند مخرج المسرح.

- عن أي شجرة زيتون تتحدث؟!

- أثناء جولتي في زوايا المسرح بعد دخولي مباشرة، شاهدت من بعيد شجرة زيتون كبيرة عند المخرج.

توقف نضال في مكانه مصدومًا، وقال لعبد العزيز وهو يحدق في عينيه باستغراب:

- لا أصدق أنك تركتني أبحث طيلة هذا الوقت في حجارة هذا المدرج تحت وطأة الشمس المحرقة دون أن تخبرني بهذه المعلومة!

- المعذرة يا صديقي، لم أكن أعلم أنك تريد أن تستريح قليلًا تحت ظل تلك الشجرة!

أخرج نضال ورقة اللغز من حقيبته، وفردها على المدرج أمام عبد العزيز، وأشار بإصبعه إلى الحلقة الخامسة، وقال له بعصبية واضحة:

- غصن الزيتون أيها العبقري!

بعد ذلك انطلق الصديقان بسرعة إلى مخرج المدرج، وهناك وجدا شجرة الزيتون التي تحدث عنها عبد العزيز، فاقترب نضال من جذعها الضخم الذي حفرت عليه بعض نقوش للذكرى تركها زوار المسرح بلغات عديدة، وما هي إلا ثوان معدودة، حتى أدرك نضال أنه قد وجد ما كان يبحث عنه:

A

3

بالقرب من مدينة قسطنطين، خلف عراب التعذيب



- يا إلهي! هل علينا أن نسافر جوًا لساعات لكي نعود إلى إسطنبول؟! لقد كنا في مطارها قبل ساعات قليلة فقط! قال عبد العزيز.

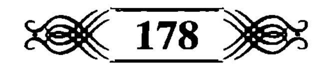
نظر نضال مجددًا إلى ورقة اللغز التي كانت ما تزال في يده، وركز بصره على الحلقة السادسة التي كانت تحتوي على رسم لعنقود عنب، وبعد ثوان معدودة طوى الورقة بهدوء ووضعها في حقيبته، ثم قال:

- القسطنطينية ليست هي المدينة المقصودة في هذه الرسالة، وإنما مدينة أخرى تحمل اسم الإمبراطور قسطنطين العظيم، لذلك فإننا لن نحتاج للسفر جوًا هذه المرة، فمحطتنا السادسة قريبة جدًا من هنا، ويمكننا السفر إليها برًا!

- إلى أين ينبغي علينا الذهاب بالتحديد؟

- إلى الجزائر، فهناك بالقرب من مدينة «قسنطينة» توجد مدينة ساحلية حاصر فيها الفاندال الشخص الذي تسبب في تعذيبهم وتعذيب الملايين من الأبرياء منذ ذلك التاريخ وحتى يوم الناس هذا، إلى مدينة «عنابة» الجزائرية يا صديقي!





في مدينة عنابة الجزائرية



بعد ليلة قضاها نضال وعبد العزيز في تونس، سافرا برًا إلى الجزائر، ليصلا بعد ساعات قليلة إلى مركز مدينة عنابة الجزائرية القريبة من الحدود الجزائرية التونسية، ومن هناك توجها مشيًا إلى هضبة تشرف على المدينة، وقد ظهر على قمة الهضبة بناء كبير يشبه القلعة، حيث يعتقد نضال أن الحلقة السادسة من لغز الحلقات العشر موجودة هناك.

- هل هذه المدينة مشهورة بالعنب؟ تساءل عبد العزيز وهو يمشي بجانب صديقه.

ابتسم نضال ثم قال:

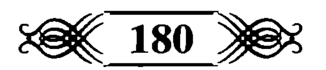
- عنقود العنب المرسوم في اللغز كان فقط للإشارة إلى هذه المدينة من ناحية اللفظ، أما بالنسبة للفاكهة التي تشتهر بها هذه المدينة فهي فاكهة أخرى تسمى «العنّاب»، وهو نوع من أنواع «السدر»، ولكن شكل ثمرة العناب ليس مميزًا ويشبه شكل كثير من الثمار الأخرى، على عكس شكل عنقود العنب المعروف بشكل ورقة شجرة العنب المميزة، وأعتقد أن أمي اختارت الإشارة إلى هذه المدينة بواسطة رمز عنقود العنبا لهذا السبب.

- وهل شهرة هذه المدينة بفاكهة العناب هو سبب تسميتها أو العكس؟

- هذه المدينة مثل كثير من مدن الجزائر وشمال أفريقيا بناها الفينيقيون، وقد أسست كمدينة بونيقية على يد الفينيقيين حوالي القرن 12 ق.م، وعرفت باسم «هيبو» «**Hippo**»، وكانت من أهم مدن مملكة نوميديا.

- وما هي هذه المملكة؟

- مملكة نوميديا «**Numidia**» هو الاسم الذي أطلق على مملكة شمال أفريقية ظهرت في شمال الجزائر الحالية وبعض أجزاء



من الدول المجاورة لها، ويعود هذا الاسم إلى إطلاق المؤرخين اليونانيين اسم «النوماديين» «Nomads» على شعوب هذه المنطقة، وهذه الكلمة تعني باليونانية القديمة «الرُّحل»، ومن هنا جاءت كلمة «Nomad» الإنجليزية التي تعني البدوي.

- ومتى ظهرت هذه المملكة؟

- هل تتذكر حكاية هانيبال التي أخبرتك بها سابقًا؟

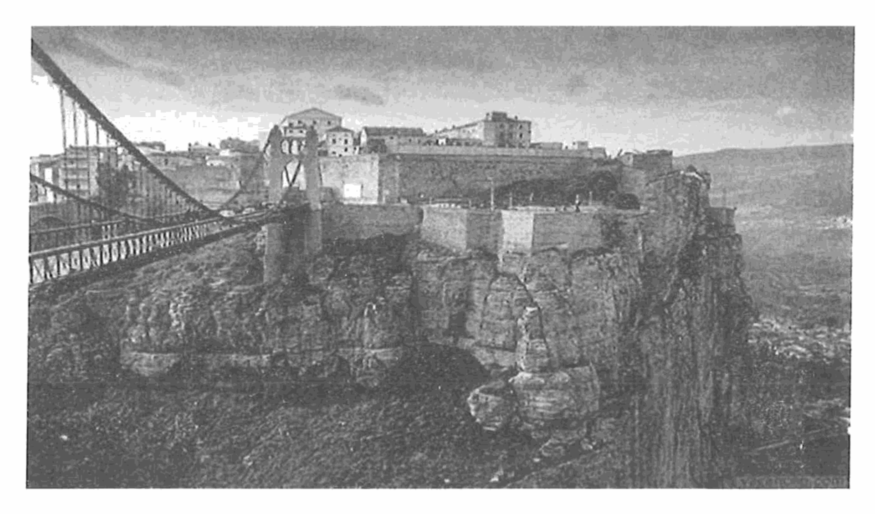
- نعم أتذكرها، ولكن هانيبال كان في تونس وليس هنا على ما أتذكر!

- نوميديا في ذلك الوقت كانت مقسمة إلى قسمين شرقي وغربي، وكانت مملكة نوميديا الشرقية حليفة لمملكة قرطاجة التي كانت تفرض قوتها العسكرية والتجارية على سكان هذه المنطقة، وكان أحد أبرز القادة في جيش هانيبال ملكًا نوميديًا شرقيًا من قبائل الأمازيغ ويدعى «ماسانيسا» «Masinissa»، وقد شارك النوميديون الشرقيون تحت إمرته في حروب هانيبال في أوروبا وعرفوا بالفرسان النوميديين، وكان تواجدهم حاسما لقرطاج في حروبها في إسبانيا وإيطاليا، ولكن النوميديين الشرقيين بدلوا تحالفاتهم في نهاية الأمر، فتحالفوا مع الرومان ضد قرطاج في معركة زاما المصيرية التي جئنا على ذكرها سابقًا، وذلك مقابل وعود من روما بدعم ماسينسا ليكون ملكًا على النوميديين في الشرق والغرب، وبعد هزيمة هانيبال في تلك

المعركة الحاسمة، نصب كأول ملك على مملكة نوميديا الموحدة، واتخذ من مدينة «سيرتا» التي بناها الفينيقيون عاصمة له، وما زال قبر هذا الملك النوميدي موجودًا بالقرب من تلك المدينة.

- لم أسمع أبدًا بمدينة جزائرية بهذا الاسم! قال عبد العزيز.

- «سيرتا» هو الاسم الفينيقي القديم لمدينة «قسنطينة» الجزائرية، وأثناء الحرب الأهلية الرومانية في بداية القرن الرابع الميلادي، تم تدمير هذه المدينة التي كانت واقعة تحت حكم الرومان وقتها، ولكن بعد تولي الإمبراطور قسطنطين العظيم عرش الإمبراطورية الرومانية أمر بإعادة بنائها، لتحمل هذه المدينة اسمه، فأصبح اسمها الجديد هو مدينة «قسطنطين» «**Constantine**»، ليحور هذا الاسم بعد ذلك إلى مدينة «قسنطينة».



- وهذا هو المقصود بالرسالة التي وجدناها في تونس «بالقرب من مدينة قسطنطين»! قال عبد العزيز معقبًا.

- هذا صحيح، فمدينة عنابة تبعد كيلومترات قليلة عن المدينة الجزائرية الجميلة ذات الجسور المعلقة، مدينة قسنطينة.

- وماذا عن بقية ما جاء في الرسالة؟ من هو «عراب التعذيب»؟

- هذه المدينة ارتبط اسمها بشخصية من أخطر الشخصيات التي ظهرت ليس فقط في التاريخ المسيحي، بل والتاريخ الإنساني بشكل عام، وهو أسقف مدينة عنابة المعروف بـالأسقف أوغاستين، أوغسطوس «**Augustine of Hippo**»، أو كما تسميه الكنيسة القديس أوغاستين «**Saint Augustine**»، وهذا الشخص يمكن اعتباره المؤسس الحقيقي للدين المسيحي التثليثي الذي يدين بها أغلب المسيحيين في هذا الزمان، فقد كان من أهم منظري عقيدة التثليث، وكثير من العقائد المسيحية الحالية التي لم يأتِ بها المسيح عليه السلام هي في حقيقة الأمر من بنات أفكار هذا الأسقف، لذلك فإن الكنيسة تعتبره من أهم قديسيها على الإطلاق، وقد صنفه الكاتب الأمريكي «مايكل هارت» ضمن قائمة المائة الأكثر تأثيرًا في تاريخ البشرية، لكونه شخصية مركزية في المسيحية.

- وهل كان هذا الشخص الذي أثر كل هذا التأثير في المسيحية سليلًا لعائلة مسيحية كبيرة ورث عنها العلم أم أنه كان تلميذًا لأحد

علماء المسيحية الكبار مثل آريوس ويوسابيوس الذين تلقوا تعليمهم لدى القديس لوسيان الشهيد؟ سأل عبد العزيز.

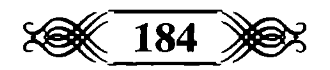
ابتسم نضال بسخرية ثم قال:

على العكس من ذلك، فأوغاستين لم يكن مسيحيًا من الأساس، وهو ابن لرجل روماني وثني من الرومان الذين كانوا يحتلون شمال أفريقيا، أما أمه فقد كانت مسيحية مثلثة من سكان نوميديا، أما أوغاستين نفسه فقد اختار في بداية حياته أن يكون كافرًا بالمسيحية، واختار دينًا وثنيًا ينحدر من بلاد فارس اسمه «المانوية»، على عكس إرادة أمه التي كانت ترغب بأن يكون ابنها على دينها، لذلك تطلق الكنيسة على أوغاستين اسم «ابن الدموع»، لأن أمه كانت تبكيه كثيرًا، خاصة أن أوغاستين في شبابه لم يكن كافرًا بالمسيحية وحسب، بل كان من الناحية الإنسانية منحرفًا، فقد سقط في مستنقع الدعارة، وعاش حياة الملذات والانحراف، بل إن أوغستين كان له ولد من الزنا أسماه هو ابن الخطيئة، وفقًا لما يرويه هو عن نفسه في أشهر كتبه، كتاب «الاعترافات» «باللاتينية: **Confessiones**»، الذي جاء فيه:

«إني اليوم في الثلاثين من عمري لا أزال أتخبط في نفس الوحل

وأميل بقوة إلى الاستمتاع بالحاضر الذي يهرب دومًا

من وجهي ويشتتني»



«تصاعد دخان رغبات جسدي الدينئة التي غطت كالسحاب
قلبي وآلمته حتى لم أعد أميز بين الصفاء الواضح للحب،
وغشاوة الهوى والشهوة، فانغمست وضللت وتناثرت
أشلائي، هويت في بئر الدعارة»

- هل أنت متأكد أن هذا هو نفس الشخص الذي نظر للدين المسيحي؟! سأل عبد العزيز مستنكرًا.

- على رسلك يا صديقي، فليس عيبًا أن يخطئ الإنسان في حياته ثم يرجع للطريق المستقيم، ولكن المشكلة الحقيقية في أوغستين هي نفس مشكلة بعض الشباب الذي يكون منحرفًا في حياته، ولكنه حين يقرر ترك حياة اللهو والمجون والاتجاه إلى التدين فإنه يتجه إلى التطرف الديني، أي أنه ينتقل من تطرف فكري إلى آخر، لذلك فإن أغلب المتطرفين دينيًا وأعضاء المنظمات الإرهابية يكون لهم في الغالب ماضي مخجل.

- هذا صحيح، أتذكر أنني ذهبت للصلاة في أحد مساجد لندن الصغيرة، فجاء شاب صغير وصلى لوحده في طرف المسجد بعيدًا عن الجماعة، وبعد أن فرغت من الصلاة ذهبت إليه وأخبرته أن الرسول ﷺ نهى عن هذا الأمر، فأخبرني بأنه لا يصلي مع المرتدين، وأن أغلب رواد المسجد ليسوا مسلمين حقيقيين، وبعد أن حاولت إقناعه بخطورة هذا الفكر، اتهمني بالجهل والنفاق، ثم أخذ ينتقد

ملابسي وتسريحة شعري، قبل أن يتهمني بالكفر ويخرج غاضبًا من المسجد، وبعد أخبرني إمام المسجد أن ذلك الشاب المتطرف كان قبل أشهر قليلة من رواد الخمارات في لندن، وأن والده جاء إلى المسجد وهو يبكي ويرجو من الإمام أن يقنع ابنه بالرجوع إلى المنزل الذي تركه متهمًا والديه المسلمين بالكفر!

- للأسف هذا هو الحال مع أغلب هؤلاء المتطرفين يا نضال، والظاهر أن أوغستين كان من هذه العينة، فبعد أن اعتنق أوغستين المسيحية التثليثية وترك حياة المجون والدعارة التي كان منغمسًا بها، صار على النقيض من ذلك يحط من قيمة المرأة والجنس بشكل عام، وصار يتحدث كثيرًا عن دور العاهرات في إفساد المجتمع، وكان ينتقص من قدر المرأة بشكل عام ويرى أنها على حد وصفه في كتاباته «ليست على صورة الله، في حين أن الرجل بذاته هو صورة الله سواء أكان بمفرده أم مع المرأة»، أما الجنس فقد تكلم فيه كثيرًا بشكل سلبي، ووصف الشهوة الجنسية بأنها «مبعث الخجل»، وكان يعتقد أنه « في الحياة الآخرة لن تكون هناك شهوة جنسية»، أما الكارثة الكبرى فكانت عندما أدخل أوغستين للمسيحية عقيدتين من أخطر العقائد التي أضيفت إلى الدين المسيحي على الإطلاق!

- وما هي هاتان العقيدتان؟

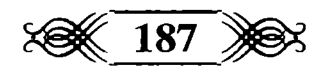
- العقيدة الأولى هي عقيدة «الخطيئة الأصلية» «**Original sin**»،

وملخص هذه العقيدة المسيحية التي أدخلها أوغستين في القرن الخامس الميلادي أننا جميعًا نولد آثمين محملين بالخطيئة، حتى الطفل الرضيع يكون آثمًا في مهده، وذلك لأننا ورثنا الخطيئة من آدم، ويرى أوغاستين أنه لكي ننعم بالخلاص فإنه يجب تنقيتنا من هذه الخطيئة.

- ولكن لماذا يجب عليَّ أن أتحمل الذنب عن أمر لم أرتكبه من الأساس، وإنما حدث قبل ولادتي بآلاف السنين؟! سأل عبد العزيز مستنكرًا.

- وفقًا للمفهوم المسيحي لهذه العقيدة فإن الخطيئة تورث من جيل إلى آخر، على عكس ما هو موجود لدينا في الإسلام، فبالنسبة لنا فإن القاعدة واضحة وحددها الله في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، أي أن كل إنسان محاسب عن عمله فقط، أضف إلى ذلك أن مسألة الخطأ الذي ارتكبه أبونا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ مسألة تم الانتهاء منها بكل بساطة في ذلك الوقت المبكر من تاريخ البشرية، ولا تحتاج لكل هذا التعقيد الذي جعلوه حملًا نفسيًا ثقيلًا يطارد المسيحي منذ ولادته، وحل هذه المسألة كما جاء في القرآن يتلخص بأن آدم أدرك خطأه، واستغفر الله على ما قام به، فتاب الله عليه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

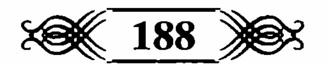
- وماذا عن العقيدة الثانية التي أدخلها أوغستين؟



- إنها عقيدة التعذيب! فقد كان أوغستين يعتقد أنه ينبغي إكراه «الآثمين» بالقوة والتعذيب لإجبارهم على المسيحية «التثليثية»، وأنه لا ينبغي تجاهل أي طريقة لدفعهم إلى الإيمان بعقيدة الكنيسة، حتى لو أدى ذلك إلى استخدام طرق بشعة، وأن هذا التعذيب إنما هو بدافع الحب لكي يحصلوا على الخلاص من الرب.

- إذا فهذا هو تفسير ما جاء في رسالة تونس «عراب التعذيب»! قال عبد العزيز مقاطعًا.

- بالضبط، فقد كان أوغاستين هو عراب التعذيب الأول في المسيحية، والشخص المسؤول عن كل الجرائم التي قامت بها الكنيسة منذ زمنه وحتى الآن، بما فيها محاكم التفتيش المرعبة في إسبانيا التي



استخدمت فيها آلات تعذيب مقززة، وارتكبت خلالها عمليات إبادة بشرية في حق المسلمين واليهود وحتى المسيحيين البروتستانت وغيرهم من المسيحيين المخالفين للعقيدة الكاثوليكية للكنيسة.

- وهل يعرف عامة المسيحيين هذه الحقائق عن قديسهم؟!

- للأسف فإن أغلب المسيحيين لا يعرفون هذه الحقائق عنه، وذلك لإن الكنيسة أحاطت أوغاستين بهالة من القدسية لكونه العراب لكثيرمن عقائد الكنيسة التي ما زالت سائدة إلى يوم الناس هذا، وعلى رأسها عقيدة التثليث التي كان أوغاستين من أكبرالمنظرين لها، وهو ما دفع العالم الإسباني الكبير «مايكل سيرفيت» «**Miguel Servet**» لتحميل أوغاستين مسؤولية تحريف الديانة المسيحية وذلك عن طريق «نشر خرافة الثالوث المقدّس»، وقد نقل ذلك عن سيرفتو أثناء النقاش الشهيرالذي داربينه وبين كالفن، مايكل سيرفيت رفض الاعتراف بالثالوث المقدس، فحكمت عليه الكنيسة بالإعدام حرقًا وهو مربوط بكتبه التي حاول بها إصلاح المسيحية، والتي كان من أهمها كتاب «أخطاء الثالوث» وكتاب «استعادة المسيحية». في نفس الوقت حاولت الكنيسة إبان فترة الاحتلال الفرنسي لشمال أفريقيا كسب شعبية لأوغاستين بين صفوف الأمازيغ من خلال التركيزعلى أصول أمه الأمازيغية، بالرغم من أوغاستين كان وبالًا على الأمازيغ بالذات!

- وكيف ذلك؟



- الأمازيغ في وقت أوغاستين كانت غالبيتهم تنتمي لطائفتين كبيرتين، الطائفة الآريسية التوحيدية التي تنسب للقس الأمازيغي آريوس، والمذهب الدوناتي الذي أسسه الأسقف الأمازيغي «دوناتوس» «**Donatus**»، والذي كان قاد حركة ثورية في شمال أفريقيا رافضة لسيطرة الكنيسة والرومان على الأمازيغ، وأوغاستين بحكم أصله الروماني وقربه من الكنيسة قام بمحاربة هاتين الطائفتين في شمال أفريقيا، وبارك المذابح التي ارتكبها الرومان بحقهم، بعد أن صارت تعاليم أوغاستين وكتاباته في تشريع العنف والتعذيب الأساس الذي ترتكز عليه الكنيسة في قتل وتعذيب كل من يخالف تعاليم الكنيسة... حتى جاءت ساعة الانتقام بواسطة الفاندال!

- ساعة الانتقام؟! تساءل عبد العزيز.

- بعد سنوات صعبة قضاها الفاندال الآريسيين مضطهدين في سهول أوروبا، وبعد آلاف الضحايا الذين قتلوا وعذبوا منهم بسيوف الرومان وتعاليم عراب التعذيب أوغاستين، قدر الله سبحانه وتعالى أن يعيش أوغاستين لكي يرى هؤلاء المستضعفين وهم يعبرون البحر المتوسط ويزحفون نحوه بقيادة ملكهم الأسطورة غايسريك نحو عنابة حيث كان يتحصن رجل الدين الذي تسبب بقتل وتعذيب الآلاف منهم، وفي ربيع عام **430** وصلت كتائب الفاندال الموحدة إلى مدينة عنابة الجزائرية، وقد أصر الملك غايسرك

على اقتحامها للانتقام من أوغاستين، وبعد أشهر من الحصار الطويل، تمكن الفاندال من اختراق حصون عنابة.

- وماذا فعل الفاندال بأوغاستين عند دخول المدينة؟

- لم يفعلوا شيئًا، فقد مات في نفس اللحظة اقتحموا بها أسوار المدينة.

- هل انتحر أم مات من الخوف من أن يلاقي نفس مصير الأبرياء الذين عذبهم؟

- لم تذكر الوثائق التاريخية أي تفاصيل عن سبب موته، سوى أنه مات بصورة مفاجئة في نفس ذلك اليوم!



استمر نضال وعبد العزيز في المسير حتى وصلا إلى قمة الهضبة التي تشرف على مدينة عنابة، وهناك انتصبت كنيسة رومانية كاثوليكية عملاقة بناها الفرنسيون في فترة احتلالهم للجزائر، وأمام مبنى الكنيسة انتصب تمثال برونزي كبير، فأشار نضال نحو الكنيسة والتمثال قائلًا:

- ها نحن قد وصلنا أخيرًا إلى هدفنا يا عبد العزيز، فهذه هي كنيسة القديس أوغستين التي بناها الفرنسيون في عنابة أثناء احتلالهم للجزائر، وهذا التمثال، هو تمثال أوغستين!

- إذا فمن المفترض أن نجد الحلقة السادسة من اللغز خلف هذا التمثال كما جاء في الرسالة: «خلف عراب التعذيب»!

أسرع الصديقان لتفحص التمثال من الخلف، وهناك وجدا رسالة مكتوبة بخط صغير على قاعدة التمثال الخلفية:

H

1

عند مدخل الكهف الكبير، بالقرب من مسكن مقدس الأيقونات،

حيث اكتُشِف إنجيل مرقص السري

وقف نضال قليلًا يتأمل في كلمات الرسالة الجديدة، ثم قال لعبد العزيز:



- أعتقد أن محطتنا القادمة ستكون المدينة التي ولد في المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مدينة بيت لحم الفلسطينية!



حرب الأيقونات

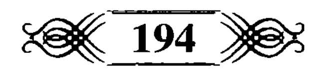
جلس نضال وعبد العزيز على مقعديهما في الحافلة المتجهة من العاصمة الأردنية عمان إلى مدينة بيت لحم الفلسطينية، وبعد عبور الحافلة لنهر الأردن عبر جسر الملك حسين الذي يربط الضفة الغربية للنهر في فلسطين بضفته الشرقية في الأردن، أخذ عبد العزيز يتأمل بالمناظر الطبيعية في الطريق عبر نافذة الحافلة، في حين انشغل نضال بالقراءة، فتارة يقلب في أوراق كتبه التي يحملها في حقيبة ظهرة، وتارة أخرى يبحث في شبكة الإنترنت عن بعض الأمور التاريخية التي يجدها في تلك الكتب.

- لم أكن أعلم أن طبيعة بلادك فلسطين بهذا الجمال! قال عبد العزيز.

- لو أنك جئت في الربيع لرأيت شيئًا أجمل بكثير مما تراه الآن.

- بالمناسبة يا نضال، ألم يحن الوقت لكي تخبرني إلى أين نتوجه بالتحديد؟ فمنذ أن غادرنا عنابة وأنت منكب على قراءة هذه الكتب كالمجنون!

- أرجو المعذرة يا صديقي، فمنذ معرفتي بمكان وجهتنا



السابعة، وأنا أحاول البحث في هذه الكتب عن سر وجود الحرف **N** في الحلقة السابعة من لغز الحلقات العشر، وحتى الآن لم أصل إلى أي تفسير منطقي، وعلى أي حال نحن متوجهون إلى أحد أقدم الأديرة المأهولة في العالم.

- وما هو هذا الدير؟

- دير «مار سابا» «**Mar Saba**»، هو دير تاريخي بني في صحراء منعزلة شرقي بيت لحم على يد راهب من وسط تركيا الحالية يطلق عليه اسم «سابا المقدس» «**Sabbas the Sanctified**»، وذلك منذ أكثر من **1500** عام، وبعد موته دفن سابا في الدير، ونقل جثمانه بعد ذلك بس ليدفن في العاصمة القسطنطينية كأحد القديسين، ولكن جثمانه سرق بعد ما يقرب من **700** من موته.

- ومن الذي فكر بسرقة جثة رجل مات قبلها بسبعة قرون؟! تساءل عبد العزيز مستنكرًا.

- هل تتذكر قصة الحملة الصليبية الرابعة التي حدثتك عنها في السابق؟

- أجل أتذكرها، القصة التي حدثتني عنها أمام جامع الفاتح.

- كما أخبرتك، فإن الصليبيين الكاثوليك لم ينهبوا الأموال فقط من أرثذوكس القسطنطينية، بل نبشوا القبور وانتهكوا المقدسات، وجثة مار سابا كانت من بين الجثث التي سرقت ونقلت



إلى مدينــة البنـدقيــة الإيطاليـة، وقـد بقيـت هنـاك حـتى عـام **1965** عندما قرر البابا «بولس السادس» إعادتها في تابوت زجاجي إلى دير مار سـابا كبـادرة حســن نيــة تجـاه الأرثـدوكس، ومـا يـزال هـذا التـابوت الزجاجي وبه الجثة موجودًا إلى الآن في هذا في الدير.

- حسنًا، ماذا عن باقي كلمات الرسالة؟ وما علاقة من جاء فيها بدير مار سابا؟

- «مقدس الأيقونات» هو الوصف الذي استخدمته أمي للإشـارة إلى أحـد أشـهر مـن سـكن هـذا الـدير في التـاريخ، وهـو الراهـب «يوحنـا الدمشقي» «**John of Damascus**»، الـذي كـان أشـهر مـن دافـع عن تقديس الأيقونات.

- أعتذر على المقاطعة، ولكن ما هي الأيقونات أصلًا؟!

الأيقونات هي الصور والتماثيل والمجسمات وغيرها من الأشياء التي يستخدمها بعض الناس للتبرك والتقديس وطلبًا للحاجة، ومع بداية ظهور المسيحية، كان المسيحيون يبتعدون عن مثل هـذه الأمـور الـتي كانـت رائجـة في الـديانات الوثنيــة، وقـد بـدأ التصـوير والرسـم وتبجيـل مخلفـات الصـالحين في الفـترة البيزنطيـة بشـكل عفـوي ولـم يكــن لــه في البدايــة صــفة دينيــة، وإنمــا كــان مــن بــاب التــذكير بالشخصـيات والأحـداث المهمـة في المسـيحية واسـتحضـار تاريخهـا، حتى أن الإمبراطورة هيلانة التي تحدثنا عنها سابقًا والتي كانت موحدة

هي التي وجدت الصليب الذي كان المسيحيون يعتقدون أن المسيح عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ صلب عليه، ولكنها كغيرها من المسيحيين في ذلك الوقت لم تعبد الصليب، وإنما كان حفظها له من باب الاستحضار التاريخي، ولكن مع الوقت أثر الحماس الديني في تعامل الناس مع هذه الأشياء، وأصبح مع مرور الأيام يمثل اتجاهات دينية خالصة، الأمر الذي أثر في العقيدة المسيحية بشكل كبير، فبدأ المسيحيون أنفسهم يقدسون أيقونات القديسين والصور التي رسموها لعيسى وأمه وغير ذلك من الصلبان والتمائم الدينية.

- ولكن هل كانوا يعبدونها أم يقدسونها فقط؟ تساءل عبد العزيز.

- الحقيقة أن أغلبهم كان يعلم أن الأيقونات مجرد أشياء من صنع الإنسان، ولكن حقيقة أفعالهم كانت تتجاوز موضوع التقديس إلى مراحل أبعد من ذلك بكثير، فكان كثير منهم يترك سؤال الرب مباشرة، وصار عوضًا عن ذلك يسأل تلك الصور والأصنام والصلبان والأحجار المقدسة طلبًا للرزق والعلاج والحماية وغير ذلك من أمور الدنيا والآخرة، وهذا بالمناسبة لا يختلف كثيرًا عما يقوم به بعض المسلمين في هذا الزمان، فكثير من عامة المسلمين صار يتبرك بالقلائد والتمائم والقبور وآثار الأولياء الصالحين والأحجار الزرقاء وغير ذلك من أمور لم ترد في قرآن أو سنة، وصاروا يعتقدون أنها تقربهم إلى الله،

وأنها تحميهم من العين، وتجلب لهم البركة والرزق، ومع التسليم أن أغلب من يقوم بهذه الأمور يقوم بها عن طيب نية أو جهل، إلا أن الحقيقة أن هذه الأعمال لا تختلف كثيرًا عن أعمال الوثنيين الذين صنعوا الأصنام بأيديهم واعتقدوا أنها تقربهم إلى الرب، وأنها تحميهم من الأرواح الشريرة، هذا الأمر دفع بعض أساقفة الكنيسة إلى الإحساس بخطر تقديس الأيقونات على العقيدة المسيحية، لذلك نشطت في القرن الثامن الميلادي حركة مسيحية بدعم من الإمبراطور «ليو الثالث الإيساوري» «**Leo III**»، فأصدر الإمبراطور البيزنطي مرسومًا ضد تقديس الرموز والأيقونات ومنع تعليقها في الكنائس والمنازل والأماكن العامة، لتبدأ في ذلك الزمان ما سمي بـ «حرب الأيقونات البيزنطية» أو «حرب الصور» «**Byzantine Iconoclasm**»، وكان هدفها تحطيم الصور والتماثيل والرسومات داخل الكنائس والأبنية الدينية فقط مناهضة لعبادة الصور على مختلف أنواعها وأنماطها، وقد قوبل هذا القرار بالترحيب من قبل النخبة الأرستقراطية في الإمبراطورية البيزنطية وقطاع من رجال الدين المسيحي، إلا أن بابا الفاتيكان ومجموعة أخرى من أساقفة الكنيسة الشرقيين وعلى رأسهم يوحنا الدمشقي رفضوا هذا الأمر، فكتب يوحنا الدمشقي ثلاث مؤلفات كاملة دفاعًا عن تقديس الأيقونات، وشجب المرسوم الإمبراطوري بشدة، وقد حرض يوحنا المسيحيين

على التمرد ضد هذا القرار، وقد ساهمت منشوراته في هذا الخصوص بازدياد شعبيته بشكل كبير ليس فقط لأنه عارض الإمبراطور بل أيضًا بسبب أسلوب كتابته الأدبي البسيط الذي كان مفهومًا لدى عامة الناس ما أدى إلى تصاعد الجدل في الموضوع.

وتقول الأسطورة المسيحية أن الإمبراطور ليو الثالث أراد الانتقام من يوحنا الدمشقي الذي كان يعيش بسلام في دولة الخلافة الإسلامية ويعمل في وظيفة مهمة لدى الخليفة الأموي، فأرسل الإمبراطور البيزنطي وثائق مزورة إلى الخليفة حول تورط يوحنا بمؤامرة للهجوم على دمشق، الأمر الذي دفع الخليفة لقطع يده عقابًا له، إلا أن يوحنا الدمشقي استمر بدعوة الناس إلى تقديس الأيقونات، ودعا صورة لمريم العذراء بأن ترجع له يده، فحدثت المعجزة ونبتت له يد جديدة، وأكمل حياته راهبًا في دير ما سابا.

- وهل حادثة قطع يده وحصوله على يد جديدة قصة حقيقية بالفعل؟! تساءل عبد العزيز.

ابتسم نضال، ثم قال:

- لا شك أن كل شيء يمكن أن يحدث عن طريق المعجزات، ولكن لو افترضنا جدلًا صحة هذه القصة، فهل تعتقد بالفعل أن الخليفة المسلم عندما يفكر بمعاقبة رجل دين مسيحي يعيش بسلام في أرض المسلمين ثم تثبت خيانته وتهديده لنظام الملك وتعاونه مع



أعداء الدولة، هل تعتقد أن الخليفة سيكتفي بقطع يده قبل أن يتركه ليعيش بسلام بين المسلمين؟! أي إنسان سوي يفكر ولو قليلًا بعيدًا عن العاطفة سيدرك أن هذه القصة المختلقة تم اختراعها لإضفاء القداسة على يوحنا الدمشقي، وإثبات أن الابتهال للصور والأصنام يمكن أن يحدث المعجزات، ناهيك أن هذه القصة تهدف أيضًا إلى تشويه صورة الإمبراطور البيزنطي الذي حرم عبادة الأيقونات، وذلك من خلال وصمه بالغدر والخيانة بتعاونه المفترض مع المسلمين، خاصة وأن من وضع هذه القصة يتهم الإمبراطور بأنه حرم عبادة الأيقونات محاباة للمسلمين الذين يحرمون مثل هذه الأمور في دينهم، ولكن بالرجوع إلى الوقائع التاريخية الثابتة نجد أن الإمبراطور ليو الثالث كان من ألد أعداء المسلمين، وهو من استمات بالدفاع عن القسطنطينية وحماها من السقوط بيد الأمويين أثناء حصار القائد المسلم مسلمة بن عبد الملك للمدينة، على عكس يوحنا الدمشقي الذي كان مسؤولًا ماليًا رفيعًا في قصر الخلافة، وكان هو وأبوه وجده يعملون لدى المسلمين بمناصب كبيرة، ويحظون بثقة كبيرة لدى الخلفاء الأمويين.

- وكيف انتهت هذه الحرب؟

- إثر تصاعد الجدل بين معارضي الأيقونات ومؤيديها، عقد الأساقفة المسيحيون في عهد خليفة ليو الثالث الإمبراطور

قسطنطين الخامس مجمعًا مسكونيًا لمناقشة هذا الأمر، وهو «مجمع هييرية» «Council of Hieria» عام 754، وأقر المجمع عقيدة رفض الأيقونات وتكريمها واعتبروا كل من يخالف هذا الرأي مهرطقًا، أي زنديقًا خارج عن المسيحية، وتم في هذا المجمع تكفير الأساقفة الداعين لتقديس الأيقونات، وكان يوحنا الدمشقي من بينهم، إلا أن الكنيسة عادت من جديد لتغير رأيها بعد تغير مقاليد الحكم، وذلك في عام 787 عندما عُقد مجمع آخر هو مجمع «نيقية الثاني» «Second Council of Nicaea»، وفيه أعاد أساقفة الكنيسة صياغة العقيدة المسيحية من جديد، فتم إدخال عقيدة تقديس الأيقونات، وأزيل في هذا المجمع الحرمان الكنسي-عن يوحنا الدمشقي ورفاقه، وبعد أن اعتبروا هراطقة في السابق، وُصفوا بعد هذا المجمع بـ «أبطال الحقيقة»، في حين تم تكفير ليو الثالث الذي دافع عن القسطنطينية وتكفير كل من رأى حرمة تقديس الصور والأيقونات، وبعد ذلك بنحو نصف قرن غيرت الكنيسة رأيها من جديد، فأعادت حرب الأيقونات من جديد، ودعت إلى تحطيم التماثيل وطمس الصور وتحريم عبادة الأيقونات، وذلك في المجمع الذي عقد في آيا صوفيا «مجمع القسطنطينية لعام 815» «Council of Constantinople» عاد أساقفة الكنيسة من جديد لتحريم الأيقونات، قبل أن تجلس الإمبراطورة «ثيودورا» على

عرش الإمبراطورية، وتعقد صفقة مع الكنيسة على إعادة تقديس الأيقونات للمسيحية شريطة عدم تكفير زوجها المتوفى «ثيوفيلوس» الذي مات على عقيدة تحريم الأيقونات، فوافق رجال الدين على هذا الشرط، وعقدوا «مجمع القسطنطينية لعام **843**» من جديد عقيدة تبجيل الأيقونات وحرمان «أي تكفير» كل من حرمها ويحرمها، باستثناء زوج الإمبراطورة الذي لم يطبق عليه رجال الكنيسة هذه القاعدة الدينية الجديدة تلبية لشرط زوجته الحاكمة، وقد جعلت الكنيسة الأرثذوكسية تاريخ إعادة تبجيل الأيقونات عيدًا رسميًا للمذهب، وصارت تحتفل منذ ذلك التاريخ كل عام بـ «عيد الأرثذوكسية» «**Feast of Orthodoxy**»، أو «انتصار الأرثذوكسية» «**Triumph of Orthodoxy**».

- عجيب كيف كانت طبيعة العلاقة بين رجال الدين والأباطرة الرومان تحدد من يدخل الجنة ومن يدخل الجحيم!

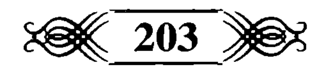
- للإنصاف يا عبد العزيز الأمر لا يقتصر على المسيحية، فقد حرص كثير من قادة وملوك العالم عبر التاريخ على استمالة رجال الدين لتدعيم سلطتهم على رعاياهم، فلا يوجد شيء في التاريخ انقاد له بنو الإنسان مثل الدين، وهذه الطبيعة البشرية أدركها منذ الأزل كل من أراد أن يحكم قبضته على البشر، لذلك سعى كثير من حكام العالم القديم للحصول على شرعية دينية لحكمهم، فكان أول شيء

يحرصون عليه فور تسلمهم للسلطة هو تشييد المعابد في قلب المدن، ليس بالضرورة حبًا بالآلهة، ولكن حبًا بالسلطة التي كانت تلك المعابد توفرها لهم، وفي نفس الوقت عملوا على استمالة علماء الدين وكهنة المعابد إلى جانبهم، فكانت طبقة الكهنة في أغلب المجتمعات القديمة والحديثة هي الطبقة الثانية في الهرم الطبقي للمجتمع، وكان الحكام يخصونهم بالامتيازات ويغدقون عليهم الأموال الطائلة، وكان هؤلاء بدورهم يضيفون قدسية دينية إلى القادة والملوك، فيغيرون تعاليم الدين وفقًا لتغير أهواء حكامهم، ويقنعون الشعوب بوجوب الطاعة العمياء لهم، لذلك فإن فكرة التوحيد في حد ذاتها كانت ولا زالت فكرة مرعبة لكل المستبدين في التاريخ، فالتوحيد يعني إفراد الإنسان العبودية لله وحده، وعدم الخضوع الأعمى لرجال الدين أو أي مخلوق مهما كان مركزه.

- حسنًا، هذا بالنسبة لتفسير ما جاء في الرسالة عن «مُقدس الأيقونات»، ولكن ماذا عن «الإنجيل السري»؟

لاحظ نضال أن ركاب الحافلة بدأوا بتجهيز أنفسهم للنزول منها، فألقى نظرة من خلال نافذة الحافلة، فرأى أنهم قد اقتربوا من مركز مدينة بيت لحم، فتوجه إلى صديقه قائلًا:

- سأخبرك بحكاية هذا الإنجيل السري في طريقنا إلى دير مار



سابا، فأمامنا مسافة لا بأس بها سنضطر لقطعها مشيًا على الأقدام، ولكن الآن وقبل كل شيء دعني أدعوك على أحد مطاعم بيت لحم الشعبية لكي تتناول فيها طبقًا من أشهى الأطباق الوطنية في بلادي... «المقلوبة الفلسطينية»!



إنجيل مرقص السري

The Secret Gospel of Mark



استقل نضال وعبد العزيز سيارة أجرة أقلتهما إلى بلدة العبيدية الواقعة شرقي مدينة بيت لحم، ومن هناك توجهًا مشيًا على الأقدام بين التلال والطرق الوعرة المؤدية إلى صحراء وادي القدرون حيث يوجد دير مار سابا، ومن ثم توجها إلى جبل يطل على الدير للوصول إلى الكهف المشار إليه بالرسالة.



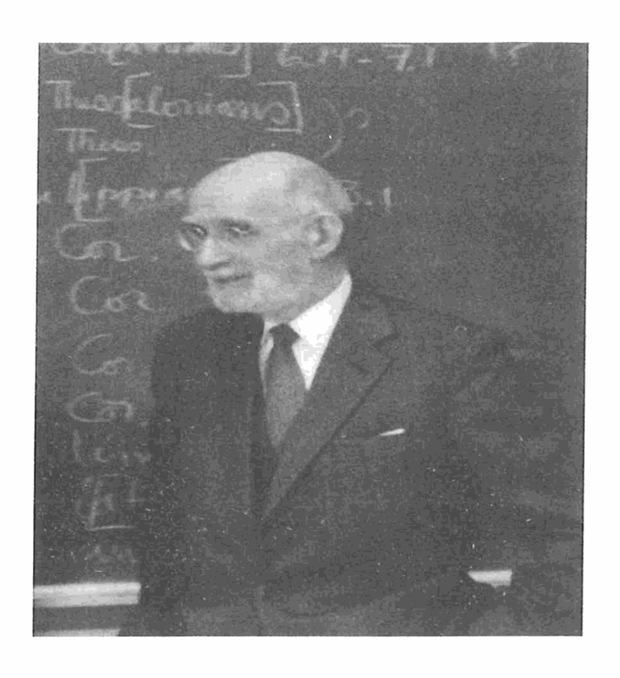
- لماذا لا توجد طريق مباشرة إلى هذا المكان الذي يأتيه السياح المسيحيون من مختلف أرجاء العالم؟!

- فكرة في وجود الدير في هذا المكان المنعزل تتناسب مع فلسفة الرهبنة الصعبة التي شيد من أجلها، لذلك فإن الرهبان الذين يختارون الإقامة داخل هذا الدير يعيشون فيه حياة منعزلة عن الناس وبعيدة عن تعقيدات الحياة الحديثة، وأسلوب حياتهم فيه متقشف وبسيط إلى أبعد الحدود، لدرجة أن التفاح ممنوع داخل الدير.

- بالمناسبة يا نضال، وعدتني أن تخبرني بقصة «الإنجيل السري» في الطريق، وإلى الآن لم تخبرني شيئًا عنه!

- أرجو المعذرة يا صديقي، فقد أنستني وعورة الطرق وصعوبتها أن أذكرها لك، وعلى العموم نحن ما نزال في الطريق، ونحتاج لحوالي ساعة من المشي-لصعود الجبل، لذلك دعنا نستريح قليلًا ونجلس تحت ظل تلك النخلة، وهناك سأروي لك الحكاية كاملة.

جلس نضال وعبد العزيز تحت ظل نخلة قريبة من الدير، وأخرجا من حقيبتيهما بعض المشروبات الباردة التي جلباها من مدينة بيت لحم، وأخذا يشربان بصمت وهما يتأملان في البناء الأثري العجيب لدير مار سابا، قبل أن يبدأ نضال بالكلام:



- بدأت الحكاية في عام **1958**، عندما اكتشف أستاذ التاريخ القديم في جامعة كولومبيا الأمريكية «مورتون سميث» «**Morton Smith**» في هذا المكان اكتشافًا تاريخيًا صادمًا، فأثناء قيامه بتصنيف بعض المخطوطات القديمة الموجودة في مبنى دير مار سابا، عثر البروفيسور الأمريكي على وثيقة مثيرة تعود للقرن الثاني الميلادي، هذه الوثيقة كانت عبارة عن جزء من رسالة كتبها أحد أبرز علماء المسيحية الأوائل، وهو القديس «إكليمندس الإسكندري»

«Clement of Alexandria» المولود عام 150، أرسلها إلى شخص غير معروف اسمه «ثيودور» «Theodore» يخبره فيها بوجود نسخة خفية من إنجيل مرقص يطلع عليها عدد محدود من رجال الكنيسة «الذين تدرجوا عاليًا في الإيمان المسيحي»، تحتوي على أمور حذفت أو نقحت في نسخة إنجيل مرقص الموجودة بين عامة الناس!

- ومن يكون مرقص أساسًا؟ أليس الإنجيل هو إنجيل المسيح عليه السلام؟!

- لا أعلم يا عبد العزيز إن كنت ما زلت تتذكر الحديث الذي دار بيننا في قصر البروفيسور بريستلي أثناء بحثنا عن سر آريوس، ولكن للتذكير فإن الإنجيل بالمفهوم المسيحي يختلف عن مفهومنا عنه كمسلمين، فكتاب الإنجيل الذي ورد ذكره في القرآن ككتاب أنزل إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مباشرة لا وجود له الآن، حتى الكنيسة نفسها لا تدعي أن كتاب المسيحيين المقدس حاليًا هو كتاب أنزل على المسيح، فالكتاب المقدس لدى المسيحيين حاليًا اسمه البايبل أو الكتاب المقدس، والبايبل «Bible» كلمة إغريقية تعني «الكتب»، أضف إلى هذا أن الكتاب المقدس يتكون بالأساس من مجموعة كتب تسمى في العربية أسفارًا، الكتب التسعة والثلاثون الأولى مشتركة بين اليهود والمسيحيين، ويطلق عليها اليهود اسم «التناخ»، أما المسيحيون

فيسمونها «العهد القديم»، إضافة للكتب الخاصة بالمسيحيين فقط وهي سبع وعشرون كتابًا يشكلون «العهد الجديد»، والذي يتكون بدوره من «الأناجيل الأربعة» والرسائل وسفر الأعمال والرؤيا، ويعتقد المسيحيون أن الأناجيل الأربعة أوحيت من السماء إلى أربعة أشخاص من أتباع المسيح وهم «متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا»، وأنها تشكل أربعة شهادات لأقوال المسيح وتعاليمه ومعجزاته وتاريخه وفقًا للمعتقد المسيحي، لذلك فإن هذه الأناجيل تسمى بأسماء هؤلاء الأربعة.

- ولكن ما السبب في وجود نسختين مختلفتين من إنجيل نفس الشخص وهو مرقص؟

- حسب ما يفهم من الرسالة، فإن ثيودور كان قد اطلع على النسخة السرية من إنجيل مرقص، فأرسل إلى إكليمندس رسالة يستفسر منه عن سبب إخفاء هذه النسخة عن عامة الناس، فأوضح له إكليمندس في هذه الرسالة أن هناك أمورًا رأى مرقص عدم نشرها بين عامة الناس خوفًا من تفسيرها بطريقة خاطئة أو مسيئة، لذلك فضل مرقص وضع نسختين، إحداهما «سرية» تطلع عليها حلقة ضيقة من رجال الكنيسة، وأخرى منقحة حذفت منها كثير من هذه الأمور وهي النسخة الموجودة بين عامة الناس.

- وما هي هذه الأمور التي فضل مرقص إخفاءها عن عامة الناس؟

- لا أحد يعرف بالضبط، فقد اختفى إنجيل مرقص السري من الوجود، ربما رأى رجال الكنيسة التخلص منه في أوقات لاحقة لسبب ما، أو ربما ما يزال مخفيًا من قبل مجموعة متنفذة في الكنيسة في مكان ما، الله أعلم بأمره، لذلك فمن المستحيل معرفة كل التشريعات والقصص والنبوءات التي نقلت عن المسيح وأخفيت في هذا الكتاب، هذا إذا ما سلمنا أصلًا بصحة هذه الوثيقة.

- وهل هناك احتمال بأن تكون هذه الوثيقة مزورة؟

- هناك من شكك بالفعل بصحة هذه الوثيقة التاريخية الخطيرة، خاصة من بعض رجال الكنيسة الذين رأوا أن البروفيسور الأمريكي مورتون سميث اختلق هذه الوثيقة من أجل الشهرة، ولكن الدراسات الأكاديمية المستقلة التي أجريت لاحقًا على مادة الوثيقة وأسلوب اللغة المستخدم فيها أثبتت قدميتها وصحتها من الناحية العلمية المجردة، إضافة لهذا كله فإن هذه الوثيقة احتوت على قصة عجيبة كانت بمثابة الحل للغز غامض حير كثيرًا من العلماء على مدى مئات السنين!

- قصة عجيبة ولغز غامض؟! تساءل عبد العزيز.

- حسنًا، هناك قصة عن المسيح وردت بشكل منفرد في أحد الأناجيل الأربعة، وهو إنجيل يوحنا، على الرغم من أن أغلب قصص

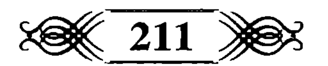
المسيح تكررت في الأناجيل الأربعة بصيغ مختلفة، المثير بالأمر أن هذه القصة هي القصة الوحيدة على الإطلاق في الكتاب المقدس التي تذكر بشكل واضح وصريح معجزة إحياء المسيح للموتى، وهي قصة إحياء المسيح لشخص اسمه «لِعازر» أو «إليعازر»، الأمر الذي دفع البعض للتساؤل عن سبب غياب مثل هذه القصة عن باقي الأناجيل الأربعة بالرغم من أهميتها في الوجدان المسيحي كونها قصة تذكر إحدى أعظم معجزات المسيح، ولكن الشيء الذي حير العلماء بالفعل لما يقرب من ألفي عام هو أن إنجيل يوحنا يعتبر آخر إنجيل تمت كتابته من الأناجيل الأربعة كما هو ثابت لدى المسيحيين، فلماذا غابت هذه القصة عن الأناجيل الثلاثة السابقة؟ وكيف وصلت هذه القصة إلى يوحنا بعد كل هذه السنين ولم تصل إلى من كانوا أقرب منه زمنًا إلى المسيح؟!

- وكيف فسرت وثيقة دير مار سابا هذا الأمر؟

- القديس إكليمندس الإسكندري يوضح في رسالته أن مرقص كان يعلم بهذه القصة، وذكرها بالفعل في إنجيله السري، لكنه فضل عدم ذكرها في الإنجيل المخصص لعامة الناس، وذلك تحرجًا لما تحتويه هذه القصة من أمور قد يساء فهمها حسب وجهة نظر مرقص.

- وما الحرج الذي قد تسببه قصة إعجازية مثل هذه القصة؟!

- الحقيقة أن يوحنا لم يذكر في إنجيله القصة كاملة، وإنما اكتفى بذكر بدايتها وحذف بقيتها، على عكس الأناجيل الثلاثة



السابقة التي ارتأت حذف القصة بالكلية، فالقصة كاملة كما ظهرت في بعض مقتطفات إنجيل مرقص السري التي أوردها إكليمندس في رسالته، تذكر أن المسيح والشاب الذي أحياه من الموت غادرا المقبرة وذهبا إلى بيت الشاب، وذكرت بعض التفاصيل التي خاف مرقص - وفقًا لما أوضحه إكليمندس - أن تفسر بشكل محرج، بالرغم من أنني شخصيًا لم أجد في القصة ما يدعو للحرج.

- وهل تمكنت بالفعل من الاطلاع على نص هذه القصة السرية؟!

ابتسم نضال ثم قال:

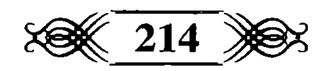
- الأمر لم يعد بهذه السرية الآن يا صديقي، فنص الرسالة موجود في شبكة الإنترنت، ابحث فقط عن «إنجيل مرقص السري» وستجد الكثير من المقالات ما بين مدافع ومهاجم، أما أنا فقد قرأت ترجمة النص الأصلي المترجمة للإنجليزية أثناء وجودنا في الحافلة، وذلك في كتاب أعطاني إياه البروفيسور بريستلي، هذا الكتاب اسمه «الأناجيل الكاملة» «**The Complete Gospels**» للبروفيسور «**Robert Miller**»، وكما أخبرتك، قرأت القصة كاملة ولم أجد فيها حرجًا على الإطلاق، فمن يقرأها دون تفسيرات شهوانية فسيجد أنها قصة عادية للغاية، أما من يريد غير ذلك فبإمكانه تخيل أمور أخرى، وهو الأمر الذي دفع بعض رجال الكنيسة إلى اتهام البروفيسور الأمريكي بأنه اختلق هذه الوثيقة من أجل الترويج للمثلية الجنسية، ولكن في حقيقة الأمر أن الهجوم على هذه الوثيقة كان له أبعاد أخطر من ذلك بكثير، فهذه الوثيقة تضع مصداقية كتبة الأناجيل وأمانتهم العلمية على المحك، حتى لو افترضنا أنهم قاموا بما قاموا به عن طيب نية مخافة أن يتم استغلال الأمر من قبل أعداء المسيح في ذلك الزمان، ولكن مثل تلك المخاوف إن وجدت لا يمكن أن تبرر إخفاء أو تحريف معلومات يفترض أنها وحي من السماء، وقد اكتشفنا من خلال هذه الوثيقة إخفاءهم أو تحريفهم لقصة واحدة

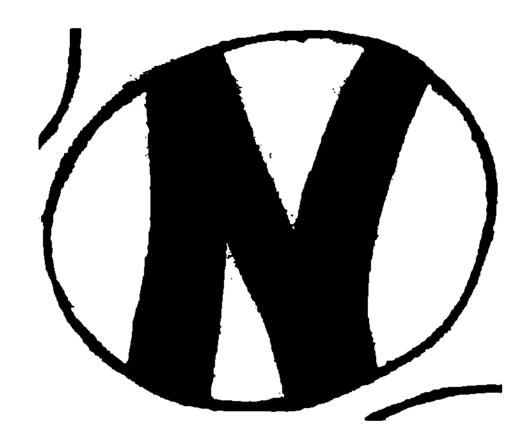
فقط، ولكن من يعلم حجم وخطورة وأهمية المعلومات والتعاليم والنبوءات التي جاء بها المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخفاها هؤلاء الأربعة وغيرهم من رجال الكنيسة عن عامة المسيحيين منذ نشأة الدعوة المسيحية وحتى يوم الناس هذا؟!

بعد ذلك، قام نضال وعبد العزيز من مكانيهما ليكملا طريقهما نحو قمة الجبل، وبعد نحو ساعة من المشي وصلا أخيرًا إلى الكهف الموصوف بالرسالة، وهناك وجدا رسالة جديدة مكتوبة على جدار مدخله، ولكن هذه الرسالة كانت مختلفة عن سابقاتها، فقد كانت الرسائل السابقة تبدأ بحرف لاتيني، ومن أسفله رقم، وبعد ذلك رسالة قصيرة باللغة العربية تدل على الوجهة القادمة، أما هذه الرسالة فقد احتوت على الحرف والرقم كالعادة، ولكن الكلمات بالأسفل كانت مكتوبة بحروف لاتينية غير مفهومة تشبه الشيفرة.

- ما هذه الرسالة العجيبة! لا أعلم لغة من اللغات الأجنبية التي أعرفها تحتوي على كلمات غريبة مثل هذه الكلمات! قال عبد العزيز متعجبًا.

وقف نضال أمام تلك الرسالة يتفحص كلماتها بصمت، ثم أخرج ورقة اللغز من حقيبته، وألقى نظرة على الحلقة السابعة التي كانت تحتوي على الحرف N، ثم قال:

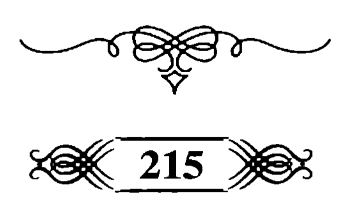




- معنى هذه الكلمات المشفرة يكمن في سر الحرف **N** الموجود في اللغز، هذا الحرف هو الرمز الفيزيائي المعتمد لوحدة قياس القوة «نيوتن» «**Newton**»، وهي الوحدة التي حملت هذا الاسم تخليدًا لذكرى واضع قوانين الحركة الثلاث العالم الفيزيائي الكبير السير إسحاق نيوتن.

- ولكن ما علاقة نيوتن وقوانينه وعلم الفيزياء بكلمات هذه الرسالة المبهمة؟!

- يبدو أنك لم تسمع يا صديقي عن اللغة العجيبة التي اخترعها نيوتن!



لغة نيوتن العالمية

Newton's universal language



- ما هذه اللغة ؟! سأل عبد العزيز بفضول.

- العالم الإنجليزي الشهير نيوتن اشتهر بنظريته عن الجاذبية وقوانينه للحركة وغيرها من تطبيقاته في علوم الفيزياء، ولكن

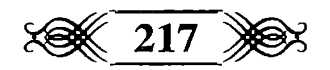
هنـاك شيء لا يعلمـه الكثـيرون عـن هـذا العبقـري الإنجلـيزي، وهـو أنـه ابتكـر لغـة عجيبـة أطلـق عليهـا لاحقًـا «لغـة نيـوتن العالميـة» «**Newton's universal language**»، وهي لغة ابتكرها نيـوتن في وقت مبكر في حياته عندما كان طالبًا في جامعة كامبريدج.

- ولماذا فكر نيوتن بابتكار لغة جديدة من الأساس؟

- الفكرة التي دارت في ذهن نيوتن في ذلك الوقت هي أن اللغـات المعروفـة لـيس لهـا مقيـاس محـدد لتصـنيف الكلمـات، ممـا يصـعب معرفة معناها مباشرة دون سابق خبرة أو تجربة مكتسبة، فـأراد نيـوتن في لغته الجديدة تسمية الأشياء وفقًا لطبيعتها، بحيث تبدأ أسماء الأشياء المتشابهة في الطبيعة بنفس الحرف، فمثلًا تبدأ جميع أسماء الحيوانات بحرف t، وجميع أسماء الأدوات بحرف s، وجميع أسماء العواطف الإنسانية بحرف b، وهكذا، بحيث يتمكن الإنسان من معرفة طبيعة الشيء مباشرة بمجرد سماع الحرف الأول للكلمة، وقد صنف نيوتن الكثير من الكلمات في هذه اللغة، ولكنه في نهاية الأمر اتخذ قرارًا بالتوقف عن تطويرها قبل أن ينتهي من إنجازها.

- وما الذي دفعه للتوقف عن إنجاز هذا العمل؟

- أحيانًا يكون الإنسان مخيرًا بين تحقيق حلمين اثنين في نفس الوقت، والإنسان العاقل هو من يحسن الاختيار وفقًا لرؤية مستقبلية



قائمة على إمكانيات واقعية، وليس وفقًا لعواطف وأحلام افتراضية، لذلك فإن نيوتن بعد أن قطع فعليًا شوطًا لا بأس به في عملية تطوير هذه اللغة، أدرك بذكائه وحساباته هذه القاعدة الاستراتيجية:

«لكي تحقق حلمًا من أحلامك، ينبغي عليك التنازل
عن أحلام أخرى!»

فالإنسان مهما كان عبقريًا وقويًا، فإنه لن يتمكن من تحقيق كل شيء في نفس الوقت، وذلك لسبب بسيط، وهو أن تحقيق هذه الأحلام مرتبط بالإمكانيات المتاحة على الأرض، ومرتبط أيضًا بمحدودية عمر الإنسان، والإنسان الذي يجري وراء سراب يستنزف كل وقته وكامل طاقته سيفقد في نهاية الأمر عقله، وهي الحقيقة الكونية التي عبر عنها الفيلسوف والمؤرخ الأمريكي الكبير ويل ديورانت وزوجته أريل ديورانت التي شاركته في كتابة الموسوعة الشهيرة «قصة الحضارة» «**The Story of Civilization**»، بهذه الكلمات القليلة:

«ما من أحد من بني الإنسان يستطيع أن يكون قادرًا على كل شيء،
وأن يكون في نفس الوقت سليم العقل!»

لذلك أدرك نيوتن في وقت مبكر أن إتمام تصنيف جميع كلمات لغته المبتكرة سيحتاج منه لسنوات طويلة من العمل المتواصل، لذلك فضل التخلي عن هذا الحلم ليتفرغ لتحقيق حلمه الأكبر في

مجال الفيزياء والعلوم التطبيقية، وقد كان نيوتن مصيبًا في اختياره، فقد غيرت اكتشافاته الفيزيائية من مجرى التاريخ، وجعلته اسمه من أشهر الأسماء في تاريخ البشرية، في حين أثبتت الأيام أن مشروع ابتكار لغة جديدة، حتى وإن كانت مفيدة من وجهة نظر مبتكرها، لن يؤثر في البشر كثيرًا، ولا يستحق كل هذه التضحية من أجله، فبالرغم من عدم إتمامه لها، عاشت الفكرة التي وضعها نيوتن لابتكار لغة عالمية جديدة لتلهم كثيرًا من المفكرين من بعده، وقد تمكن بعض العلماء بالفعل من ابتكار لغات جديدة، لعل أشهرها لغة الإسبرانتو «**Esperanto**»، ولغة إنترلنغوا «**Interlingua**»، ولغة إدو «**Ido**»، ولكن وبالرغم من مرور سنوات طويلة على ابتكارها، لم تنتشر هذه اللغات بين البشر سوى بصورة محدودة للغاية.

- ولكن لماذا لم تستخدم والدتك إحدى هذه اللغات المبتكرة في هذه الرسالة بدلًا من استخدام لغة نيوتن بالتحديد؟! تساءل عبد العزيز.

- هذا يرجع على الأرجح لرمزية نيوتن في أحداث مغامرتنا، فهذه المغامرة تتمحور حول فكرة التوحيد وكنز الفاندال الآريسيين، وكما أوضح لي البروفيسور بريستلي أثناء بحثنا عن سر آريوس، فإن السير إسحق نيوتن كان موحدًا بالله، وكان من أشد مؤيدين القس الأمازيغي الموحد آريوس، وكان رافضًا لفكرة الثالوث المقدس، وهذا ما ظهر مؤخرًا

في وثيقة تاريخية عُثرت ضمن ملاحظات شخصية كتبها إسحق نيوتن بخط يده، والأمر نفسه يؤكده المؤرخ الإنجليزي المعاصر البروفيسور سيمون شيفر «**Simon Schaffer**» من جامعة كامبردج بقوله:

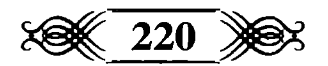
«لأن نيوتن كان مقتنعًا بأن الله لا مثيل له، وأن الله يمتلك قوة عظيمة للغاية، يمكن القول إن نيوتن جعل نفسه في موضع الهرطقة، أي بعبارة أخرى بدأ نيوتن بالتقليل من معنى أن المسيح إله معبود، حتى وصل الى إنكار الوهية المسيح».

أما المؤرخ البروفيسور جالي كريستيانسون «**GaleE. Christianson**» وهو كاتب سيرة حياة نيوتن فقد قال:

«لقد توصل نيوتن مبكرًا إلى النتيجة بأن مبدأ الثالوث المقدس عبارة عن كفر بالوصية الأولى في الكتاب المقدس، لأن الوصية الأولى للرب هي: «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي». لذلك فإن عبادة الآب والابن والروح القدس حسب اعتقاد نيوتن عبارة عن كفر!».

- ولكن هناك اعتقاد سائد أن نيوتن وكثيرًا من العلماء الذين ظهروا في عصر النهضة الأوروبية كانوا ملحدين ولا يؤمنون أصلًا بوجود الله! قال عبد العزيز.

- هذا الاعتقاد الخاطئ هو ما أرادت الكنيسة نشره عن هؤلاء العلماء الذين خالفوها في آرائهم الفكرية والعلمية، وبطبيعة الحال

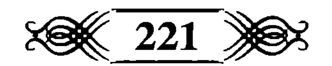


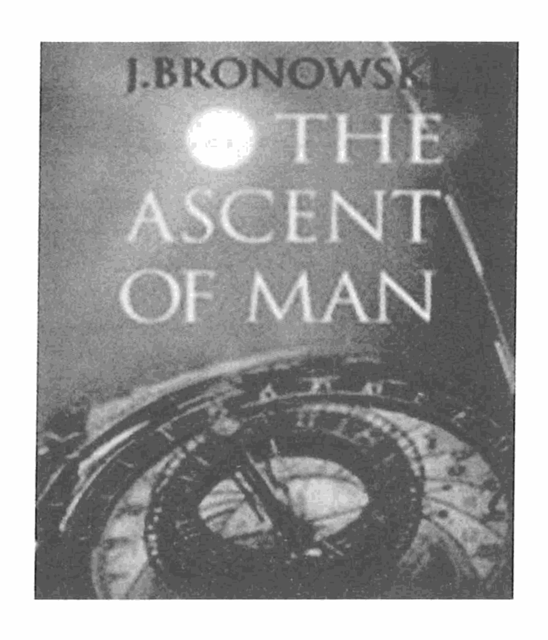
فإن الكنيسة في ذلك الوقت كانت تكفر كل من يخالف نظرياتها العلمية التي تراجعت عن أكثرها لاحقًا، وتتهم بالهرطقة كل من يفكر مجرد تفكير بالتشكيك بأهم عقيدة في المسيحية، وهي عقيدة التثليث، ولكن إذا دققنا في كتابات كثير من هؤلاء العلماء نجد أنهم كانوا مؤمنين بالله، وأن تقدمهم العلمي زاد من فكرة وجود خالق لهذا الكون، وهو ما عبر عنه نيوتن بقوله:

«هذا النظام الأجمل المكون من الشمس والكواكب والمذنبات، يمكن له فقط أن يعمل من قبل تدبير وسلطان كائن جبار وذكي».

لذلك فإن الحقيقة التي لا تريد الكنيسة أن يعلمها الناس هي أن هؤلاء العلماء لم يكونوا كافرين بالله، بل كانوا كافرين بالتفسير الكنسي لله، وبمعنى أوضح كانوا كافرين بعقيدة الثالوث المقدس بالتحديد، وهذا ما دفع الكنيسة لمحاربتهم بأبشع الطرق مع بداية عصر النهضة الأوروبي، الأمر الذي عرض كثيرًا منهم إلى محاكمات كنسية أدت بهم للقتل أو السجن أو التعذيب، أو حتى الحرق أحياء بقرارات من الفاتيكان نفسه، وهو ما عبر عنه المؤرخ وعالم الرياضيات البريطاني الشهير جاكوب برونوفسكي «**Jacob Bronowski**» في كتابه الشهير «ارتقاء الإنسان» «**The ascent of man**» حينما قال:

«كان العلماء في القرن السابع عشر يشعرون بالحرج من مبدأ التثليث».

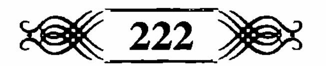




- حسنًا، هذه الحقائق التاريخية المثيرة تفسر إقحام اسم نيوتن في هذا اللغز المتعلق بتاريخ الآريسيين والتوحيد المسيحي، ولكن السؤال المهم هنا: كيف يمكنك فهم كلمات هذه الرسالة المكتوبة بلغة نيوتن وقد أخبرتني أن هذه اللغة لم تكتمل أصلًا؟!

أخرج نضال كتابًا كبيرًا من حقيبته، وأخذ يقلب في صفحاته وهو يقول لعبد العزيز:

- هذا الكتاب هو أحد المراجع المهمة التي أدرسها لطلابي في علم الرموز، وقد خصص الكاتب أحد فصوله لتوضيح القواعد التي



وضعها نيوتن في بناء مفردات لغته، صحيح أن هذه اللغة لم تكتمل بعد، ولكن من خلال تطبيق هذه القواعد على حروف كلمات هذه الرسالة يمكن إيجاد معناها.

بعد ذلك أخذ نضال ورقة وقلم وبدأ يحلل كلمات تلك الرسالة كلمة كلمة، حتى استطاع أخيرًا التوصل إلى كامل محتواها:

D

2

«في الضفة الشرقية للنهر، في قصر الواحة الزرقاء،

احفر أسفل اللوحة»

- علينا العودة من حيث أتينا يا عبد العزيز!

- إلى أين بالتحديد؟!

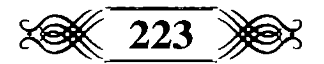
- إلى الأردن، حيث الواحة الزرقاء.

- لدينا في المغرب مدينة زرقاء، ولكني لم أسمع من قبل أن هناك واحة زرقاء في الأردن، فالواحة عادة ما توصف بالخضراء!

- هذا الوصف يرمز لبلدة «الأزرق» التاريخية، وهي بلدة صغيرة بنيت حول واحة في الصحراء الأردنية، وهناك يوجد قصر أثري مهجور أعتقد أنه هو القصر الذي توجد فيه اللوحة.

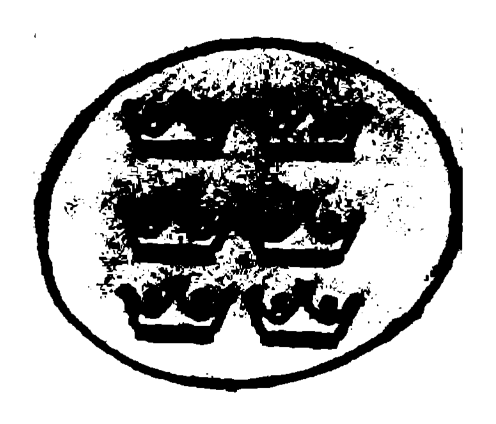
- أي لوحة؟

أخرج نضال ورقة لغز الحلقات العشر من حقيبته، وأشار إلى حلقة



اللغز الثامنة التي رسم داخلها ستة تيجان ملكية، وقال لعبد العزيز:

- أعتقد أن المقصود بهذه اللوحة هي اللوحة الجدارية العجيبة التي رسمت قبل **1300** عام... «لوحة الملوك الستة» «**Painting of the Six Kings**»!





في الطريق إلى الواحة الزرقاء

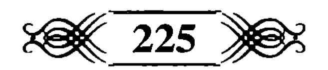
استأجر نضال وعبد العزيز سيارة صغيرة من أحد مكاتب تأجير السيارات في العاصمة الأردنية عمّان، واتجهوا بها شرقًا في طريق يخترق الصحراء الأردنية إلى محافظة «الزرقاء» حيث توجد بلدة «الأزرق»، وبينما كان عبد العزيز يقود السيارة، جلس نضال بجانبه يقرأ بصمت أحد الكتب العربية.

- ما هذا الكتاب الذي تقرأه يا نضال؟

- هذا كتاب يتحدث عن تاريخ الإسلام، أعارني إياه الشيخ صالح داود في زيارتي الأخيرة له في لندن، وأخبرني أنه يحتوي على معلومات قد تساعدني في فهم قصة الآريسيين.

- وما علاقة تاريخ الإسلام بقصة الأريسيين الذين ظهروا قبل مولد رسول الإسلام محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

- عجيب أمرك يا عبد العزيز، لقد كنت معي عندما زرنا بيت الشيخ صالح والتقينا به، واستمعت إلى ما قاله عن علاقة الأريسيين بالإسلام!



- لا أخفيك يا صديقي، ما زلت لا أستوعب تمامًا أغلب ما تحدث عنه الشيخ في ذلك اللقاء، حتى وإن تظاهرت وقتها بغير ذلك حتى لا أضيع الوقت بالأسئلة الكثيرة التي دارت في رأسي حينها!



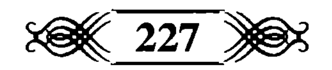
- حسنًا، سأحاول أن أعيد عليك ما فهمته من الشيخ، ولكن ينبغي علينا بداية أن نفهم ما هو الإسلام، فالإسلام ليس دين آخر الأنبياء محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط، بل هو امتداد لدين الله الذي شرعه للبشر من قديم الزمان، فالإسلام يعني الاستسلام لأمر الله تعالى وعبادته وحده، وهو قائم على عقيدة ثابتة هي عبادة الله وتوحيده بالعبادة دون غيره من المخلوقات، وقد بعث جميع الأنبياء والرسل بالإسلام، ولكن هناك شرائع سماوية مختلفة بعث بها الرسل، أما الدين عند الله هو الإسلام، لذلك فنحن عندما نصف أحدًا من أتباع عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الحقيقيين بالإسلام، فإننا لا نعني أنهم اتبعوا شريعة الإسلام الخاتمة التي جاء بها رسول الله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإنما نقصد بذلك المفهوم الأوسع للإسلام كدين لكل الأنبياء، والظاهر أن

الآريسيين كانوا من بين المسلمين الموحدين، ولا تنسَ أن أعداءهم هم من أطلق عليهم اسم الآريسيين لكي يوهموا عامة المسيحيين أنهم ليسوا من أتباع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل من أتباع آريوس، ولأن رجال الدين المثلثين يعلمون أكثر من غيرهم أن عقيدة الآريسيين هي عقيدة توحيدية تؤمن بأن المسيح مخلوق، قام بعضهم بوصف الإسلام نفسه بأنه امتداد لتعاليم آريوس، وذلك بعد أن رأوا التشابه بين عقيدة الآريسيين وعقيدة المسلمين من أتباع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

– هل أنت جاد فيما تقول؟! هل قام أحدهم بوصفنا بأنا آريسيين؟! سأل عبد العزيز مبتسمًا.

– في القرن الثاني عشر الميلادي، ظهر رجل دين كاثوليكي يدعى «بطرس المبجل» «**Peter the Venerable**»، هذا الراهب الفرنسي- شكل فريقًا مختصًا مهمته ترجمة بعض الكتب الإسلامية التي كان من أهمهاً القرآن إلى اللاتينية، وذلك بهدف دراستها ومن ثم العمل على تفنيد ما جاء فيها، وبالفعل ترجم فريقه القرآن إلى اللاتينية لتكون أول ترجمة غربية للقرآن على الإطلاق، بطرس هذا وصف الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشكل مباشر بأنه «خليفة آريوس» «**The successor of Arius**»!

– وهل هناك في المصادر الإسلامية ما يشير إلى علاقة الآريسيين بالتوحيد؟

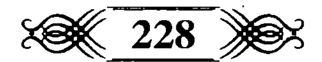


- رسالة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل ذكر فيها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأريسيين صراحة باللفظ «فعليك إثم الأريسيين»، وقد ذهب نفر من أهل العلم بأن كلمة الأريسيين تعني الفلاحين، وعلى أية حال فإن هذا التفسير يظل اجتهادًا من هؤلاء المفسرين رحمهم الله، ولكن هناك من العلماء الكبار من له رأي آخر، مثل ابن حزم الأندلسي، وابن تيمية، وغيرهم، وقد وردت في كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لابن تيمية رسالة لرجل مسلم كان نصرانيًا اسمه الحسن بن أيوب، في هذه الرسالة أورد الحسن بعضًا من أسباب إسلامه، وقد جاء في تلك الرسالة عن عقيدة الأريسيين:

«ولما نظرت في مقالات النصارى وجدت صنفًا منهم يعرفون بالأريوسية، يجردون توحيد الله، ويعترفون بعبودية المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا يقولون فيه شيئًا مما يقوله النصارى من ربوبية ولا بنوة خاصة ولا غيرهما، وهم متمسكون بإنجيل المسيح مقرون بما جاء به تلاميذه والحاملون عنه»

والإمام أبو الفتح الشهرستاني، ذكر شيئًا عن آريوس في كتابه «الملل والنحل»:

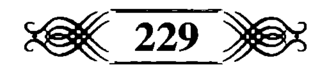
«ولما قال أريوس: القديم هو الله، والمسيح مخلوق، اجتمعت البطارقة والمطارنة والأساقفة في بلد قسطنطينية بمحضر من ملكهم»



في حين يقول قتادة في تفسير هذه الآية:

وأيضًا في سورة البروج التي ذكر الله فيها قصة أصحاب الأخدود والغلام المؤمن، والتي فصلها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحد أحاديثه، الشيء اللافت للانتباه أن هؤلاء الضحايا، الذين خلد القران قصتهم، كانوا في حقيقة الامر مجموعة من النصارى اليمنيين، وبالتحديد من مملكة حِمْيَر اليمنية، وقد رد في كثير من كتب التفسير الاسلامية، مثل تفسير القرطبي مثلًا، بأنهم «قوم من النصارى كانوا باليمن»، وبالرجوع إلى المراجع التاريخية الغربية، نجد أن زعيم الآريسيين يوسابيوس النيقوميدي كان له تلميذ ينحدر من إحدى جزر المحيط الهندي اسمه «ثيوفيولس الهندي» «**Theophilos the Indian**» أو ثيوفيولس الأثيوبي» بنشر المسيحية الأريسية باليمن، وحسب ما ذكرته الدكتورة كاثرين تساي «**Tsai Kathryn**» في كتابها «**A Timeline of Eastern Church History**»، فإن الإمبراطور الآريسي قنسطنطيوس الثاني بن قسطنطين العظيم أرسل ثيوفيلوس في بعثة إلى جنوب آسيا عبر شبه الجزيرة العربية، حيث اجتذب اليمنيين الحميريين للمسيحية الآريسية وبنى ثلاث كنائس في جنوب غرب الجزيرة العربية، كما أنه نشر المسيحية الآريسية بين بعض الهنود.

- ولماذا يسمى هذا الداعية بثيوفيولس الأثيوبي أيضًا؟



- وذلك لأنه نشر الآريسية في أثيوبيا، ففي طريقه إلى اليمن، مر ثيوفيولس ببلاد الحبشة ونشر المسيحية التوحيدية هناك، لذلك كان كثير من أهل الحبشة موحدين قبل بعثة الرسول محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا ما يفسر سبب إيمان النجاشي أصحمة بن أبجر رَحِمَهُ اللَّهُ بصدق دعوة النبي محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مباشرة بعد سماعه من الصحابة بأن عيسى مجرد نبي وليس إله معبود، فالشيء الذي لم يلاحظه كثير ممن قرأ قصة النجاشي أنه بالرغم من كونه نصرانيًا، فإنه لم يناقش الصحابة أصلًا في قضية وحدانية الله وقضية أن المسيح مخلوق وليس إله، على عكس العقيدة المعروفة عند المسيحيين المثلثين، وتذكر كتب التاريخ أن النجاشي بعد سماعه لكلام الصحابة بأن الإسلام لا يعتبر المسيح ربًا، قال النجاشي لهم مقولة عجيبة تدل على أنه كان موحدًا يؤمن بنبوة المسيح ويكفر بالثالوث المقدس، حيث قال:

«والله ما زاد المسيح على ما تقولون نقيرًا»

وورد عنه أيضًا أنه قال بعد أن استمع الى القرآن من أصحاب محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة»

والظاهر من هذا الكلام والله أعلم أن النجاشي كان على إيمان مسبق بوحدانية الله، لذلك لم يتفاجأ بكلام المسلمين عن أن المسيح

بشر مخلوق، ويبدو من سياق الحديث والله أعلم أن النجاشي كان أصلًا على المسيحية الآريسية التي انتشرت منذ سنين طويلة في الحبشة نتيجة لجهود ثيوفيولس الهندي أو ثيوفيولس الأثيوبي، لذلك فإن فهم تاريخ الأريسية يفسر كثيرًا من الأمور المبهمة التي مرت في كتب السيرة فيما يتعلق بالنصارى.

- مثل ماذا أيضًا؟ تساءل عبد العزيز.

- مثل قصة الصحابي سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هذا الصحابي خرج من بلاد فارس في مغامرة طويلة للبحث عن الحقيقة، وقد وردت في أحداث قصته كلمات تدل على أنه كان على اتصال بأشخاص من طائفة دينية مسيحية كانت ترى أن دين المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ قد حرف، ويبدو من بعض ألفاظ القصة التي رواها سلمان أن هذه الطائفة كانت موحدة، وهذا ما تأكد في حديث آخر على لسان سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نقله الحاكم النيسابوري في المستدرك، وقال أنه حديث صحيح، فقد جاء في الحديث أن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شأن الرجل النصراني الذي كان عنده، وشأن بقية رجال الدين النصارى الذين كان يقيم عندهم ويرى فيهم أنهم صالحون، وفي نهاية الأمر قال له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«يا سلمانُ إنَّ أولئِكَ الَّذينَ كنتَ معَهُم وصاحبُكَ لم يَكونوا نصارَى، إنَّما كانوا مُسْلِمَينِ»

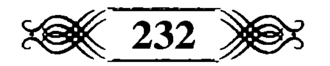


- ولكن أين اختفى الآريسيون بعد ظهور رسالة الإسلام الخاتمة؟

- كثير من النصارى الأريسيين أسلموا عند وصول دعوة الإسلام الخاتمة إليهم مباشرة، كما فعل النجاشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك لأن دعوة التوحيد التي جاء بها محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تتوافق مع عقيدتهم التوحيدية التي حوربوا من أجلها من قبل المثلثين على مدى قرون، وهذا ما يفسر إسلام أعداد كبيرة من أقباط مصر مباشرة بعد وصول الفاتح عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفقًا لما أكده شخصيًا مؤرخ الكنيسة القبطية يوحنا النقيوسي، والذي كان بالمناسبة من المثلثين، هذا المؤرخ الأرثوذكسي أكد أن من أسماهم بـ«الهراطقة» و«المسيحيين كذبة» انضموا إلى جيش المسلمين في محاربة الرومان، فيقول يوحنا النقيوسي في كتابه «تاريخ مصر»:

«والآن، كثير من المصريين الذين كانوا مسيحيين كذبة
وأنكروا العقيدة المقدسة الأرثوذكسية والمعمودية الحية،
وساروا في عقيدة الإسلام»

وهذا ما يفسر أيضًا اختفاء المذهب الأريسي في شمال أفريقيا بعد ظهور الإسلام، والظاهر أن كثيرًا من الأمازيغ كانوا على الأريسية التوحيدية التي تنسب إلى القسيس أريوس الذي كان أمازيغيًا من شمال أفريقيا، وهو نفس السبب الذي دفع الأمازيغ في السابق إلى



الترحيب بهجرة قبائل الفاندال والآلان الموحدة إلى بلادهم، وهذا ما يفسر أقوال بعض المفسرين المسلمين بأن الأمازيغ كانوا على اليهودية قبل قدوم الإسلام، فالرومان كانوا يتهمون النصارى الموحدين الناكرين لمبدأ التثليث بأنهم من اليهود.

- وماذا عن أصحاب الكهف الذين وردت قصتهم في القرآن؟ هل كانوا أيضًا من الآريسيين؟!

- في الحقيقة لا أعلم بالتحديد، ولم أجد في كلام الشيخ صالح أو في كتب التفسير شيئًا عن ذلك، ولكن بالرجوع إلى قصة الآريسيين وبداية إطلاق الرومان لقب الآريسيين على كل المسلمين الموحدين من أتباع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ من بعد مجمع نيقية عام **325**، وبالأخذ بعين الاعتبار المدة التي قضوها نيامًا في الكهف والتي تقدر بـ **300** عامًا، وتقدير زمن نزول سورة الكهف على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنوات الأولى للنبوة قبل الهجرة، وبعيدًا عن تقديرات الكنيسة الزمنية لهذه القصة، فإنه من المستبعد أن يكون أصحاب الكهف قد اتبعوا دعوة آريوس قبل نومهم الطويل في الكهف، ولكن هناك احتمال أنهم استيقظوا في زمن آريوس أو زمن كان فيه الآريسيون الموحدون هم أصحاب النفوذ في أرضهم، وهناك شيء عجيب يشير إلى ذلك ذكره الإمام البغوي في تفسير سورة الكهف، فقد أوضح البغوي أن أصحاب الكهف بعد استيقاظهم وإرسالهم لأحدهم إلى

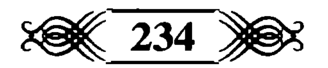
المدينة ليشتري لهم طعامًا، لاحظ أهل تلك المدينة نقوده القديمة واعتقدوا أنه وجد كنزًا أثريًا، فانطلقوا به إلى «رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها»، الإمام البغوي في تفسيره وصف هذين الشخصين بالرجلين الصالحين، وذكر أن أحدهما كان اسمه آريوس والآخر اسمه أسطيوس، وهما الشخصان اللذان كشفا قصة أصحاب الكهف.

- هل تعتقد أنه هو نفسه آريوس؟

- ربما يكون هو، وربما يكون مجرد تشابه أسماء، ولكن اللافت للانتباه هو وصف البغوي له بالرجل الصالح، والظاهر من خلال القصة أنه وأهل المدينة كانوا مؤمنين موحدين، لذلك فكروا ببناء مسجد على قبرهم، والمعروف أن الناس قديمًا وحديثًا يسمون أبناءهم على أسماء الرجال الصالحين تيمنًا بهم، ولو كان آريوس كافرًا في نظر هؤلاء القوم الموحدين، لتجنبوا تسمية أبنائهم باسمه، هذا إذا ما سلمنا أنهم استيقظوا في الفترة الزمنية التي أعقبت مجمع نيقية، والله أعلم بأمرهم.

- هل هذا يعني أن الإمبراطور قسطنطين العظيم باني القسطنطينية وغيره من الأباطرة الآريسيين كانوا مسلمين؟

- الإمام ابن حزم الأندلسي ذكر في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» قولًا عن الأريسيين جاء فيه:



«والنصارى فرق منهم أصحاب أريوس، وكان قسيسًا بالإسكندرية، ومن قوله التوحيد المجرد، وأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عبد مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السموات والأرض، وكان زمن قسطنطين الأول، باني القسطنطينية، وأول من تنصر من ملوك الروم، وكان على مذهب آريوس!».

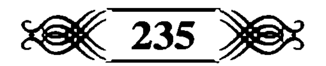
- هناك أمر لا أفهمه فيما يتعلق بحياة هذا الإمبراطور الروماني، أخبرتني سابقًا أن قسطنطين العظيم اختار «اللبرومة» التي تشير إلى حروف اسم المسيح لتكون شعارًا له، وذلك بعد أن تجلت له تلك الإشارة في السماء وفقًا للأسطورة التي رواها هو بنفسه، والآن تنقل لي قول ابن حزم عن قسطنطين بأنه كان على مذهب آريوس بعبودية المسيح لله، أي أنه كان مسلمًا موحدًا، فكيف يكون قسطنطين مسلمًا وهو الذي اختار تلك الإشارة التي تشير إلى المسيح؟!

ابتسم نضال ثم قال:

- نفس هذه المسألة استشكلت عليّ في السابق، حتى توصلت من خلال تعمقي في حياة قسطنطين العظيم إلى عدة احتمالات قد تساعد في تفسير هذه الإشكالية.

- وما هي هذه الاحتمالات؟

- الاحتمال الأول بأن حادثة رؤية قسطنطين لرمز المسيح في



السماء كانت مجرد أسطورة وهمية من اختراع الكنيسة في عصور لاحقة، وهذا الاحتمال مستبعد، وذلك لأن من نقل هذه الحادثة هو مؤرخ عاصر قسطنطين وكان مقربًا جدًا منه واستمع منه لهذه القصة بشكل شخصي، وهو المؤرخ «يوسابيوس القيصري» «**Eusebius of Caesarea**»، وقد ذكر ذلك في كتابه الشهير الذي أسماه «حياة قسطنطين» «**Life of Constantine**»، وبالمناسبة يوسابيوس القيصري كان موحدًا ويميل لآريوس، وهو من ترأس «مجمع صور» في لبنان الذي أدين فيه قائد النيقيين أثناسيوس بجرائم وتهم أخلاقية عزل على أثرها ونفي إلى ألمانيا، لذلك فمن المستبعد أن تكون هذه القصة مختلقة من قبل الكنيسة وذلك لأن من ذكرها هو يوسابيوس القيصري الذي لا يحظى بمحبة خاصة من الكنيسة بسبب ميوله الآريسية، بالرغم من أن لقبه هو «أبو التاريخ الكنسي» بسبب عمله في تسجيل تاريخ الكنيسة المسيحية في وقت مبكر.

الاحتمال الثاني أن يكون الإمبراطور قسطنطين العظيم نفسه هو الذي اختلق هذه الأسطورة لكي يستقطب رعيته المسيحيين إلى صفه أثناء حروبه ضد الأباطرة الآخرين، وهذا احتمال وارد، والمتأمل في سيرة قسطنطين العظيم وخاصة في سنوات حكمه الأولى، يجد أن هذا الإمبراطور الروماني كان داهية يستخدم كل الوسائل السياسية

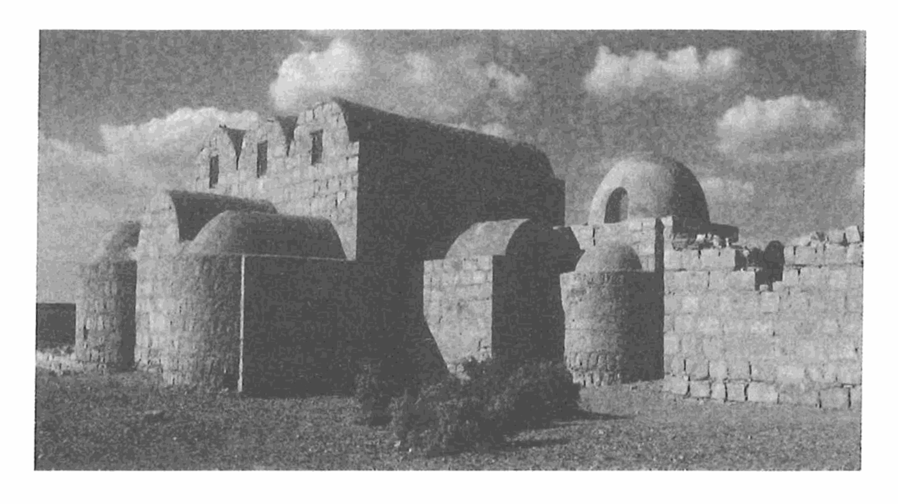
للوصول إلى هدفه، وقد ظهر ذلك في تمكنه من توحيد الإمبراطورية في سنه الصغيرة، وظهر بشكل أوضح في الحيلة التي قام بها في مجمع نيقية وإجباره للأساقفة الموحدين على التوقيع على عقيدة نيقية، وليس من المستبعد أنه اختلق هذه الأسطورة لكسب القوة المسيحية في الإمبراطورية التي بدأت تبرز في ذلك الوقت، خاصة وأنه ظل وثنيًا، أي أنه كسب المسيحيين دون أن يخسر الوثنيين.

الاحتمال الثالث أن قسطنطين لم يكذب، ولكنه كان ضحية لأوهامه التي جعلته يرى أشياء غير حقيقية، خاصة أن أحداث تلك الأسطورة من المفترض أنها تزامنت مع حرب توحيد الإمبراطورية وما رافقها من متاعب وسفر وإرهاق جسدي وفكري، الأمر الذي جعله يتخيل تلك الإشارة في السماء، وهذا احتمال وارد أيضًا، فكثير من القادة والمفكرين قديمًا وحديثًا يدفعهم جنون العظمة في وقت من الأوقات إلى أوهام وتخيلات يعتقدون فعلًا بحدوثها، كالذي حصل مع القائد الكبير الإسكندر الأكبر على سبيل المثال حينما انعزل عن الناس لساعات في معبد سيوة الفرعوني، ليخرج بعدها معلنًا نفسه إلهًا، بعد أن اعتقد بالفعل أنه رأى وتحدث في المعبد مع «آمون» آلهة المصريين، وهذا الاحتمال له أيضًا ما يبرره، خاصة في ضوء الانتصارات الكاسحة التي حققها قسطنطين بالرغم من صغر سنه في ذلك الوقت.

الاحتمال الرابع والأخير أنه لو افترضنا صحة هذا الاحتمال وأن اختيار هذه الراية كان بأمر من الله، فمثل هذه الأمور ممكن أن تحدث حتى مع الملوك الكفار لإنفاذ حكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى، تمامًا مثل الرؤيا التي رآها عزيز مصر الوثني زمن سيدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن هذه الإشارة التي تحتوي على حروف المسيح الأولى كانت بمثابة النصرة لنبي الله عيسى- وأتباعه الذي تعرضوا للاضطهاد من قبل الرومان لسنوات طويلة، أو نصرة لدين المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن قسطنطين استخدمها على الرغم من وثنيته في ذلك الوقت، قبل أن يتبع دين المسيح في نهاية حياته.



لوحة الملوك الستة



بعد وصولهما إلى بلدة الأزرق الأردنية، ترك نضال وعبد العزيز سيارتهما في مركز البلدة، وتوجها مشيًا على الأقدام نحو الصحراء، حتى وصلا إلى قصر صغير يقع في منطقة معزولة في قلب الصحراء.

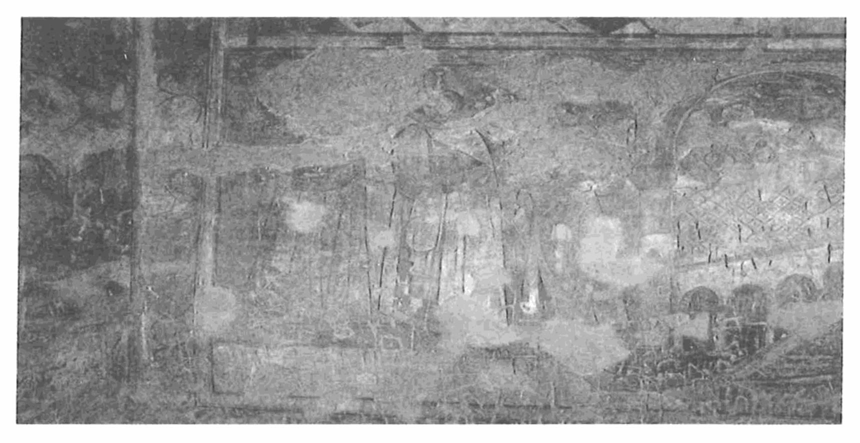
- هل هذا هو القصر المقصود في الرسالة يا نضال؟

- هذا صحيح، إنه «قصر عمرة» وهو قصر أموي تم تشييده في القرن الثامن الميلادي في حياة الخليفة الوليد بن يزيد الحاكم الحادي عشر من الخلفاء الأمويين، ويعتقد أن هذا القصر كان يستخدم أثناء

رحلات الصيد للخليفة وبقية الأمراء، وقد استخدم لبناء هذا القصر مهندسون وفنانون تأثروا بفن الهندسة البيزنطي، لذلك فإن هذا القصر يختلف عن بقية القصور الإسلامية بأنه يحتوي على رسومات جدارية تجسيدية، مواضيعها تتعدد من مشاهد من رحلات الصيد والحيوانات التي وجدت في المنطقة في تلك الحقبة، ومنها الأسود والنمور والغزلان والنعام، وتظهر في قبة حمام القصر رسومات للأبراج السماوية، أما أبرز لوحات هذا القصر فهي لوحة الملوك الستة.

- وما حكاية هذه اللوحة؟
- تعال معي يا عبد العزيز!

دخل نضال وعبد العزيز عبر بوابة القصر المهجور، وانتقلا في غرفه حتى وصلا إلى نهاية الرواق الأوسط لقاعة الاستقبال، وهناك وقفًا أمام لوحة جدارية كبيرة.



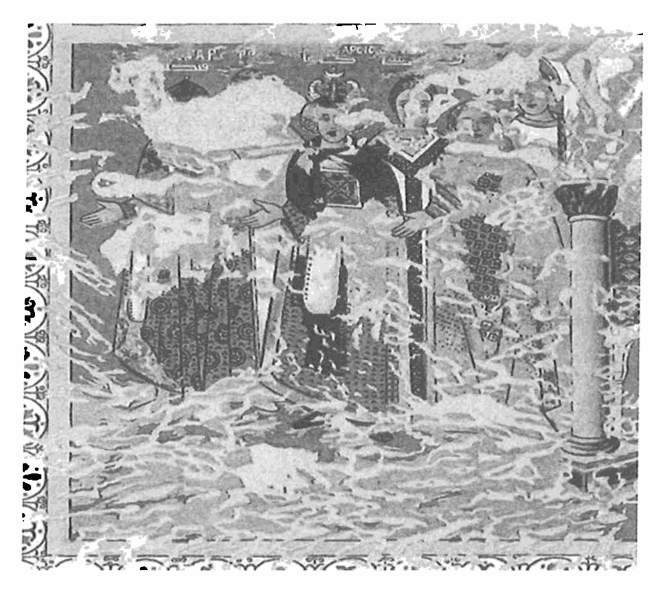
- هذه هي «لوحة الملوك الستة» «Painting of the Six Kings»!

- ولكن هذه اللوحة متضررة بشكل كبير! قال عبد العزيز.

- هذا صحيح، فقد ظلت هذه اللوحة مخفية في هذا القصر المهجور لمئات السنين، حتى بداية القرن العشرين عندما عثر عليها أحد المستشرقين الأوربيين، وهو الرحالة التشيكي «ألويس موسيل» «Alois Musil» الذي قام بزيارة بلاد العرب في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين واكتشف هذا القصر، وقد حاول موسيل تفكيك حجارة هذه اللوحة لنقلها إلى أوروبا، مما أدى إلى تخريب أجزاء كبيرة منها، ولكنه قام برسم نموذج للوحة قبل محاولته لإزالة حجارتها، مما مكن العلماء من دراسة أغلب ما جاء فيها.



- وما الذي كانت تحتويه هذه اللوحة؟



- اللوحة تظهر ستة ملوك يقفون بخضوع في صفين أمام المشاهد الذي من المفترض أن يكون الخليفة المسلم الذي امتد نفوذه إلى أراض تابعة لهؤلاء الملوك الستة، وتوجد فوق كل ملك نقوش باليونانية والعربية مكتوبة بحروف بيضاء على خلفية زرقاء تحدد شخصية كل منهم:

قيصر: إمبراطور الإمبراطورية الرومانية البيزنطية.

لوذريق: ملك القوط الغربيين في الأندلس وكامل هسبانيا.

كسرى: إمبراطور الإمبراطورية الفارسية الساسانية.

النجاشي: ملك مملكة إكسوم «الحبشة».

إضافة لملكين اثنين غير محددي الهوية، يعتقد أنهما إمبراطور الصين وملك الهند.

وإلى جانب لوحة الملوك الستة، على نفس الجدار، هناك لوحة لامرأة تحمل الكلمة اليونانية **NIKH** فوقها والتي تعني «النصر» بالعربية، وفي مقابل اللوحة، التي يشير فيها الحكام الستة، هناك لوحة أخرى لرجل يجلس على العرش يعتقد أنها صورة للخليفة الأموي المسلم الذي امتدت مساحة إمبراطوريته من الأندلس غربًا إلى الصين شرقًا.

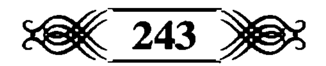
بعد أن فرغ نضال من حديثه، اقترب هو وعبد العزيز من الجدار الذي يحتوي على اللوحة، وأخذا يحفران في الرمال الصحراوية التي غطت أرضية ذلك القصر المهجور أسفل اللوحة مباشرة، حتى عثرا على صندوق صغير يحتوي على بطاقة إليكترونية تحتوي على الحرفين «**PT**»، ومن أسفلها كلمة: «**POSTE ITALIANE**» وعلى رسالة ورقية مكتوب عليها:

S

8

عند قبر حاكم الجميع، استخدم رقم الهندي الغامض

لتفتح الصندوق

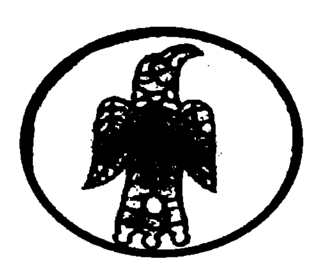




- يبدو أن محطتنا التاسعة ستكون في أحد مكاتب البريد الإيطالية. قال نضال.

- نفس الشيء الذي حصل معنا أثناء بحثنا في لغز بربروسا حينما عثرنا على بطاقة إليكترونية للبريد التونسي، ولكن إلى أين ينبغي علينا التوجه في إيطاليا بالتحديد؟ قال عبد العزيز.

فتح نضال ورقة لغز الحلقات العشر على الحلقة التاسعة التي كانت تحتوي على مجسم لطائر العقاب، ثم أغلقها وقال لعبد العزيز وهو يشير إلى الملك لوذريق على لوحة الملوك الستة:

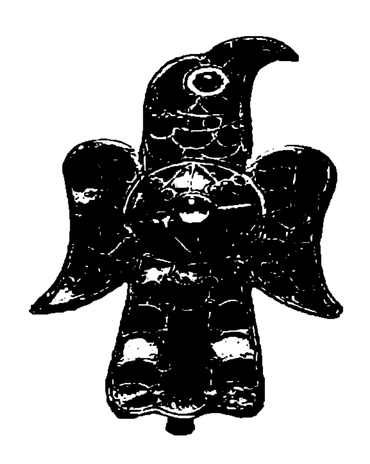


- هذا العقاب كان من بين رموز مملكة القوط الغربيين في

الأندلس التي كان هذا الملك آخر حكامها، لذلك علينا التوجه إلى مدينة محددة في جنوب إيطاليا.

- ولكن ما علاقة الأندلس بإيطاليا؟!

- هناك في جنوب إيطاليا يا عبد العزيز كتبت السطور الأولى لحكاية الأندلس، مع أحد أعظم القادة الأوربيين على الإطلاق، الملك الجرماني الموحد الذي تمكن من تحقيق ما لم يتمكن من تحقيقه هانيبال وكل القادة العسكريين من قبله، فكان أول إنسان في تاريخ البشرية يتمكن من انتزاع روما من قبضة الرومان، إنه الملك القوطي العظيم الذي بدأ معه فصل جديد من فصول الصراع بين الموحدين الآريسيين والرومان المثلثين، هناك في جنوب إيطاليا بدأت خطوات تحقيق حلم هذا الملك الأسطوري في تأسيس أول مملكة أوروبية آريسية مستقلة في التاريخ، مملكة القوط الغربيين!



ألاريك الأول



بعد وصولهما إلى مطار العاصمة روما، استقل نضال وعبد العزيز القطار المتجه إلى مدينة نابولي الإيطالية، ومن هناك استقلا قطارًا آخر متوجه إلى إقليم كلابريا «Calabria» الواقع في جنوب شبه الجزيرة الإيطالية، وكانت وجهتهما النهائية هي مدينة جنوبية صغيرة تسمى كوزينسا «Cosenza».

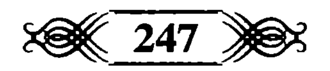
- لم أعلم أنك تحب الطبيعة إلى هذا الحد يا نضال؟ حتى في بلدك فلسطين انشغلت بقراءة الكتب أثناء سفرنا بالحافلة، أما الآن فأراك مستغرقًا في النظر من خلال نافذة القطار منذ بداية الطريق في روما!

ابتسم نضال ثم قال لعبد العزيز بعينين لامعتين:

- الأمر يتعدى مسألة حب الطبيعة يا صديقي، هذا الطريق عبر سهول إيطاليا لي معه ذكريات قديمة، فقد قطعته مشيًا على الأقدام أثناء رحلتي الشاقة للوصول إلى إنجلترا، وها أنا الآن أرجع إلى نفس الطريق بعد سنوات، ولكن في اتجاه معاكس، ليس سيرًا على الأقدام، وإنما مسافرًا في الدرجة الأولى للقطار السريع، للبحث عن كنز من أعظم كنوز البشرية، هذه المفارقة جعلتني أنظر من نافذة القطار للتفكر في حال هذه الدنيا العجيبة وحال الإنسان الذي يمشي في طرقاتها دون أن يعرف ما يخفيه له القدر!

- بالمناسبة يا **101**، وعدتني في السابق أن تروي لي حكاياتك، ولكنك لم تفعل ذلك حتى الآن!

- اعذرني يا صديقي، فقد شغلتنا الأسفار والألغاز عن كل شيء منذ أن بدأنا في مغامرتنا، ولكني أعدك إن شاء الله أن أحكي لك قصتي كاملة بعد أن نفرغ من حلقات هذا اللغز الذي اقتربنا من حل آخر حلقاته.



- حسنًا، هلا أخبرتني الآن على الأقل بحكاية القوط الغربيين وملكهم الذي دفن في جنوب إيطاليا!

- حكاية القوط الغربيين هي فصل من فصول الصراع الديني الطويل بين الموحدين والمثلثين، وهو الأمر الذي يلخصه المؤرخ جون ميدلتون «**John Middleton**» في موسوعته الكبيرة «ممالك العالم والأسر الحاكمة» «**World monarchies and dynasties**» بهذه الكلمات القليلة:

«تحدد تاريخ مملكة القوط الغربيين بواسطة الصراع الديني، فالقوط الغربيون كبقية الشعوب الجرمانية في ذلك الوقت كانوا آريسيين، والآريسيون آمنوا أن المسيح خُلق من الرب، بدلًا من أن يؤمنوا بأن المسيح أزلي الوجود كما كانت الكنيسة الرومانية تؤمن»

ومع وفاة الإمبراطور قسطانطيوس الثاني بن قسطنطين العظيم، تحولت مقاليد الحكم في الإمبراطورية الرومانية بعد وفاة هذا الإمبراطور الآريسي الموحد إلى أيدي النيقيين المثلثين كما أخبرتك في السابق، ومع انتشار عمليات الإبادة الجماعية التي قام بها الرومان المثلثون في حق الشعوب المسيحية الموحدة، حدث شيء عجيب غير من موازين القوى في نهاية القرن الرابع الميلادي، لقد نضجت إحدى الثمار التي زرع بذرتها بهدوء وروية قبل ذلك بسنوات طويلة زعيم الموحدين على الأرض في ذلك الزمان، القائد يوسابيوس النيقوميدي

قبل وفاته عام **341**، هذه الثمرة تمثلت في أحد تلاميذ يوسابيوس، وهو شاب أوروبي ينتمي إلى قبائل القوط الجرمانية يدعى فولفيلا «**Wulfila**»، أو يولفيلاس «**Ulfilas**»، ويولفيلاس اسم يعني باللغة القوطية القديمة «الذئب الصغير»، هذا الشاب القوطي نشأ في أرض الإمبراطورية الرومانية البيزنطية، وبالتحديد في مدينة «كبادوكيا» التي كانت تسكن فيها جالية قوطية، وكحال كثير من سكان الإمبراطورية الرومانية في ذلك الزمان، اتبع يولفيلاس المسيحية التوحيدية، وبعد ذلك عينه أستاذه يوسابيوس أسقفًا وأرسله في مهمة دعوية إلى قبائل القوط الذين كانوا يعيشون في كيانات مستقلة خارج نطاق الإمبراطورية الرومانية، القوط في ذلك الوقت كانوا في الغالب وثنيين، فتنقل يوليفلاس بينهم على مدى سبع سنوات يدعوهم لدين المسيح التوحيدي، ولكن ملك القوط الوثني أثناريك «**Athanaric**» كان يشكك في نوايا يولفيلاس، ويرى بأنه جاسوس أرسله أعداءه الرومان لنشر الثقافة الرومانية بين قومه القوط، لذلك تعرض يولفيلاس للاضطهاد ثم للنفي بعد سبع سنوات من الدعوة، ولكن يولفيلاس لم يتوقف عن نشر رسالته، فرحل إلى منطقة في شمال بلغاريا الحالية، وهناك طور يولفيلاس الأبجدية القوطية وترجم الكتاب المقدس إلى لغة قومه القوط، لتكون هذه النسخة القوطية، المحفوظة حاليًا في جامعة «أوبسالا» في السويد،

أول نسخة قوطية للكتاب المقدس على الإطلاق، وبعد ذلك وعلى مدار سنوات، وبسبب جهود الدعاة الآريسيين وعلى رأسهم يولفيلاس، انتشرت الآريسية بشكل كبير بين صفوف القبائل الجرمانية ومنها قبائل القوط، حتى تسلم مقاليد الحكم لدى قبائل القوط الغربيين قائد عسكري كان يعمل لدى الرومان في بداية الأمر قبل أن ينقلب عليهم، هذا القائد القوطي الغربي كان يدعى «ألاريك الأول» «**Alaric I**»، وتعني بالقوطية القديمة «حاكم الجميع».



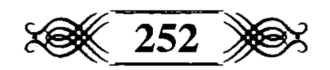
- نفس الاسم الذي ورد في الرسالة التي وجدناها في الأردن!

– هذا صحيح يا عبد العزيز، ألاريك الأول كان كأغلب قومه آريسيًا، على عكس الرومان الذين أصبحوا مثلثين في الغالب، هذا الأمر زاد من حدة اضطهاد الإمبراطورية الرومانية المثلثة للموحدين من القوط الغربيين، وهذا ما يفسر الحروب الطويلة التي قامت بين الرومان والقبائل الأوربية الجرمانية في ذلك الزمان، وكما ذكرت لك سابقًا أيضًا كان العامل الديني من أهم أسباب الحروب الطويلة بين الرومان والقبائل الجرمانية على حد وصف المؤرخ الكاثوليكي جريجوري أوف تورس «**Gregory of Tours**»، أي أن تلك الحروب كانت حروب شنها الرومان المثلثون على الأوربيين الموحدين، فبعد انتشار دعوة التوحيد التي نشرها يولفيلاس بين قبائل القوط، انتشرت القبائل الجرمانية الموحدة بعد ذلك في جميع أنحاء أوروبا، ليكونوا ممالك مستقلة، وقد اتبع أغلب سكان تلك الممالك الجرمانية المسيحية الآريسية كديانة لها، وكانت أولى تلك الممالك الموحدة مملكة القوط الغربيين «**Kingdom of the Visigoths**» بقيادة الملك الآريسي-ألاريك الأول الذي تمكن من توحيد قومه وتكوين جيش أوروبي قوي من القوط الجرمان الأشداء، ليواجه بهم جيش الإمبراطورية البيزنطية المثلثة التي كانت تحتل أغلب أراضي أوروبا في ذلك الزمان، ومعركة تلو معركة هزم الآريسيون من القوط الغربيين بقيادة ملكهم الموحد ألاريك الأول هزيمة جحافل الإمبراطورية

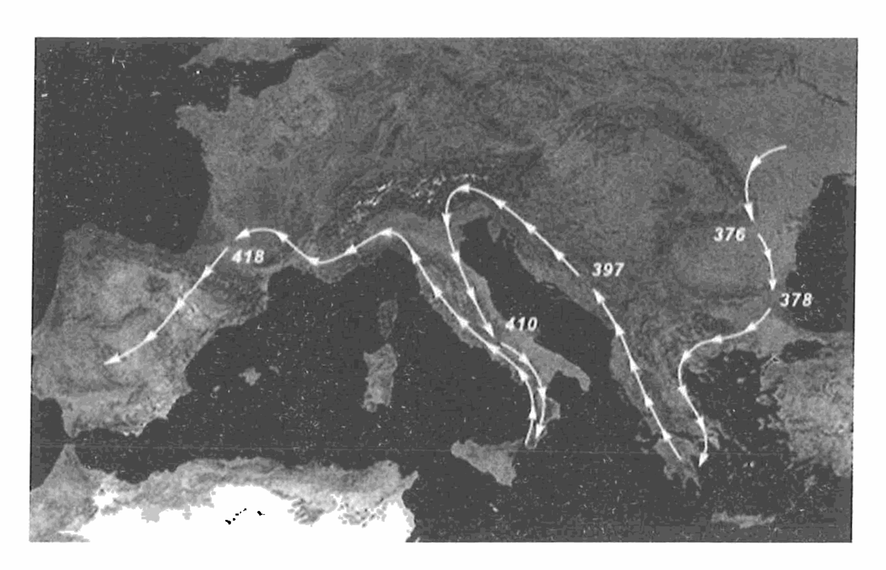
الرومانيــة، وزحـف ألاريــك الأول مــن شــمال بلغاريــا حيــث كـانوا يتواجدون نحو الغرب الأوروبي، فاستطاع فتح عاصمة اليونان أثينا عام **395**، ليحرر كثيرًا من اليونانيين الذين كانوا مثل كثير من شعوب البلقان على المسيحية التوحيدية، قبل أن يتعرضوا إلى الاضطهاد من قبل الرومان المثلثين، وشيئًا فشيئًا اقترب ألاريك الأول من عاصمة الإمبراطوريــة الرومانيــة التاريخيــة رومــا، هــذه المدينــة العريقــة لـم يستطع أبدًا أي أحد من خارج دائرة الرومان احتلالها عبر تاريخها الطويل الذي امتد إلى **800** حتى ذلك الوقت، فقد كانت هذه المدينة مدينة خالصة للرومان، وقد فشل كل من حاول احتلالها قبل ذلك فشلاً ذريعًا، لذلك كان الرومان يطلقون على مدينة روما المدينة الغير قابلة للاحتلال «**The Eternal City**»، حتى جاء القائد الجرماني الآريسي ألاريك الأول، فاستطاع عام **410** دخول فتح روما ليكون أول قائد عسكري غير روماني يتمكن من احتلال هذه المدينة، ليغنم القوط الغربيون من تلك المدينة بعضًا من الثروات التي نهبتها جيوش الرومان من المسيحيين الموحدين وغيرهم من الشعوب المضطهدة على مدار مئات السنين.

- كنت أعتقد أن الفاندال هم الذين سلبوا روما كنوزها! قال عبد العزيز معقبًا.

- الفاندال احتلوا روما لمدة أسبوعين كاملين استطاعوا خلال



تلك الفترة الزمنية نقل معظم كنوز المدينة على سفنهم، في حين بقي القوط الغربيون في روما لمدة ثلاثة أيام فقط، فلم يكن هدف ألاريك الأول احتلال روما أو نهبها، بل كان فتحه لعاصمة الرومان التاريخية يهدف بالأساس لكسر هيبة هذه الإمبراطورية الظالمة، أما هدفه الأول فكان أكبر وأسمى من ذلك بكثير، وهو تكوين وطن آمن للموحدين الأوروبيين الهاربين من ظلم الرومان المثلثين، وطن يستطيع الآريسيون العيش فيه بسلام بعيدًا عن بطش الرومان المثلثين واضطهادهم، فتحرك هذا القائد الأريسي- بجيشه الآريسي-إلى جنوب إيطاليا، لينتزع المدينة تلو المدينة من قبضة البيزنطيين، ولكنه توفي في هذه المدينة في ظروف غامضة في نفس عام دخوله إلى روما عام **410**.



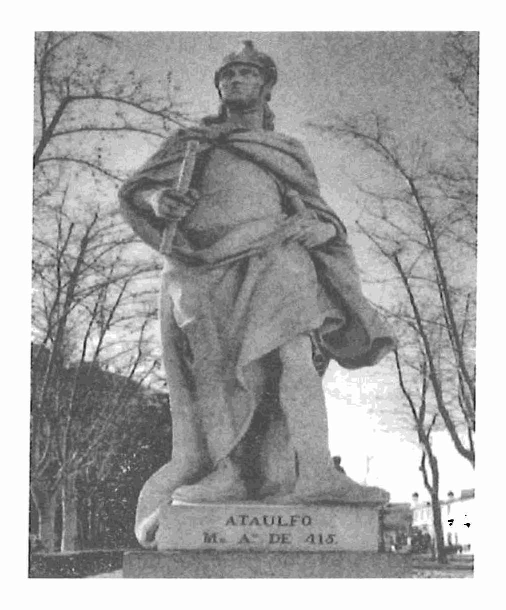
- وماذا حصل للقوط الغربيين بعد موت قائدهم؟

بعد رحيل ألاريك الأول، تولى قيادة القوط الغربيين صهره أتولفو «**Ataúlfo**»، هذا الملك الآريسي أوقف فتوحات ألاريك في إيطاليا وتحرك بشعبه القوطي بعد ذلك إلى أقصى الغرب الأوروبي، ليكون مملكة أوروبية آريسية امتدت مساحتها في أقصى اتساع لها على أراض تابعة لست دول أوروبية حالية : إسبانيا، البرتغال، فرنسا، جبل طارق، إمارة موناكو وإمارة أندورا، وكانت مدينة تولوز «**Toulouse**» الفرنسية عاصمة لهذه المملكة الآريسية الموحدة.

- أعتقد أنني رأيت في السابق تمثالًا في العاصمة الإسبانية مدريد لملك يحمل نفس الاسم أتولفو!

- هو نفسه ذلك الملك القوطي يا عبد العزيز، فالإسبان أحفاد القوط الغربيين يحملون معزة خاصة لهذا الملك الذي يدينون له بالفضل في وجودهم في تلك البلاد.

- ولكن هل يعلم شعب إسبانيا أن هذا الملك كان موحدًا؟!



- لا أعتقد ذلك، فغالبية الشعب الإسباني لم يسمعوا بتاريخ أجدادهم الموحدين، فبعد سيطرة الملوك الكاثوليك على مقاليد الحكم عملت الكنيسة على طمس تاريخ الآريسية والتوحيد في تلك البلاد لكيلا يعلم الإسبان أن غالبية أجدادهم كانوا بالأصل موحدين.

- ولكن كيف تحول الإسبان إلى الكاثوليكة بعد ذلك؟





- بعد أتولفو حكم مملكة القوط الغربيين عدة ملوك موحدين لما يزيد عن قرن ونصف من الزمان، برز منهم على سبيل المثال الملك الأوروبي المسلم ثيودوريكو الأول«Teodorico I» الذي يعتبر بطلاً أسطورياً في قارة أوروبا حتى هذا الزمان، فشخصية هذا الملك المسلم هي الشخصية التي ألهمت الكاتب الإنجليزي الشهير جون آر آر تولكن «John R.R. Tolken» في روايته الملحمية «ملك الخواتم» «The Lord of the Rings» لابتكار شخصية وهمية في روايته أسماها الملك ثيودن «King Théoden» ملك روهان، هذه الشخصية استلهمها هذا الكاتب الإنجليزي من شخصية ثيودوريكو

الأول ملك القوط الآريسيين، وقد أدى دور الملك ثيودن الممثل الإنجليزي بيرنارد هيل «**Bernard Hill**» في الفلم الشهير الذي حمل نفس الاسم «ملك الخواتم»، وبرز أيضًا في هذه المملكة الملك القوطي الموحد ثيودوريكو الثاني «**Teodorico II**»، الذي قام بإرسال داعية آريسي اسمه آياكس «**Ajax**» إلى الشعب السويبي «**Suevi**»، وهو شعب أوروبي جرماني هاجر إلى أرض البرتغال الحالية وغرب شبه الجزيرة الإيبرية، فانتشرت الآريسية بعد ذلك بين السويبيين بشكل كبير، وتحولت مملكة سويبي في البرتغال إلى المسيحية التوحيدة لعشرات السنوات، قبل أن تتحول إلى العقيدة التثليثية مع نهايات القرن السادي الميلادي.

- وكيف تحولت هذه المملكة البرتغالية إلى الكاثوليكية بعد ذلك؟

- لا أحد يعرف بالتحديد ما الذي حصل بالضبط لمملكة سويبي، فبعد بحث طويل في المراجع التاريخية وجدت أن أرشيف الفترة الأريسية في تلك المملكة قد اختفى، والأرجح أن الكاثوليك المثلثيين عندما استولوا على الحكم في تلك البلاد قاموا بإحراق كل الوثائق التي تذكر البرتغاليين بأصلهم التوحيدي.

- وماذا عن مملكة القوط الغربيين؟

- مملكة القوط الغربيين كانت آريسية موحدة لما يزيد عن **150** عامًا، حتى جاء عام **586** الذي تحول فيه أحد ملوكهم ويدعى

ريكاردو الاول «Recaredo I» لأسباب سياسة من الآريسية الى الكاثوليكية، وعام 589 عقد في مدينة طليطلة الإسبانية «مجمع طليطلة الثالث» «Third Council of Toledo» الذي أعلن فيه ريكاردو الأول بشكل رسمي تركه للآريسية واتباعه لعقيدة نيقية «Nicene creed»، الأمر الذي عرضه لثورة آريسية بقيادة أسقف «ماريدا» الآريسي، إلا أن هذا الملك الكاثوليكي استطاع القضاء عليها، وبعد ذلك وعلى مدى سنوات صدرت في تلك المملكة قوانين قاسية مجامع كنسية عملت على اضطهاد الآريسيين واليهود الذين كانوا في السابق يعيشون بسلام تحت حكم الآريسيين، وعمل الملوك الكاثوليك على تحويل الكنائس التوحيدية إلى كاثوليكية، واعتقد المثلثون أنهم قد قضوا بالفعل على التوحيد في تلك البلاد إلى الأبد، إلا أنه قبل تاريخ سقوط هذه المملكة الموحدة بنحو 17 عامًا، ولد في جزيرة العرب رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد ذلك بنحو 120 من انتهاء حكم الموحدين في الأندلس وشبه الجزيرة الإيبيرية عاد التوحيد من جديد إلى تلك البلاد على يد الفاتح الإسلامي الأمازيغي طارق بن زياد.

- وهل كان للوجود الآريسي القديم في مملكة القوط الغربيين أثره في الفتح الإسلامي للأندلس؟

- كما أخبرتك سابقًا، فإن فهم تاريخ الموحدين الآريسيين يفسر لنا كثيرًا من الألغاز التاريخية التي لم نفهمها بالشكل المطلوب، مثل سهولة فتح طارق بن زياد والمسلمين لأغلب مدن الأندلس دون قتال يذكر بعد أن انتصروا على الملك الكاثوليكي «لوذريق» أو «رودريكو» الذي رأينا صورته في الأردن، فأرض كبيرة مثل هسبانيا ذات الطبيعة الجبلية الصعبة ليس من السهولة فتحها بأشهر قليلة وتأمين مدنها المفتوحة بالعدد القليل من الجيش الذي جاء مع طارق بن زياد وموسى بن نصير، ومع التسليم أن المقاتلين المسلمين الذين فتحوا الأندلس كانوا مقاتلين أشداء لا يهابون الموت، فإن هذا لا يمنع من وجود عوامل مساعدة وتحالفات استراتيجية وظروف سياسية واجتماعية على الأرض عملت كلها على تسهيل عملية الفتح السريعة، والشيء المثير الذي وجدته في بعض المصادر الغربية أثناء بحثي في هذه الكتب أنه كان يعيش في المغرب في تلك الفترة بقايا من الموحدين الأوروبيين من القوط الغربيين الآريسيين الذين انتقلوا للعيش في المغرب هربًا بدينهم التوحيدي من اضطهاد ملوكهم المثلثين، وهؤلاء الأريسيون من القوط الغربيين المنفيين في المغرب قدموا المعلومات والمساعدات للمسلمين في فتح الأندلس، وقد كان كثير منهم وفقًا للمصادر الغربية قد لجأوا إلى جوليان حاكم سبتة في شمال المغرب، وجوليان هو الذي ساعد طارق بن زياد في فتح

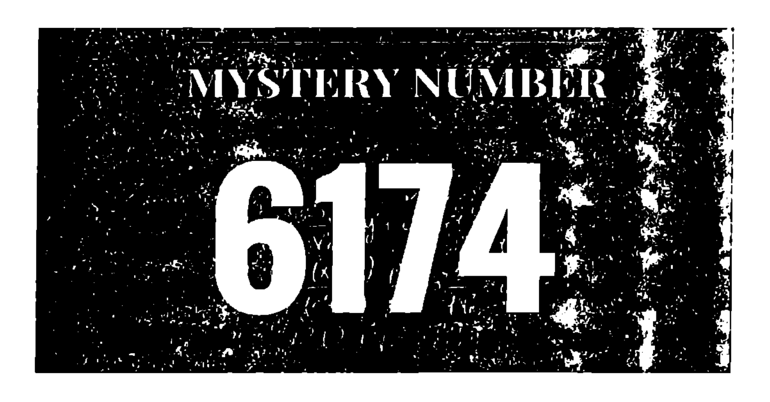
الأندلس وقدم له السفن التي أبحر بها، وبفهم تاريخ الأندلس قبل الفتح، يمكن لنا أيضًا تفسير ترحيب يهود الأندلس لفتح المسلمين لها، فقد عاش «السفرديم» وهم يهود الأندلس أو شبه الجزيرة الإيبرية بسلام وحرية أثناء حكم القوط الغربيين الموحدين الأريسيين للأندلس، ولكن بعد تحول ملوك القوط الغربيين إلى الكاثوليكية مع ريكاردو الأول، أصدر الكاثوليك قوانين اضطهاد لليهود لإجبارهم على اعتناق الكاثوليكية، ووصلت هذه القوانين في نهاية الأمر إلى حد انتزاع أطفالهم منهم لتنصيرهم بعد أن اعتبر اليهود رسميًا عبيدًا للكاثوليك، هذا الأمر دفع اليهود إلى العيش خارج المدن الكبيرة، وهذا الاضطهاد الذي تعرض له اليهود من قبل المثلثين يفسر لنا ما ذكرته مصادر مسيحية أن اليهود ساعدوا المسلمين في فتح الأندلس وحراسة المدن التي كان يفتحها المسلمون، ويفسر أيضًا ما ورد في مصادر إسلامية أن المسلمين كانوا يستعينون باليهود لتأمين المدن التي يفتحونها، والحقيقة أن دور اليهود في مساعدة المسلمين في فتح الأندلس تعرض إما للمبالغة من قبل الكاثوليك الذين برروا اضطهادهم لهم بعد سقوط الأندلس باعتبارهم خونة، أو تعرض للإنكار بالكلية، ولكن المصادر التاريخية الإسلامية والغربية على حد سواء توضح أنه كان لليهود دور لوجيستي على أقل تقدير في مساعدة المسلمين في فتح الأندلس وتأمين دفاعات المدن المفتوحة،

وربما ساعد العامل الاجتماعي في الأندلس على سرعة تقبل الأندلسيين للفاتحين الأوائل، وتمثل هذه العامل بالدرجة الأولى بالجذور الآريسية لسكان الأندلس الذين كانوا في أغلبهم من شعبي القوط الغربيين وسويبي اللذين كانت لهما جذور توحيدية ممتدة لعقود طويلة، ولا شك أن كثيرًا من الأريسيين كانوا يكتمون توحيدهم خوفًا من بطش الملوك المثلثين، وربما يفسر هذا الأمر الاندماج السريع للسكان الأصليين للأندلس في الحضارة الإسلامية التي استمرت هناك لما يزيد عن **800** عامًا، ودخول معظم القوط الغربيين في الإسلام، خاصة بعد ما رأوه في الإسلام من مبادئ إنسانية راقية وتشريعات سهلة وعملية وعقيدة بسيطة خالية من التعقيد.





الرقم الغامض



بعد وصولهما إلى مدينة كوزينسا «Cosenza» الإيطالية، بات نضال وعبد العزيز ليلتهما في أحد فنادق المدينة، وفي صباح اليوم التالي تناولا فطورهما في الفندق، ثم توجها مشيًا على الأقدام إلى مكتب صغير للبريد الإيطالي حيث كان نضال يعتقد أنه المكان الذي يحتوي على الصندوق البريدي المشار إليه في رسالة اللغز التي وجدها في الأردن، فوصلا إلى مكتب البريد قبل نصف ساعة من موعد الدوام الرسمي، فاضطرا للانتظار في حديقة قريبة تطل على ملتقى نهرين صغيرين يجريان في المدينة.

- لماذا تركت كل مكاتب البريد الإيطالي الكبيرة في المدينة واخترت هذا المكتب الصغير بالذات؟! تساءل عبد العزيز.

- لأن هذا المكتب هو المكتب البريدي الوحيد الذي يقع بالقرب من قبر ألاريك الأول، وهو ما يتفق مع الوصف الذي جاء في الرسالة.

نظر عبد العزيز حوله، ثم قال:

- ولكني لم ألاحظ وجود أي قبر في هذا المكان!

أشار نضال إلى النهر قائلًا:

- القبر موجود تحت هذه المياه عبد العزيز، فوفقًا للأسطورة، فإن القوط الغربيين قاموا بدفن جثمان ملكهم ألاريك الأول تحت مياه ملتقى هذين النهرين، وهما نهر بوزينتو «**Busento**» ونهر كراتي «**Crathis**»، وقد استخدم عدد كبير من العبيد لتحويل المياه من بوزينتو ليسمح لهم بحفر قبر كبير يكفي لألاريك وحصانه وكل ما جمعه من كنوز خلال فتوحاته، ولما اكتمل الضريح، عاد النهر إلى موقعه الاصلي وصار قبر ألاريك مغطى بالمياه، ولضمان أن لا يكتشف أعداؤهم الرومان مكان القبر بعد رحيلهم من المكان، قاموا بقتل جميع العبيد الذين شاركوا في حفر القبر، قبل أن يغادروا إيطاليا ويتجهوا نحو الغرب الأوروبي.

- هذا يعني أن هناك كنزًا تحت هذه المياه! قال عبد العزيز بعينين لامعتين.

ابتسم نضال ثم قال:

- أولًا يجب علينا أن نجد كنز الفاندال، بعد ذلك يمكنك الرجوع إلى هذا المكان، والغطس في النهر للبحث عن كنز ألاريك الأول.

- بالمناسبة يا نضال، لم تخبرني بعد عن رقم الهندي الغامض الذي جاء في الرسالة.

- إنه الرقم **6174**، وهو الرقم الذي أعتقد أنه يمثل الأرقام السرية الأربعة التي يجب اختيارها عادة عند استخدام بطاقة إليكترونية.

- ولماذا أطلق عليه وصف رقم الهندي الغامض؟



- هذا الرقم العجيب الذي ما يزال يحير العلماء منذ أكثر من **70** عامًا يطلق عليه «النتيجة الثابتة لكابريكار» «**Kaprekar's constant**»، نسبة لعالم الرياضيات الهندي العبقري «داتاريا رامتشاندرا كابريكار» «**D. R. Kaprekar**»، الذي أعلن عن اكتشافه لهذا الرقم إلى العالم في مؤتمر للرياضيات عقد في مدينة مادراس الهندية عام **1949**.



- وما سر هذه الرقم؟

- إذا قمت باختيار أربعة أرقام، ثم رتبت هذه الأرقام ليكون لديك أكبر عدد، ورتبتها مرة أخرى لينتج لديك أصغر عدد، وقمت بطرح العدد الصغير من الكبير، وقمت بتكرار هذه العملية مع العدد الناتج، وقمت بهذه الخطوات لعدة مرات، فستجد أن العدد الناتج سيكون في نهاية الأمر **6174**.

- لم أفهم شيئًا!

ابتسم نضال ثم قال:

- حسنًا لتسهيل شرح الموضوع، اختر أربعة أرقام بشرط أن يكون اثنان منها على الأقل مختلفين.

- سأختار الأرقام: **1**، **2**، **3**، **4**.

- الآن رتب الأرقام بحيث ينتج لديك أكبر عدد منها، ستحصل على العدد **4321**، ثم رتبها بحيث تحصل على أصغر عدد منها، وهو العدد **1234**، ثم اطرح العدد الصغير من الكبير، **4321 - 1234**، سينتج العدد **3087**، والآن أعد نفس الخطوات مع أرقام هذا العدد: **8730-0378= 8352**. كرر نفس العملية مرة أخرى: **8532-2358**، سينتج لديك: **6174**، ولو قمت بتكرار العملية لمرات ومرات على نفس أرقام هذا العدد العجيب، ستجد أن النتيجة ثابتة دائمًا، وهي ثابت كابريكار: **7641-1467=6174**!

- وهل هذا ينطبق على كل الأرقام؟ تساءل عبد العزيز.

- حاول أن تختار أربعة أرقام أخرى، وكرر عملية الترتيب التصاعدي والتنازلي للأرقام وعملية طرحها الأصغر من الأكبر، وبعد أن تكرر هذه العملية لسبع مرات كحد أقصى.، ستجد أن النتيجة ستكون دائمًا واحدة، بغض النظر عن الأرقام الأربعة التي تختارها، ففي نهاية الأمر ستحصل دائمًا على ثابت كابريكار **6174**.

– وهل هناك أرقام عجيبة أخرى اكتشفها كابريكار.

– هناك الكثير من الاكتشافات العجيبة اكتشفها هذا العالم الهندي الذي كان مهووسًا بالبحث في طبيعة الأرقام واللعب بها، فقد درس كابريكار في جامعة مومباي وقضى حياته معلمًا في مدرسة في إحدى البلدات الصغيرة في تلال مومباي الشمالية، وعلى الرغم مما واجهه من سخرية ورفض من قبل علماء الرياضيات في الهند الذين رأوا أن عمله تافه وغير مهم، فإنه لم يهتم لسخريتهم وتثبيطهم، واستمر في أبحاثه وكتاباته، حتى توصل إلى لغز هذا الرقم العجيب الذي ما زال ينسب إلى اسمه.

– هل لك أن تذكر لي بعض هذه الأرقام؟

– بإمكانك لاحقًا أن تبحث بنفسك في شبكة الإنترنت عن عجائب الأرقام التي اكتشفها كابريكار، أما الآن يا صديقي فينبغي علينا التوجه إلى المكتب البريدي، فقد حان موعد افتتاح المكتب.

رجع نضال وعبد العزيز من جديد إلى مبنى مكتب البريد الإيطالي القريب من النهر، وفور دخولهما إلى المبنى، وجدا العديد من الصناديق البريدية المرتبطة بآلة إليكترونية تشبه آلة الصراف الآلي، فأدخل نضال البطاقة الإليكترونية التي وجدها في الأردن في المكان المخصص لها في الآلة، ثم ضغط على الأرقام الأربعة: «**6174**»، وما أن انتهى من ذلك حتى فتح أحد الصناديق البريدية، فأسرع نضال

وعبد العزيز إلى ذلك الصندوق البريدي، فوجدا داخله قلمًا وورقة كبيرة مطوية، وقبل أن يفتح الورقة، أخذ نضال يقلب في القلم الذي وجده في الصندوق، فلاحظ أن القلم يحتوي على زر صغير في نهايته، وعندما ضغط على هذا الزر، انبثق ضوء أزرق من نهاية القلم.

- ما هذا القلم الغريب؟! تساءل عبد العزيز.

- هذا قلم للكتابة بالحبر السري، يحتوي على كشاف ضوئي في نهايته يصدر أشعة خاصة لكشف هذا الحبر.

- هل هذا يعني أن هذه الورقة تحتوي على رسالة مكتوبة بهذا الحبر السري؟

- ربما! على أي حال دعنا نفتح الورقة ونرى.

خرج نضال وعبد العزيز من مكتب البريد الإيطالي، وعادا مرة أخرى إلى الحديقة المطلة على النهر، وهناك فتح نضال الورقة الكبيرة المطوية، فوجداها تحتوي على رسالة قصيرة مكتوبة بحبر عادي في منتصف الصفحة، جاء فيها:

N

1

عند ضريح الملك العظيم، على حائط السطح العلوي،

اكتشف الرسالة الأخيرة من هنا

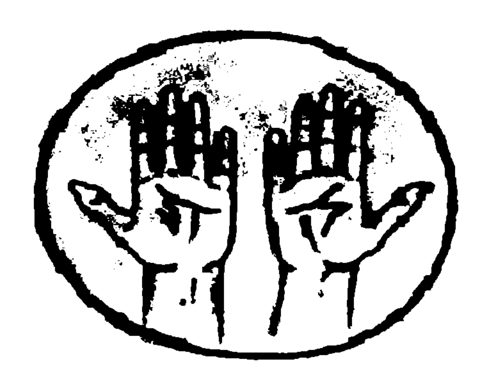
وبعد أن قرأ ما جاء في الرسالة، ضغط نضال على زر الكشاف في نهاية القلم، ووجه ضوءه الأزرق على باقي أجزاء الورقة الكبيرة الفارغة من الكتابة، فلم تظهر من خلاله أي كتابة خفية في الورقة.

- هذا منطقي أكثر! قال نضال متمتمًا.

- ما هو المنطقي؟!

- لو كانت أمي ترغب بكتابة رسالة سرية في هذه الورقة، لما وضعت القلم الذي يحتوي على الكشاف السري في نفس مكان وجود الرسالة! وإنما وضعت هذا القلم ليساعدنا في التوصل إلى الرسالة الأخيرة.

- وأين توجد هذه الرسالة الأخيرة؟! فهذه الكلمات القليلة المكتوبة على ظهر هذه الورقة الكبيرة لا تحتوي على أي معلومة سوى الحديث عن ضريح ملك عظيم لم تحدد هويته!



أخرج نضال من حقيبته ورقة اللغز، وأخذ يتأمل في الحلقة العاشرة والأخيرة فيه، والتي كانت تحتوي على يدين لإنسان، وبعد عدة دقائق من الصمت، صاح قائلًا:

- كيف لم أنتبه إلى ذلك منذ البداية؟

- تنتبه إلى ماذا؟!

أشار نضال إلى حلقات اللغز العشر، ثم قال:

- انظر هنا يا عبد العزيز، لغز الحلقات العشر بدأ بحلقة تحتوي على إصبع واحد، وانتهى بهذه الحلقة التي تحتوي على يدين، أي عشرة أصابع، وفي ذلك دلالة على ترتيب هذه الحلقات العشر كما رأينا منذ البداية، ولكن كما أن الإصبع الأول كان يرمز أيضًا لمكان الحلقة الأولى للغز وهو سبابة تمثال الإمبراطور قسطنطين العظيم في عاصمة إيطاليا روما، فإن اليدين لا ترمزان فقط للرقم عشرة، وإنما أيضًا للمكان

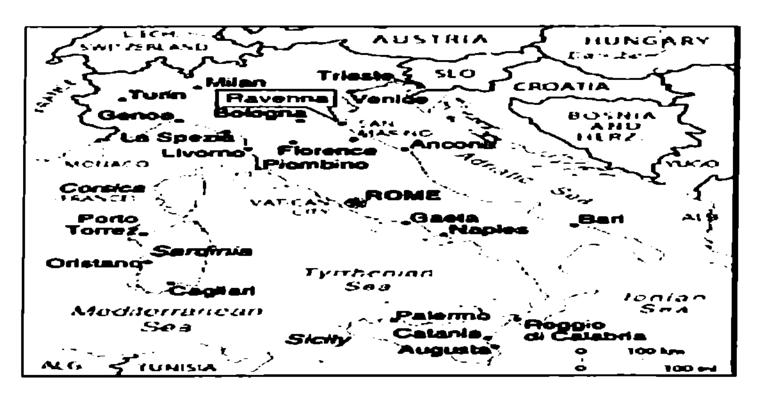
الذي توجد فيه الحلقة الأخيرة من اللغز، والذي يقع في إيطاليا أيضًا!

- وما هو هذا المكان؟ وهل هو قريب من هنا؟ تساءل عبد العزيز بحماس.

- نحن الآن في أقصى جنوب إيطاليا، والمكان الذي ينبغي علينا البحث فيه عن الحلقة الأخيرة من اللغز يقع في الطرف الآخر من إيطاليا، وبالتحديد في مدينة «رافينا» «**Ravenna**».

- ولماذا هذه المدينة بالتحديد؟

- هذه المدينة الإيطالية يا صديقي هي المدينة التي كانت عاصمة لمملكة أوروبية من أعظم ممالك الآريسيين الموحدين في التاريخ، مملكة القوط الشرقيين، التي امتد نفوذها على أراض تابعة لـ **19** دولة أوروبية حالية، والتي كان يحكمها ملك آريسي موحد من أعظم ملوك أوروبا عبر التاريخ، الملك ثيودريك الأمالي، المعروف بالتاريخ باسم: «ثيودريك العظيم»!

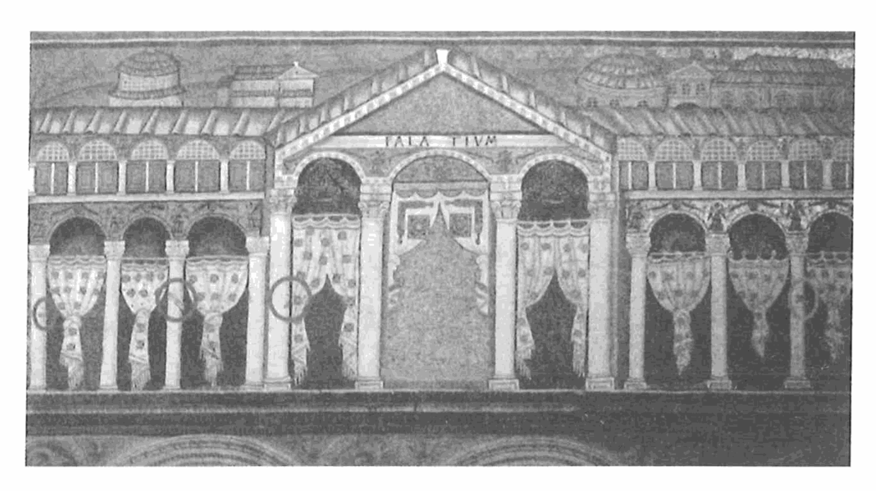


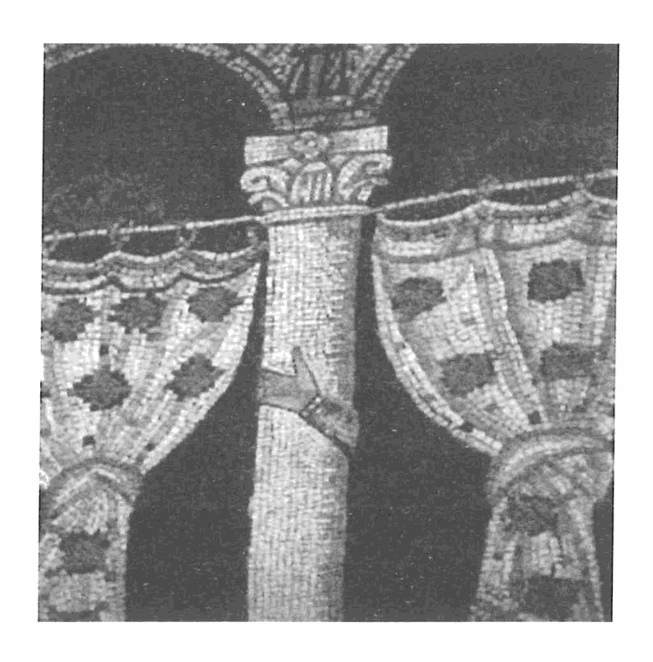
في مدينة الملك العظيم
ثيــودريــك



وصل نضال وعبد العزيز إلى محطة القطار الرئيسية لمدينة رافينّا الإيطالية، ومن هناك توجها مباشرة إلى كنيسة أثرية تدعى «باسيليكا دي سانتي بوليناري نوفو» «**Basilica di Sant'Apollinare Nuovo**»، وهناك تنقل الصديقان بين قاعات هذه الكنيسة الممتلئة بالسياح

الذين قدموا إليها من مناطق عديدة من العالم لمشاهدة لوحاتها الفسيفسائية، فقد كانت الجدران الداخلية لهذه الكنيسة مغطاة بالكامل بلوحات جدارية مرسومة بواسطة أحجار الفسيفساء الملونة، وكان من أبرز تلك اللوحات لوحة كبيرة تقع على الحائط الأيمن لمدخل المبنى، هذه اللوحة كانت غريبة بعض الشيء، فقد تم طمس بعض أجزاء هذه اللوحة بواسطة رسومات جديدة أضيفت على الرسم الأصلي، وقد ظهر ذلك واضحًا من خلال بعض النقوش والأحجار التي لا تبدو بنفس قدم بقية النقوش والأحجار الأخرى، وقد تجلى هذا الأمر بشكل واضح في منتصف اللوحة الذي طمس تمامًا بشكل مثير للريبة، أما الأمر الأكثر إثارة للدهشة في هذا اللوحة الجدارية، كان وجود صور لأيدٍ بشرية على الأعمدة المرسومة في هذه اللوحة.





- ما هذه اللوحة العجيبة؟! تساءل عبد العزيز.

- هذه الكنيسة كانت في الأصل كنيسة آريسية، بنيت في بداية القرن السادس الميلادي من قبل الملك الجرماني الموحد ثيودريك العظيم «Theodoric the Great» ملك مملكة القوط الشرقيين الآريسية، ولكن مع سقوط هذه المملكة باجتياح جيوش الإمبراطورية البيزنطية لأراضيها، قام الرومان المثلثين باضطهاد الشعوب الأوروبية الموحدة لهذه المملكة، فارتكبوا المجازر في حق الكثير من السكان، وأجبروا بقية شعوب المنطقة على اتباع المسيحية التثليثية

بحد السيف، بعد أن احتلوا كنائسهم الآريسية وطمسوا معالمها الأصلية، وكانت هذه الكنيسة من بين الكنائس التي احتلها الرومان في زمن الإمبراطور جستينيان الأول «Justinian I»، وحولوا اسمها من «كنيسة المسيح المخلص» إلى اسم «كنيسة القديس مارتن في السماء الذهبية»، نسبة للأسقف مارتين التوروزي «Martin of Tours» أحد ألد أعداء الآريسيين في التاريخ، وبعد ذلك أمر البابا غريغوري الأول «Pope Gregory I» بطمس بعض رسومات هذه الكنيسة الآريسية، التي تحول اسمها مرة أخرى ليستقر على الاسم المعروفة به حتى الآن.

- ولكن ما الذي أخفاه المثلثون في هذه اللوحة؟

- لا أحد يعلم بالتحديد، ولكن ما تبقى من هذه الرسمة يوضح أنها كانت تجسد صورة لقصر الملك ثيودريك العظيم، ومن المرجح أن مركز اللوحة المطموس كان يحتوي على رسم للملك ثيودريك وهو جالس على عرشه، ومن حوله أفراد من حاشيته التي تبقى من رسمهم بعض أجزاء من أيديهم التي ظهرت أمام أعمدة القصر المرسومة في اللوحة والتي نسي الرومان طمسها، أو تركوها لعدم رغبتهم بتشويه صور الأعمدة التي بالكاد تظهر عليها أجزاء صغيرة من تلك الأيدي البشرية، أو كان لديهم سبب آخر لا نعلمه، ولكن حركة هذه الأيدي كما هو واضح في الرسم دفعت البعض للاعتقاد أن

أفراد هذه الحاشية الملكية كانوا يقومون بصلواتهم في هذا الرسم التي اختفت تفاصيله بطمس بقية أجزاء اللوحة، للأسف سر هذه اللوحة دفن للأبد مع من قاموا بإخفاء تفاصيلها.

- ولكن كيف تكونت هذه المملكة، وهل لها علاقة بمملكة القوط الغربيين التي قامت في إسبانيا؟

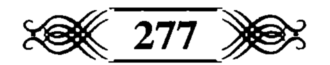


- القوط الشرقيون هم القسم الشرقي من شعب القوط الجرماني الذين يعتقد أن أصولهم ترجع إلى إسكندنافيا، من المنطقة الجنوبية من مملكة السويد التي تسمى حاليًا بـ «أرض القوط» «كوت لاند» «**Götaland**»، ونظرًا لما تتمتع به هذه القبائل الجرمانية من شدة وبأس في القتال، فقد كان الرومان هم الذين جلبوهم في بداية

الأمـر للعـيش في منـاطق الإمبراطوريـة الرومانيـة للاسـتفادة مـن خبراتهم العسكرية في القتال، ولكن مع مرور الوقت ومع اضطهاد الرومان لكل من هو غير روماني، بدأت النزعات الانفصالية تظهر لدى قبائل القوط، خاصة مع انتشار المسيحية الآريسية بين صفوف القوط الشرقيين والغربيين على حد سواء، وتعرض الآريسيين للاضطهاد من قبل الرومان المثلثين، وعلى عكس القوط الغربيين الذين هاجروا مبكرًا مع بداية القرن الخامس الميلادي إلى الغرب الأوروبي لتكوين وطن مستقل لهم، اختار القوط الشرقيون الاستقرار في شرق أوروبا، وكانت علاقتهم مع الرومان في بداية الأمر تحكمها المصالح المشتركة وتتأرجح ما بين مد وجزر، خاصة في ظل وجود عدو مشترك يتمثل بقبائل الهون الشرسة القادمة من آسيا، لذلك اعتبر الرومان ملك القوط الشرقيين ثيودريك العظيم نائبًا للإمبراطور البيزنطي في المناطق التي يفتحها، في حين أنه عمليًا كان يتمتع باستقلال فعلي عن الإمبراطورية الرومانية في مملكة القوط الشرقيين الآريسية «**The Ostrogothic Kingdom**».

- ولكن لماذا يلقب هذا الملك القوطي بالملك العظيم؟

- هذا الملك الأوروبي الآريسي لا يعتبر فقط من أعظم الملوك الذين ظهروا في القارة الأوروبية على الإطلاق، بل أيضًا يعده كثير من المؤرخين كأحد أعظم ملوك الأرض عبر التاريخ، ويقارن البعض ملكه



بملك الإسكندر الأكبر، حيث تمكن من بسط نفوذه على التي امتد نفوذها على أراض تابعة إلى 19 دولة أوروبية معاصرة: «إيطاليا، ألمانيا، سويسرا، سولفينيا، فرنسا، مونتينيغرو أو الجبل الاسود، كرواتيا، سلوفاكيا، جمهورية التشيك، هنغاريا أو المجر، صربيا، البوسنة والهرسك، إمارة موناكو، إمارة لختنشتاين، الفاتيكان، إمارة سان مارينو، وجمهورية النمسا، إسبانيا، البرتغال»، وامتد نفوذه بعد ذلك إلى القارة الأفريقية حيث أراضي مملكة الفاندال، لتنضم أجزاء من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب إلى مناطق نفوذ الملك العظيم ثيودريك، بعد أن قاد بنفسه تحالفًا آريسيًا يضم مملكة القوط الشرقين، ومملكة القوط الغربيين، ومملكة الفاندال والآلان، بعد أن نشر العدل بين سكان مملكته، وساد السلام في عهده، يقول عنه الكاتب تيري أونغر «**Terry Unger**» في كتابه «مصير الآلهة» «**Ragnarok**»:

«الملك الشهير ثيودريك العظيم الذي منح شعبه خمسين عامًا من السلام كان آريسيًا، وكان يُعرف بملك الشعب، وضمت مملكته كل أجزاء إيطاليا، وأجزاء من ألمانيا، والنمسا، والمجر، ومعظم إسبانيا، والقسم الفرنسي الذي كان يعرف ببورغندي، وجزء كبير من شمال أفريقيا»

- وكيف تعامل هذا الملك الأريسي مع سكان تلك المناطق من الذين لم يكونوا على عقيدة التوحيد الآريسية؟

- بالرغم من كل الفظائع التي قام بها الرومان المثلثون في حق الموحدين الآريسيين، لم يسمح الملك ثيودريك العظيم لنفسه أن يكون مثلهم، فترك الرومان المثلثين ليعيشوا بسلام تحت حكمه، ليس ذلك فحسب، بل سمح لهم بالاحتكام إلى شريعتهم وقوانينهم، الأمر الذي جعل من هذا الملك الأوروبي الموحد موضع احترام وتقدير من جميع الشعوب التي كان يحكمها.

توقف نضال فجأة عن الكلام، ثم أخرج من حقيبته كتابًا تاريخيًا باللغة الإنجليزية، ونظر في فهرس الكتاب على اسم هذا الملك، ثم فتح صفحة معينة من صفحات الكتاب وهو يقول:

- استمع يا عبد العزيز ما ذكره المؤرخ الفرنسي «Henricus Valesius» في القرن السابع عشر في حق هذا الملك الآريسي العظيم:

«Theodoric was a man of great distinction and of good-will towards all men, and he ruled for thirty-three years. Under his rule, Italy for thirty years enjoyed such good fortune that his successors also inherited peace. For whatever he did was good. He so governed two races at the same time, Romans

and Goths, that although he himself was of the Arian sect, he nevertheless made no assault on the Catholic religion; he gave games in the circus and the amphitheatre, so that even by the Romans he was called a Trajan or a Valentinian, whose times he took as a model; and by the Goths, because of his edict, in which he established justice, he was judged to be in all respects their best king»

«ثيودوريك كان رجلًا رفيع القدر وصاحب نية حسنة تجاه جميع البشر، حكم لمدة ثلاث وثلاثين عامًا، وفي ظل حكمه تمتعت إيطاليا لمدة ثلاثين عامًا بحظ حسن، إلى حد أن خلفائه ورثوا السلام أيضًا، لأن كل ما فعله كان جيدًا، كان يحكم قوميتين اثنين في نفس الوقت: الرومان والقوط، وعلى الرغم من أنه هو نفسه كان يتبع الطائفة الآريسية، إلا أنه لم يضطهد أتباع الدين الكاثوليكي، وقد سمح للرومان بعقد ألعابهم التقليدية في مسرحي «سيركوس» و «أمفيا»، حتى أنه لقب من قبل الرومان بـ «تراجان» أو «فالنتنيان»، نسبة للإمبراطورين الاثنين الذين كان ثيودريك يتخذ زمانهما كنموذج له، أما من قبل القوط، فبسبب مرسومه الذي أقام به العدالة، تم اعتباره من جميع النواحي أنه أفضل ملك لهم على الإطلاق»

- وما هو هذا المرسوم الذي أقام به العدالة؟ تساءل عبد العزيز.

- الملك الآريسي ثيودريك العظيم أنشأ فيما يعرف اليوم بدولة القانون، وكانت فلسفة حكمه الواضحة أنه لا يوجد أحد في دولته فوق القانون، وهو ما لخصه بنفسه من خلال كلمات قليلة ذكرها في رسالة بعثها إلى بعض رعيته من يهود مدينة «جنوة»:

«The true mark of *civilitas* is the observance of law. It is this which makes life in communities possible, and which separates man from the brutes»

«الدلالة الحقيقية لمفهوم المواطن هي احترام القانون، وهو يجعل الحياة في المجتمعات ممكنة، ويفرق بني الإنسان عن الدواب»

- وهل تم التعامل مع هؤلاء اليهود بنفس التسامح الذي عومل به الرومان الكاثوليك؟

- ثيودريك لم يكن يفرق بين المواطنين من ناحية تطبيق القانون، فكان الجميع سواسية تحت مظلة العدالة التي وضع أسسها في دولته، فقد أدرك هذا الملك الأريسي الموحد منذ ذلك الوقت المبكر في التاريخ أن العدل أساس الملك، وأن انتشار الظلم في الدول يعجل في سقوطها، لذلك عمل على تطبيق القانون على الجميع دون النظر إلى المكانة الاجتماعية، أو الانتماء العرقي، أو الاعتقاد الفكري للمواطنين،

لذلك نعم اليهود تحت حكم ثيودريك العظيم بالحرية الدينية، وسمح لهم أيضًا بأن يتحاكموا إلى شريعتهم، فعلى عكس عراب المثلثين أوغاستين الذي دعا إلى إجبار الناس بالقوة على اتباع المسيحية التثليثية، كان المبدأ الذي سار عليه الملك الأريسي الموحد ثيودريك العظيم هو نفس المبدأ الإسلامي الذي جاء في القرآن الكريم «لا إكراه في الدين»، وهو ما لخصه ثيودريك في نفس هذه الرسالة التي بعث بها إلى يهود جنوة ليطمئنهم من خلالها بأن حقوقهم الدينية لن تمس، حيث قال فيها:

«We cannot order a religion, because no one can be forced to believe against his will»

«لا يمكننا أن نأمر الناس باتباع دين معين، لأنه لا يمكن لأحد أن يُجبر على الإيمان بشيء مخالف لإرادته»

- وهل يعلم الأوروبيون شيئًا عن تاريخ هذا الملك العادل؟

- نظرًا لأصوله الجرمانية فإن هذا الملك القوطي يعتبر حتى يوم الناس هذا أسطورة في الأدب الأوروبي عامة والألماني خاصة، وتروى عنه القصص والقصائد عن حكايات مغامراته وشجاعته، ويعرف في الادب الألماني باسم «**Dietrich von Bern**»، ولكن ما لا يعرفه عامة الأوربيين أن هذا الملك كان يعتبر بمثابة المدافع الأول عن الآريسية في العالم في وقته، خاصة بعد أن وسع نفوذ مملكة القوط الشرقيين

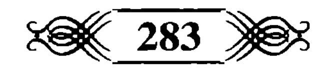
الآريسية ليشمل مملكة القوط الغربيين ومملكة الفاندال، ليكون إمبراطورية عظيمة يمتد نفوذها من المحيط الأطلسي-غربًا، وحتى نهر الدانوب شرقًا، ومن ألمانيا وأواسط أوروبا شمالًا، وحتى حدود الصحراء الكبرى في جنوب تونس والجزائر وليبيا الحالية جنوبًا.

ARIAN KINGDOMS IN 500

Map by A. Bereznay

- ولكن كيف استطاع ثيودريك العظيم أن يمد نفوذه إلى مملكتي القوط الغربيين والفاندال؟

- الملك ثيودريك بالإضافة لعدله وتسامحه وقوته، كان أيضًا سياسيًا بارعًا، فعقد علاقات نسب بين كثير من ملوك تلك الدول، الأمر الذي ساعده على إقامة علاقات دبلوماسية مميزة مع حكام الدول المجاورة، ومن ثم بسط نفوذه في أراضيها،



فخضعت مملكة القوط الغربيين بشكل مباشر لحكمه، وأصبحت لـه سـلطة غـير مباشـرة علـى مملكـة البورغنـديين الآريسـية في فرنسا «**Kingdom of the Burgundians**»، ومملكة الفاندال والآلان في شـمال أفريقيـا، الـتي تـزوج ملكهـا الفانـدالي «ترازامونـد» «**Thrasamund**» مـن أخـت ثيودريـك العظيم الـتي كانـت تـدعى «أمالافريدا» «**Amalafrida**».

- ولكن كيف سقطت هذه الدول الآريسية بعد أن أصبحت قوة موحدة؟

- لكل شيء إذا ما تم نقصان، فمع وصول الآريسيين لقمة مجدهم في زمن الملك القوطي ثيودريك العظيم مع بدايات القرن السادس الميلادي، بدأت مرحلة الانحدار والضعف، ثم بدأت مرحلة السقوط عمليًا مع نهاية حكم الملك الفاندالي ترازاموند، فبعد موت هذا الملك الآريسي مباشرة، تسلم حكم مملكة الفاندال ابن عمه «هيلدريك» «**Hilderic**»، الذي كان على صلة عميقة مع الرومان، حيث أن أمه كانت كاثوليكية وابنه لأحد أباطرة الرومان، وما أن تسلم هيلدريك عرش الفاندال، حتى أعلن نفسه كاثوليكيًا، على عكس ولم يكتفِ بذلك، بل قام بعزل الأساقفة الآريسيين في شمال أفريقيا وتعيين أساقفة كاثوليك مكانهم، الأمر الذي أغضب عامة الشعب الفاندالي الذي كان آريسيًا، فقادت أخت ثيودريك العظيم وأرملة الملك السابق أمالافريدا ثورة آريسية على الملك الجديد، ولكن هيلدريك استطاع قمع ثورتها وسجنها، لتموت هذه الملكة الأريسية الثائرة في السجن دفاعًا عن عقيدتها، واستطاع الملك الكاثوليكي الجديد بدعم من أخواله الرومان المثلثين أن يستمر في الحكم لسبع سنوات، حتى قاد أحد أبناء عمومته الآريسيين ويدعى «غيليمر» «**Gelimer**» ثورة آريسية استطاعت إسقاط حكمه، ليعود حكم الأريسيين الموحدين من جديد لمملكة الفاندال والآلان، الأمر الذي

أغضب الإمبراطورية الرومانية المثلثة الذي بعثت برسائل تهدد الملك الأريسي الجديد وتطلب منه إعادة حليفها الكاثوليكي السابق، ولكن الملك الآريسي الموحد غيليمر رفض طلب الرومان وأوصل رسالة للإمبراطور البيزنطي بأن لا سلطة للرومان عليهم لكي يوجهوا إليه مثل تلك الأوامر، فأعلن الإمبراطور الروماني «جستانيان الأول» «**Justinian I**» الحرب على مملكة الفاندال، فأرسل الإمبراطور أسطولًا ضخمًا بقيادة أحد أعظم قادته الحربيين وهو الجنرال «بيليساريوس» «**Belisarius Flavius**»، وبالفعل تمكن الرومان أخيرًا من اجتياح تونس والقضاء على هذه الدولة الآريسية الموحدة في شمال أفريقيا، وتم أسر آخر ملوكهم غيليمر في مارس من عام **534**، وأرسل إلى القسطنطينية حيث عرض عليه الإمبراطور أن يتعاون معهم مقابل منحه منصبًا رفيعًا في الامبراطورية، ولكن غيليمر رفض عرض الرومان المثلثين، ووفقًا لما ورد في الموسوعة الكاثوليكية «**CATHOLIC ENCYCLOPEDIA**» فان غليمير «لم يرغب بتغيير إيمانه الأريسي» «**refuse it because he was not willing to change his Arian faith**» ليعيش هذا الملك الفاندالي الأريسي منفيًا في الأناضول، ويموت في «غالاتيا» في وسط تركيا الحالية، لتنتهي بذلك حكاية دولة الفاندال الآريسيين في شمال أفريقيا.



- وماذا حصل لعامة الشعب الفاندالي بعد سقوط دولتهم؟

- بقي الفاندال ومن معهم من الآلان في شمال أفريقيا على الرغم من سقوط دولتهم، واختلطوا مع السكان الأصليين من الأمازيغ، ولو تأملت يا عبد العزيز في هيئة كثير من سكان شمال أفريقيا في المغرب والجزائر وتونس وليبيا، فإنك ستجد الكثيرين من الأشخاص ممن يحملون ملامح أوروبية لا تخفى على أحد، صحيح أن بعضهم هم من أحفاد المهاجرين الأوروبيين المسلمين الذين لجأوا إلى تلك الأراضي بعد سقوط الأندلس، ولكن لا ينبغي إغفال حقيقة تاريخية ثابتة بأن بعضًا من سكان شمال أفريقيا ينحدرون من قبائل

الفاندال والآلان الأوربيين الذين استوطنوا في تلك الأراضي منذ ما يزيد عن **1500** عام، ويظهر ذلك بشكل واضح من الملامح الشقراء والبنية الجسمانية الجرمانية الصلبة لبعض سكان شمال أفريقيا.

- وماذا عن دولة القوط الشرقيين؟

- شجع سقوط الفاندال المفاجئ الرومان على اجتياح بقية الدول الآريسية المستقلة، خاصة وأن خلفاء الملك ثيودريك العظيم كانوا ضعفاء ومتفرقين، وبعد عامين من سقوط تونس، أرسل الإمبراطور جستانيان الأول حملة عسكرية إلى إيطاليا، وتمكن البيزنطيون من احتلال هذه المدينة رافينا عام **540**، لتسقط بذلك عاصمة مملكة القوط الشرقيين، وفي عام **553** تم القضاء بشكل تام على آخر جيب للمقاومة القوطية ضد الرومان، لتعلن في ذلك العام نهاية دولة القوط الشرقيين الآريسية.

- وهل انتهى الوجود الآريسي في تلك الأراضي الأوروبية بعد ذلك؟

- بعد احتلال الرومان المثلثين لأراضي دولة القوط الشرقيين، قاموا باضطهاد الآريسيين الأوروبيين، وأجبروهم على تغيير عقيدتهم التوحيدية، وكما هو ظاهر في هذه الكنيسة، عمل البيزنطيون المثلثون على إخفاء كل المعالم الآريسية في هذه الأراضي، وذلك لمنع الأجيال الأوروبية اللاحقة من معرفة تاريخ أجدادهم التوحيدي، ولكن وبالرغم من كل ذلك، ولد كيان آريسي جديد في إيطاليا، فقد نشأت

في قلب أوروبا وبالتحديد في أجزاء من إيطاليا والنمسا مملكة آريسية جديدة، أسستها قبيلة جرمانية مهاجرة تدعى «اللومبارد» «**Lombards**»، لتكون هذه القبيلة مملكة آريسية جديدة هي «مملكة اللومبارد» «**Kingdom of the Lombard**»، لتستمر هذه المملكة على التوحيد الآريسي حتى عام **671** م، أي إلى ما يقرب من **40** عامًا من وفاة الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لتصبح هذه الدولة آخر كيان سياسي قائم على التوحيد في أوروبا في ذلك الوقت، قبل أن يعود التوحيد إلى أوروبا من جديد بعد ذلك بـ **40** عامًا في الأندلس على يد طارق بن زياد، ليستمر الوجود الإسلامي في الأندلس لنحو **800** سنة، قبل سقوط مملكة غرناطة آخر معاقل الموحدين في شبه الجزيرة الإيبيرية عام **1492**م.

- أشكرك على هذه المعلومات التاريخية القيمة يا صديقي، ولكن لكيلا ننسى الأمر الذي جئنا من أجله إلى هذه المدينة، أين هو ضريح الملك ثيودريك العظيم الذي من المفترض أن الحلقة الأخيرة من اللغز موجودة عنده؟

- حسنًا، تعال معي!

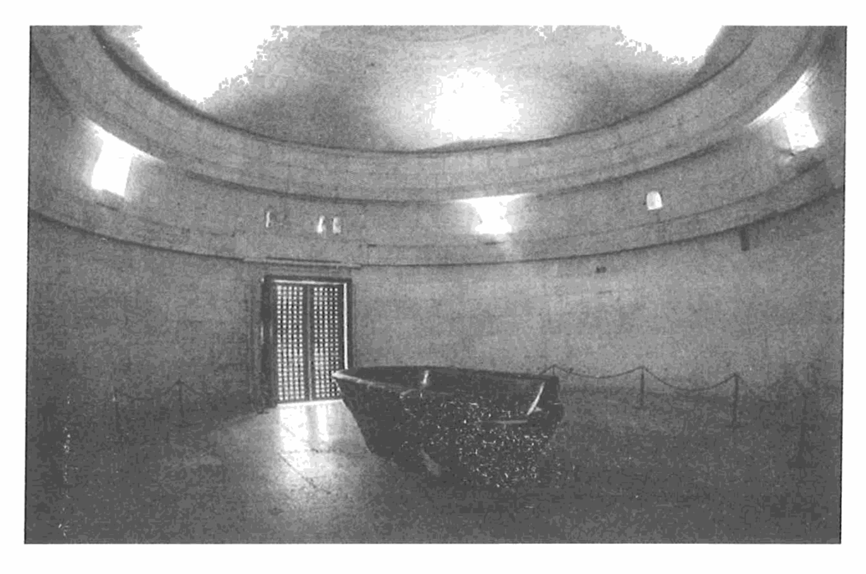


سر الرسالة الأخيرة



خرج نضال برفقة عبد العزيز من كنيسة «باسيليكا دي سانتي بوليناري نوفو»، وسار الاثنان عبر شوارع مدينة رافينا حتى وصلا إلى حديقة واسعة لا تبعد كثيرًا عن الكنيسة، وفي هذه الحديقة انتصب ضريح الملك ثيودريك العظيم الذي كان عبارة عن مبنى حجري ضخم يتكون من طابقين اثنين، وفي وسط الطابق الأرضي وضع تابوت رخامي بلون قرمزي، وقد كان هذا التابوت يضم رفات الملك ثيودريك

العظيم الذي أمر ببناء هذا الضريح في حياته ليكون قبره المستقبلي، ولكن الرومان البيزنطيين عندما احتلوا مدينة رافينا نبشوا قبر هذا الملك الآريسي ونقلوا الرفات من التابوت القرمزي.



وبعد أن ألقى الصديقان نظرة على الطابق الأرضي للضريح، انتقلا إلى الطابق العلوي بواسطة سلم حجري، وهناك وجدا الكثير من السياح الأجانب الذين انشغلوا بأخذ الصور التذكارية من على سطح ذلك الطابق، فانتظر نضال وعبد العزيز هناك لبعض الوقت قبل أن يبدآ بالبحث عن الحلقة الأخيرة من اللغز، وانشغلا خلال ذلك الوقت بقراءة لوحة حجرية نقشت على قوس باب المدخل

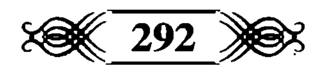
المؤدي للطابق، وكانت اللوحة تحتوي على معلومات تاريخية عن المبنى وعن الملك ثيودريك العظيم، ولما اقتربت الشمس من المغيب، غادر السياح من المكان، وعلى الفور أخرج نضال قلم الحبر السري من حقيبته وأشعل كشافه وبدأ بعملية البحث، وعلى الرغم من أنه قد سلط ضوء الكشاف الأزرق على كل حجر من حجارة الطابق العلوي، لم تظهر أي كتابة سرية على تلك الحجارة، فكرر نضال عملية البحث لمرة ثانية وثالثة، ولكنه لم يجد أي شيء، ولكنه لم يتوقف عن البحث، فأخذ يبحث في نفس الأماكن للمرة الرابعة، وتنقل بكشافه دون جدوى كالمجنون من حجر إلى آخر ودموعه تتساقط على وجنتيه، في حين كان عبد العزيز ينظر إلى صديقه بحزن مشفقًا على حالته تلك.

- نضال... توقف! لا يوجد شيء هنا يا صديقي!

- سأعيد البحث مرة أخرى، الحلقة الأخيرة موجودة في مكان ما هنا!

- ولكن لا توجد أي رسالة مكتوبة بالحبر السري في ذلك المكان، حاول أن تتقبل هذه الحقيقة، لقد بحثت أكثر من مرة في نفس الأماكن دون جدوى.

- ولكن كيف؟! فالرسالة التي وجدناها في الصندوق البريدي والرسمة الظاهرة في الحلقة العاشرة من اللغز، أشارتا بشكل واضح إلى هذه المدينة وإلى هذا المكان بالتحديد!



- ربما اختفت الرسالة المكتوبة بالحبر السري بفعل الأمطار أو الطقس، أو ربما وصل إليها أحد قبلنا، أو ربما لم تستطع أمك كتابتها من الأساس.

- هل هذا يعني أنني فشلت بعد كل هذا الجهد؟!

اقترب عبد العزيز من نضال، ووضع يده على كتفه قائلًا:

- لا لم تفشل يا صديقي، فلقد قمت بكل ما تستطيع القيام به، ولكن أحيانًا يقوم الإنسان بكل ما ينبغي القيام به من تخطيط وعمل، ولكن تكون النتيجة مخيبة للآمال، ليس بالضرورة بسبب خطأ قام به، ولكن في كثير من الأحيان تكون الأسباب خارجة عن إرادته، هذه هي الدنيا، مخيبة للآمال أحيانًا، عندها يكون الإنسان مخيرًا بين خيارين، إما البكاء والندم، وإما تقبل هذه الحقيقة المرة، وفي كلتا الحالتين لن يستطيع تغيير ما حدث، ولكنه في حالة البكاء والندم سيصاب بالجنون في نهاية الأمر، وسيظل أسيرًا لأحزانه وجراحه طيلة العمر، أما في حالة تقبل الواقع، فإنه سيلملم جراحه، ليكمل مسيرة حياته المليئة بالمفاجآت التي تنتظره.

توقف نضال عن البحث بعد أن سمع كلام عبد العزيز، ومشى لعدة خطوات مقتربًا من شرفة الطابق العلوي للضريح المطلة على ساحة الحديقة، وأخذ يتأمل من هناك الشمس وهي تغرب ببطء في

سماء إيطاليا، فارتسمت على وجهه ابتسامة رقيقة، وقال ودموعه تتلألأ في عينيه وهو ينظر إلى مغيب الشمس:

- هل تذكر يا عبد العزيز كيف أنهينا مغامرتنا الأولى في البحث عن لغز بربروسا، لقد كنا نقف على سطح القلعة في المغرب ونتأمل الشمس وهي تغيب.

ابتسم عبد العزيز قائلًا:

- رحلة البحث عن لغز بربروسا كانت رحلة ممتعة وشيقة، وأجمل ما فيها أنني فهمت من خلالها لأول مرة في حياتي المعنى الحقيقي للغة الرموز، وكيف أن الأشياء التي نراها بأعيننا يمكن أن ترمز لمعاني أخرى أكثر عمقًا.

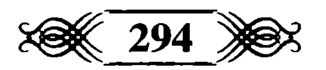
فجأة... التفت نضال إلى عبد العزيز، ونظر إليه محدقًا وكأنه وجد شيئًا في كلماته التي قالها للتو، ثم أخرج قلم الحبر السري من جيبه، وأخذ يقلبه بين أصابعه وهو يمشي جيئة وذهابًا.

- ما الأمر يا نضال؟!

- لماذا لا يكون هذا القلم رمزًا لشيء ما، بدلًا من أن يكون وسيلة لشيء ما كما كنا نعتقد؟

- ماذا تقصد بكلامك؟

- استمع إليّ جيدًا يا عبد العزيز، لماذا لا يكون هذا القلم رمزًا لشيء أكثر عمقًا كما قلت أنت في كلامك، وليس مجرد قلم نستخدم



كشافه الضوئي كوسيلة للوصول إلى الحلقة الأخيرة للغز.

- ولكن هذا القلم جاء مصحوبًا بالرسالة البريدية التي قادتنا إلى هذا المكان: «عند ضريح الملك العظيم، على حائط السطح العلوي، اكتشف الرسالة الأخيرة».

- هذا صحيح، ولكن هذه الكلمات لا تشير من قريب أو بعيد إلى أن الرسالة الأخيرة مكتوبة بحبر سري، كان ذلك تفسيرنا نحن للأمر، فلو كانت أمي قد كتبت رسالة سرية على الحائط، لتركت مصباحًا ضوئيًا خاصًا لاكتشاف الحبر السري، وليس قلمًا للحبر السري يحتوي على مصباح صغير لكشف هذا الحبر.

- ربما تكون قد كتبت الرسالة بهذا القلم، ثم تركته لنا لكي نستعمله.

- لا أعتقد ذلك، فقد لاحظت أن القلم كان جديدًا وغير مستخدم عندما وجدته داخل الصندوق البريدي.

- ما الذي تريد قوله بالضبط يا نضال؟

- الأقلام في العادة ترمز إلى الكتابة، وبما أن مغامرتنا منذ بدايتها كانت مليئة بالألغاز والأسرار والرسائل المشفرة، فإنني أرجح الآن أن قلم الحبر السري هذا يرمز لأول إنسان في التاريخ كتب عن الحبر السري والشيفرات.

- ومن يكون هذا الشخص؟



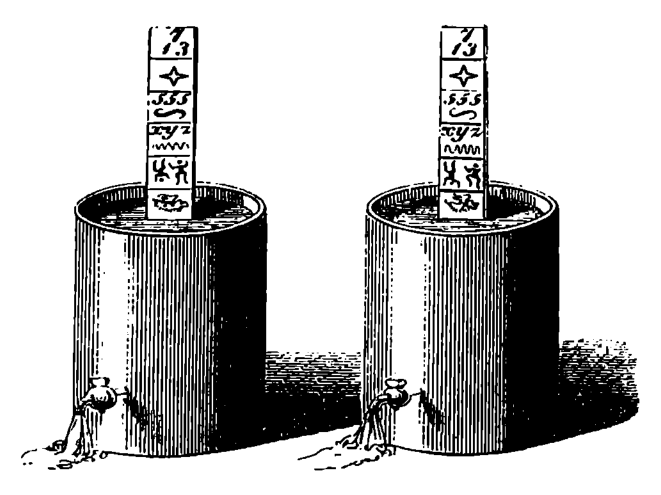
- «إينياس تاكتيكوس» «**Aeneas Tacticus**»، ويعرف أيضًا بـ«إينياس التكتيكي»، هو عالم استراتيجي ومخترع وكاتب إغريقي ظهر في القرن الرابع قبل الميلاد في بلاد اليونان، يعد من أوائل من كتبوا في فن الاستراتيجية العسكرية، وركز في أطروحاته العلمية بشكل خاص على تكتيكات التواصل الخفية والشيفرات السرية، وهو أول كاتب في التاريخ يقدم دليلًا كاملًا عن طرق تأمين الاتصالات العسكرية، وفي أطروحته المعروفة باسم «كيفية البقاء على قيد الحياة تحت الحصار» «**How to Survive under Siege**»، ذكر هذا العالم اليوناني استخدام الحبر السري كطريقة من بين عشرين طريقة وضعها حول كيفية الاتصالات السرية، وقد استخدمت طرق إينياس التكتيكي العجيبة منذ قديم الزمان في عمليات التواصل العسكري للجيوش أثناء الحروب.

- مثل ماذا؟ سأل عبد العزيز مقاطعًا.

- مثل الحرب التي ذكرتها لك سابقًا أثناء رحلتنا، حرب القرطاجيين والرومان، والمعروفة في التاريخ بـ«الحرب البونيقية» «**Punic War**»، فقد ذكر المؤرخ والسياسي الشهير، «بوليبيوس» «**Polybius**»، وهو بالمناسبة واضع إحدى أشهر النظريات السياسية في التاريخ، نظرية «الدورانية» أو «أناسيكلوسيس» «**Anacyclosis**»، ذكر هذا المؤرخ اليوناني أن البونيقيين أو القرطاجيين استخدموا في الحرب

البونيقية الأولى إحدى طرق إينياس التكتيكي السرية لإرسال الرسائل المشفرة بين تونس وجزيرة صقلية التي كانت تابعة لمملكة قرطاج.

- وما هي هذه الطريقة؟



- طريقة «التلغراف الهيدروليكي» «**Hydraulic telegraph**»، أو كما يعرف أيضًا بـ«نظام الشيفرة الهيدروليكية» «**hydraulic semaphore system**»، هي إحدى طرق الاتصالات السرية العشرين التي ذكرها إينياس التكتيكي في كتاباته، حيث تعتبر هذه الطريقة إحدى أولى عمليات الاتصال البرقي في التاريخ، وملخص هذه الطريقة أن الرسائل تنتقل بين بين المرسل والمستقبل عن طريق وجود وعائين متشابهين يحتويان على نفس القدر من الماء، ويطفو على سطح الماء في كل وعاء عمود يحتوي على عدة رموز أو كلمات أو رسائل

قصيرة موزعة على بعد مسافات محددة، ويوجد في أسفل كل وعاء صنبور مياه، ويتم نقل الرسائل المشفرة عبر رفع المرسل شعلة نارية يراها المستقبل من على بعد، فيقوم الاثنان في نفس التوقيت بفتح صنبور المياه، ومع انخفاض مستوى المياه في الوعاء، يبدأ عمود الرسائل بدوره بالانخفاض تدريجيًا، وعندما يرى المرسل أن العمود وصل إلى المستوى الذي يحتوي على الرسالة المراد إيصالها، يقوم بإطفاء الشعلة، فيقوم الاثنان بإغلاق صنبور المياه في نفس التوقيت، وبذلك يحصل المستقبل في وعائه على نفس الرمز أو الرسالة، وقد طور الإنجليز في القرن التاسع عشر نظامًا جديدًا للتلغراف الهيدروليكي، يمكن من خلاله نقل رسائل برقية تحتوي على 12 ألف كلمة مختلفة.



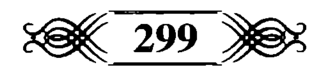
- وما علاقة هذا كله بالرسالة الخفية في الحلقة الأخيرة في لغز الحلقات العشر؟!

- هناك نظام آخر للشيفرة السرية ذكره إينياس التكتيكي، ويتم نقل الرسائل السرية عبر هذا النظام عن طريق خلق ثقوب دقيقة للغاية أسفل أو على بعض حروف كلمات الرسائل أو المستندات العادية، ومن خلال تعيين تلك الحروف عن طريق الثقوب الخفية، يمكن التوصل إلى الرسالة السرية، وقد طورا الألمان هذا النظام طوره الألمان في الحرب العالمية الأولى والثانية، وبدلًا من استخدام الثقوب، استخدموا الحبر السري والنقاط الليزرية.

- هل لهذا الأمر علاقة بالشيفرة الألمانية التي توصلنا من خلالها إلى اللغز السابق أثناء بحثنا عن سر آريوس؟

- ربما، فآخر مرحلة من مراحل حل لغز التفاحة كانت عبر فك تعمية شيفرة إنجما الألمانية، وكما رأينا منذ اللحظة الأولى في لغز بربروسا، فخيوط هذه الألغاز مرتبطة ببعضها البعض بطريقة عجيبة، لذلك ربما يكمن سر الحلقة الأخيرة من حلقات اللغز في هذه الطريقة السرية لنقل الرسائل الخفية، والتي استخدمها الألمان أيضًا.

اقترب عبد العزيز من اللوحة الحجرية المنقوشة على قوس باب المدخل، وأخذ يتفحص في حروف كلماتها وهو يقول:



- هذا يعني أن الرسالة السرية موجودة هنا، ولكني لا أرى أي ثقوب أو نقوش مميزة عند أي حرف من حروف هذه اللوحة!

أخرج نضال من حقيبته الورقة التي وجدها في الصندوق البريدي، ووضعها في مواجهة الشمس، فانكشفت فيها ثقوب صغيرة للغاية ظهر من خلالها ضوء الشمس، عندها أخذ نضال يردد المقطع الأخير الذي جاء في الورقة:

- «اكتشف الرسالة الأخيرة من هنا»!

أحيانًا تكون الكلمات بسيطة ومباشرة، ولكننا نحن من يختار التفسيرات المعقدة لها!

بعد ذلك، وسَّع نضال تلك الثقوب الصغيرة بواسطة رأس القلم الذي يحمله، ثم أخذ الورقة ووضعها على اللوحة الحجرية التي تطابقت معها في الطول والعرض، بينما أخذ عبد العزيز يدون بورقة وقلم الحروف التي ظهرت من خلال تلك الثقوب، لتخرج في نهاية الأمر هذه الرسالة الخفية:

A

8

THE END IS NOTHING BUT THE BEGINNING



- النهاية ما هي إلا البداية! ما معنى هذه الجملة المكتوبة بالإنجليزية؟

- لست متأكدًا من معناها الآن يا عبد العزيز، سأبحث في أمرها لاحقًا، ولكن الشيء الذي أنا متأكد منه تمام التأكد، هو أننا نجحنا أخيرًا بعد هذه الرحلة الطويلة من التوصل إلى جميع حلقات لغز الحلقات العشر، وتمكنا من تحديد الأرقام العشرة المحددة لإحداثيات موقع كنز الفاندال.

- وهل سنذهب الآن إلى الموقع الذي يحتوي على كنز الفاندال الأسطوري؟

- ليس بعد يا صديقي، فهناك خطوة مهمة يجب القيام بها قبل ذلك!



أشياء لا تنسى

كانت أمواج البحر المتوسط في ذلك اليوم العاصف تضرب بقوة الصخور المتناثرة على ساحل صخري قريب من مدينة «الهوارية» التونسية، ومن على صخرة كبيرة ممتدة على شكل لسان داخل البحر، وقف نضال يراقب في الأفق يختًا صغيرًا يقترب شيئًا فشيئًا من الساحل مخترقًا عباب ذلك البحر الهادر، وعندما أصبح اليخت على مسافة قريبة، انطلق منه قارب صغير متجهًا نحو الصخرة الصماء

التي يقف عليها نضال، ولما وصل القارب إلى الصخرة، نزل منه رجل طاعن في السن، واستطاع وضع قدميه على طرف الصخرة بمساعدة اثنين من معاونيه الذين اتكأ عليهم، وبردائه الأسود، وقلادة ذهبية على شكل صليب مميز، تقدم ذلك الرجل المسن بخطوات ثقيلة نحو نضال الذي ظل ثابتًا في مكانه على الصخرة، لقد كان ذلك الرجل المسن هو البروفيسور جورج رفايلي رئيس منظمة فرسان القديس يوحنا، الذي بادر بالكلام بصوته الضعيف الذي بالكاد كان يسمع نتيجة لهدير أمواج البحر المتلاطمة التي كانت تصطدم بتلك الصخرة:

- ما هذا المكان الغريب الذي اخترت أن نلتقي فيه أيها الشاب؟!

- أرجو أن تكون قد حظيت برحلة بحرية مريحة يا بروفيسور، أردت من خلال اختيار هذا المكان أن تكون عملية تبادل ما لدينا من معلومات في مكان معزول، وقد أخبرتني بنفسك أن أمي استطاعت اختراق الأرشيف السري لمنظمتكم عن طريق أحد عملائكم، فخشيت أن ألتقي بك في مقر المنظمة خوفًا من وجود عملاء آخرين يعملون سرًا لصالح منظمات أخرى، لذلك فضلت أن تكون عملية تبادل ما لدينا من معلومات في مكان معزول، واخترت هذا المكان الساحلي المعزول في تونس والقريب من مالطا.

- اطمئن، لا مكان للخونة بيننا، وقد تمكنا بسرعة من اكتشاف هوية ذلك الخائن الذي سرب المعلومات، وقد لقي ميتة شنيعة

تناسب حجم خيانته لنا، ولكن على أي حال يعجبني حرصك وحسك الأمني، من المؤسف أن شابًا بذكائك ومواهبك لا يرغب بالعمل لصالح منظمتنا.

- كل ما يشغل تفكيري الآن هو مصير أمي، لذلك أرجو أن تكون قد حصلت على المعلومات التي وعدتني بها.

أشار البروفيسور رفايلي إلى أحد معاونيه الاثنين، فأخرج ذلك المعاون من حقيبة يدوية يحملها ملفًا ورقيًا وناوله للبروفيسور، الذي ناوله بدوره لنضال وهو يقول:

- أمك على قيد الحياة يا نضال، أو على الأقل كانت على قيد الحياة حتى وقت حصول عملائنا على هذه المعلومات منذ أيام قليلة، ولكن يمكن اعتبارها في عداد الموتى، فهي مسجونة في إحدى مدن إيران الأثرية داخل الحصن السري الذي اتخذته منظمة الحشاشين الجدد كمقر رئيس لهم ، وخذها نصيحة مني، انسَ أمر أمك، فهي في عداد الموتى عمليًا، ومهما فعلت، فإنك لن تستطيع الوصول إليها، فلا أحد يستطيع الدخول إلى ذلك الحصن المنيع، فهو مأمن بموانع طبيعية وصناعية يستحيل اختراقها، وحتى لو تمكنت من اقتحام تلك الموانع بمعجزة من المعجزات، فإنه من المستحيل أن تتمكن من الخروج منه حيًا، فالحصن محاط بأجهزة إنذار ومراقبة إليكترونية متطورة يمكنها رصد أي حركة لأي كائن حي داخل وخارج أسوار الحصن،

ستجد كافة التفاصيل والخرائط المتعلقة بحصن الحشاشين الجدد في هذا الملف الورقي.

- إن كان الأمر كذلك، فكيف تمكن عملاء منظمتكم من الحصول على هذه المعلومات الدقيقة من داخل الحصن؟

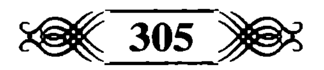
ابتسم البروفيسور رفايلي ثم قال:

- حتى عملاء منظمة عريقة كمنظمتنا لم يتمكنوا من اقتحام ذلك الحصن اللعين، وهذه المعلومات التي بين يديك تم تجميعها من خلال طرق تجسس معقدة كلفتنا الكثير من الأموال والجهد، ولولا أن الوصول إلى كنز الفاندال يستحق كل ذلك، لما فكرنا أصلًا بالمخاطرة والقيام بهذه المهمة، والآن بعد أن حصلت على ما طلبته، أين هي احداثيات موقع الكنز التي أخبرتني خلال مكالمتك الهاتفية لي قبل يومين أنك تمكنت من تحديدها؟

- هل جلبت معك ما أخبرتك به في المكالمة؟ سأل نضال بصوت واثق.

أشار البروفيسور رفايلي إلى معاونه مرة أخرى، فأخرج من الحقيبة جهاز حاسوب محمول.

- جهاز حاسوب محمول متصل بشبكة الإنترنت الفضائي عالية السرعة عبر «الساتل» تمامًا كما طلبت، ولكن ما علاقة هذا الطلب بإحداثيات موقع الكنز؟!



- حسنًا يا بروفيسور، لقد حددت أمي إحداثيات موقع كنز الفاندال بطريقة مشفرة من خلال عشرة أرقام وعشرة رموز تكون مجتمعة شيفرة «إنجما» رقمية خاصة، يؤدي فك تعميتها في النهاية إلى الوصول إلى موقع الكنز، ثم قامت بربط هذه الشيفرة ببرنامج «جي بي إس» دقيق للغاية يمكنه فك هذه الشيفرة وتحديد إحداثياتها، وهذا البرنامج يحتاج إلى شبكة إنترنت فضائي عالي السرعة كي يتمكن من فرز ملايين الاحتمالات الناتجة من فك تعمية شيفرة إنجما، ومن ثم يتم تحديد الإحداثيات الأرضية لموقع الكنز خلال بضع ساعات فقط.

- وأين هو هذا البرنامج؟

أخرج نضال من جيبه ناقلًا صغيرًا للبيانات «يو إس بي» «**USB**»، وناوله للبروفيسور قائلًا:

- ستجد هنا ملف البرنامج الذي ينبغي تحميله على الحاسوب، وستجد ملفًا آخر يحتوي على الشيفرة المكونة من **10** أرقام و**10** حروف، وبمجرد تحميل البرنامج قم بإدخال الشيفرة في خانة البحث، وبعد ذلك سيعمل البرنامج تلقائيًا على تحليل المعلومات وفرزها، شريطة أن يظل الحاسوب متصلًا طيلة الوقت بشبكة الإنترنت، وألا يتم إغلاق شاشة الحاسوب أبدًا طيلة فترة عمل البرنامج على إنجاز مهمته.

- وما الذي يضمن لنا أن هذه الشيفرة سليمة ولم تقم أنت باختراعها؟ سأل البروفيسور وهو ينظر بريبة في عيني نضال.

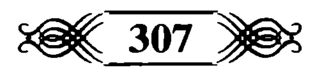
ابتسم نضال ثم قال بهدوء:

- كنت أعتقد يا بروفيسور أننا تجاوزنا مرحلة الشك منذ لقائنا الأول، وعلى العموم ستجد في هذا الناقل الإليكتروني ملفًا ثالثًا يحتوي على صور التقطها للرسائل لورقة اللغز الذي أرشدني إلى الشيفرة، وستجد أيضًا صورًا عديدة للأماكن والرسائل المختلفة التي عثرت عليها أثناء رحلتي للتوصل إلى هذه الأرقام والحروف العشر، وكما أخبرتك سابقًا، لو أنني كنت أرغب بالعبث معكم، لكنت قد سلمت المستندات التي كانت بحوزتي لجهات أخرى، إضافة لذلك كله فأنا لست أحمقًا لكي أذهب في رحلة خطيرة للعثور على أمي وأنا أدرك أنني ملاحق من منظمتكم التي تعلم مسبقًا تحركاتي في تلك الرحلة.

- لقد وثقت بأمك في السابق، فقامت بخداعي!

- أتفهم مشاعر الشك التي تراودك يا بروفيسور، ولكن كما أخبرتك في السابق، أنا لست كأمي، فقد أضاعت أمي سنوات طويلة من عمرها معكم، وقد تعلمت من غلطتها، لذلك فكل ما أريده الآن هو إنهاء هذا الأمر، والعيش بسلام إلى الأبد!

- حسنًا، ولكن بالرغم من قناعتي من كل ما قلته، أفضل أن تظل معنا لحين التأكد من صحة المعلومات التي قدمتها!



وضع البروفيسور الـ«يو إس بي» داخل مكانه المخصص في الحاسوب، ثم ألقى نظرة سريعة على الصور الموجودة في أحد الملفات المخزنة فيه، ثم قام بتحميل البرنامج الذي تحدث عنه نضال، وبعد أن انتهى من تحميله أدخل في خانة البحث في البرنامج الأرقام والحروف العشرة التي كانت مكتوبة في ملف منفصل، لتظهر عندها على شاشة الحاسوب خارطة كبيرة للكرة الأرضية، وظهرت أسفل منها عبارة مكتوبة باللغة الإنجليزية توضح أن العملية تحتاج إلى 13 ساعة لإتمامها، وعندما رأى البروفيسور ذلك، انفرجت أساريره، وبدت على وجهه مظاهر الطمأنينة، وقبل أن يتفوه بأي كلمة بادره نضال قائلًا بصوت واثق:

- أقترح عليك يا بروفيسور أن تستريح قليلًا في الفندق الذي أنزل فيه ريثما ينتهي البرنامج من مهمته، الفندق لا يبعد كثيرًا من هنا!

ابتسم البروفيسور ثم قال وهو يربت على كتف نضال:

- إنها 13 ساعة أيها الشاب، ليس في عمر رجل مسن مثلي الكثير من الساعات ليضيعها في الانتظار، خلال هذه الساعات أكون قد وصلت إلى مالطا وباشرت أعمالي من مكتبي، أما الآن فقد حانت ساعة الرحيل، وأكرر نصيحتي لك، ابتعد عن الحشاشين الجدد، وحاول أن تنسى أمر أمك، فما زال عرض منظمتنا لك قائمًا في أي لحظة تفكر فيها بالعمل معنا، ورقم هاتفي الخاص معك، فكر بالموضوع على روية وأعطني ردك النهائي قبل أن تقدم على أي خطوة.

نظر نضال في وجه البروفيسور رفايلي وقال:

- هناك أشياء لا تنسى مهما حاولنا أو تظاهرنا بنسيانها، ولكن أعدك أن ردي النهائي سيصلك في أقرب وقت يا بروفيسور!

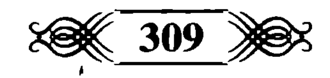
ودع البروفيسور رفايلي نضال، واتكأ على أحد معاونيه، بينما حمل المعاون الآخر جهاز الحاسوب، ثم ركبوا جميعًا القارب الذي أوصلهم إلى اليخت، ومن ثم بدأ اليخت بالتحرك ببطء مبتعدًا عن الشاطئ التونسي.

عند تلك اللحظة...

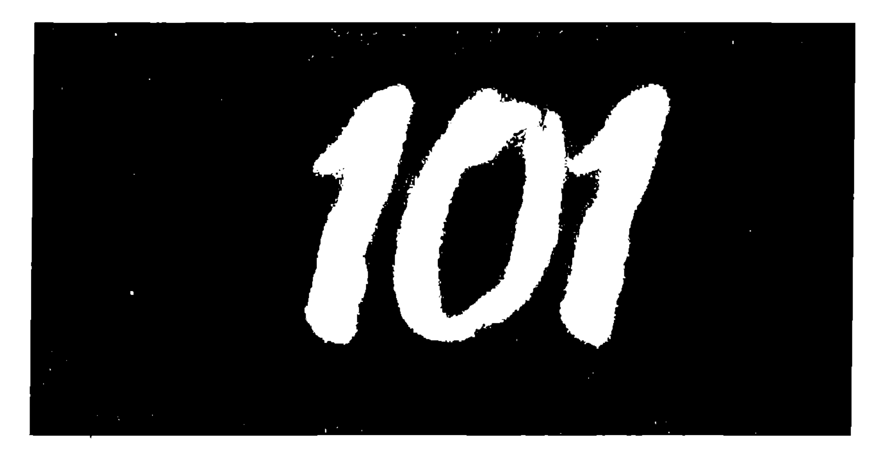
تناول نضال هاتفه المحمول من جيبه، واتصل بعبد العزيز الذي كان يجلس مختفيًا عن الأنظار برفقة حاسوبه المحمول خلف تلة صخرية قريبة، وعندما رد عبد العزيز على الاتصال، قال له نضال بصوت عميق خالطه هدير البحر الهائج:

- سفينة الزيت اخترقت صفوف العدو، أطلق السهم الناري!



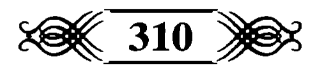


حرب الفاندال



كان البروفيسور جورج رفايلي رئيس منظمة فرسان القديس يوحنا يجلس في حجرته الخاصة داخل اليخت على أريكة فاخرة مصنوعة على الطراز الإيطالي الروماني، وقد هم بتناول كأس من النبيذ عندما صُعق بأن شاشة الحاسوب المحمول الموضوع على المنضدة أمامه قد ظهر منها فجأة تسجيل مصور لنضال:

«مرحبًا يا بروفيسور، وعدتك في نهاية لقائنا الأول بأن أخبرك بأهم درس تعلمته في حياتي، وها قد حان وقت تنفيذ الوعد، لذلك



سجلت لك هذا المقطع، فاستمع إلى ما سأقوله جيدًا، فلن يذاع هذا المقطع إلا لمرة واحدة...

عندما كنت في السادسة من عمري، اصطدمت في أول عام دراسي لي بأستاذ مستبد أراد تحويل التلاميذ لعبيد له، فقرر أن يحصر معرفتنا وفهمنا للأشياء بما يراه هو مناسبًا لنا، فحذرنا منذ البداية من خطورة بحث أو مناقشة أي شيء يتجاوز حدود ما يقرره لنا، فحدد لنا في ذلك العام معرفة الأرقام من **1** إلى **100** فقط، ونهانا عن مجرد التفكير في الرقم الذي يلي ذلك، ولأنني كنت عنيدًا مثل أمي كما وصفتني، بحثت بنفسي عن الرقم **101**، ولسبب ما، كنت أشعر بالسعادة في ترديده كل صباح في قاعة الفصل، فاعتبر الأستاذ ترديدي لهذا الرقم تحديًا له ولنظامه التعليمي الفاسد، وتهديدًا لسلطته وهيبته أمام التلاميذ، فشن علي حربًا شرسة، استخدم فيها كل أساليب التهديد والعقاب والابتزاز، فقاومت في البداية، وواصلت ترديد ذلك الرقم كل صباح، ولكنني ضعفت في منتصف الطريق، بعد أن استخدم الأستاذ في مواجهتي بعض التلاميذ الذين تحولوا بالفعل لعبيد له يطيعون أوامره دون تفكير، وأمرهم بنبذي والسخرية مني ومناداتي بلقب **101** بدلًا من اسمي، وعندها صرت بالفعل على وشك اليأس والاستسلام، ولكن عمتي التي كانت تربيني علمت بالأمر، فشدت من عزيمتي، وأوضحت لي بأنني لست أنا من بدأ تلك الحرب

الظالمة، وقالت لي مقولة دفعتني للاستمرار بالمقاومة، ومن ثم الانتصار على ذلك الأستاذ المستبد في نهاية الأمر، هذه المقولة صارت أهم درس تعلمته في حياتي:

«طالما أن الحرب قد فرضت عليك، فلا ترضَ أن
تخرج منها إلا منتصرًا!»

كنت يومها طفلًا صغيرًا لم يتجاوز الثالثة من عمره، عندما بدأت أنت ومنظمتك الإجرامية حربًا ظالمةً عليَّ وعلى أسرتي البسيطة، عندما اتخذتم بكل بساطة قرارًا بتدمير حياتي في ذلك العمر المبكر، قرارًا بتشتيت شمل أسرة سعيدة كانت تعيش بهدوء وسلام، قبل أن تظهروا أنتم في طريقها، لتحولوا تلك السعادة إلى حزن مزمن لا يزول مع الأيام، فقتلتم أبي الطيب دون ذنب، ورملتم أمي المسكينة وهي في زهرة شبابها، ونزعتم طفلها الوحيد من أحضانها، بعد أن اضطرت إلى تركه والرحيل إلى المجهول خوفًا عليه من إجرامكم، هذه المأساة حدثت فقط لأن أمي أرادت البحث في حكاية تاريخية حاولتم أنتم إخفاءها عن البشرية لمئات السنين، حكاية الآريسيين، هذه الحكاية التي تعلمت منها كثيرًا، وعشت أحداثها المثيرة التي حاولتم طمسها وتزويرها، تعلمت من ثباتهم على قضيتهم، وإصرارهم على الاستمرار في طريقهم، واستلهمت من قصة الفاندال الآريسيين بشكل خاص استراتيجية حربهم المضادة التي تصدوا من خلالها

للرومان، حرب الفاندال، الحرب التي صارت بالنسبة لي رمزًا للانتقام من جبروت الظالمين في كل زمان ومكان، فالشيء الذي غاب عنك يا بروفيسور أن هذا المكان الذي اخترته لكي نلتقي فيه أنا وأنت هو نفس المكان الذي التقى فيه الفاندال والرومان قبل ما يزيد عن 1500 عام، هذا الشاطئ التونسي الصخري هو شاطئ «الرأس الطيب» «Cape Bon»، في تلك المعركة كان الرومان هم الأقوى والأكثر عددًا وعتادًا، ولكن الفاندال كانوا هم الأذكى والأقوى إيمانًا، فاستطاعوا بذلك الانتصار على أساطيل الرومان بعد أن تمكنوا من اختراق صفوفهم عن طريق بعض السفن الصغيرة المليئة بزيت الزيتون التونسي، ليطلقوا بعد ذلك سهامهم النارية التي أحرقت الغزاة وسفنهم، كانت خطة الفاندال هي نفس الخطة التي استخدمتها معك يا بروفيسور، فالبرنامج الذي ظننت بأنه مخصص لتحديد موقع كنز الفاندال كان بمثابة السفينة التي اخترقت صفوف منظمتكم الإرهابية، أما البيانات التي خزنتها في البرنامج فكانت بمثابة زيت الزيتون الذي تم تخزينه في السفينة دون أن يثير الانتباه، وبعد ذلك تم إطلاق السهم الناري الذي كان عبارة عن إشارة إليكترونية تم من خلالها السيطرة على حاسوبك عن بعد واختراق جميع حساباتك الشخصية، وفي هذا الوقت الذي تستمع فيها إلى هذا التسجيل تم بالفعل إرسال رسائل خاصة باسمك من خلال

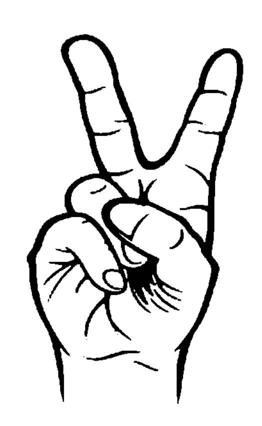
بريدك الإليكتروني إلى كبريات الصحف ووسائل الإعلام العالمية، هذه الرسائل تكشف عن معلومات خطيرة توثق من خلالها جرائم منظمتك عبر سنوات، وتثبت ارتباط أسماء سياسيين ورجال أعمال بارزين في حكومات ومنظمات عالمية تابعين للجهاز السري للمنظمة، وهي بالمناسبة صورة طبق الأصل للمستندات الأصلية التي أعطيتك إياها في لقائنا الأول، ولكني استثنيت منها كل ورقة ورد فيها اسمك من قريب أو بعيد، أتعلم لماذا يا بروفيسور؟! لأنني أعلم أن هناك جهات قضائية فاسدة تابعة لكم قد تبرؤك من جميع التهم، وحتى لو تمت إدانتك فستكون عقوبتك في أقصى الحالات هي السجن مدى الحياة، أما أنا فلن يكفيني حتى إعدامك لتعويضي عن طفولتي التعيسة التي عشتها بسببك أنت بالذات، لذلك خططت بأن تكون عقوبتك هي أن تعيش لتموت كل يوم ألف مرة، تموت من الرعب الذي سيملأ قلبك خوفًا من انتقام بقية أفراد عصابتك الذين سيعتقدون أنك أنت من قمت بخيانتهم والتبليغ عنهم لكي تحتفظ لنفسك بالكنز، بعد أن يعلموا بشأن تسريباتك للصحافة، ويتأكدوا أنها أرسلت من مختبك الخاص بعيدًا عن مقر المنظمة التي يتم في الأثناء اقتحامها واعتقال كل من فيها من قبل وحدات خاصة تابعة للإنتربول الدولي الذي تم تسريب هذه المعلومات له في وقت سابق، هل علمت الآن لماذا استدرجتك إلى هذا المكان بعيدًا عن مقر

منظمتك؟ سأتركك لكي تذوق مصير سلفك أوغاستين الذي مات من الرعب داخل أسوار مدينة عنابة الجزائرية، بعد أن علم بأن الطفل الفاندالي الصغير غايسريك، الذي عاش طفولة معذبة نتيجة لجرائم الرومان الذين شرع لهم أوغاستين سياسة التعذيب، هذا الطفل قد كبر، وجاء لينتقم ممن تسبب بعذاباته!

بالمناسبة يا بروفيسور... هل تعلم إلى ماذا يرمز الحرف «**V**» الذي تبدأ به كلمة «فاندال» «**Vandals**»؟

صمت نضال للحظة أثناء التسجيل، ورفع إصبعي السبابة والوسطى على شكل الحرف «**V**» مشيرًا بعلامة النصر، ثم قال:

«إلى الجحيم أيها القرصان!».



النهاية ما هي إلا البداية

مكث نضال وعبد العزيز في حجرتهما في الفندق يتابعان قنوات الأخبار العالمية التي خصصت جل ساعات بثها في ذلك اليوم لتغطية الفضيحة الكبرى التي ضربت منظمة فرسان القديس يوحنا:

- «وما زالت خيوط هذه الفضيحة تتكشف بشكل متسارع مع مرور الوقت، لتظهر معها أسماء جديدة، لسياسيين كبار، ورجال أعمال، ومسؤولين نافذين في منظمات عالمية، ومشاهير من عالم الفن والرياضة، أثبتت الوثائق المسربة دعمهم لكثير من الجرائم الغامضة التي قام بها أعضاء هذه المنظمة التي أعلن قادتها الجدد حل تنظيمها السري، واستعدادهم للتعاون الكامل مع السلطات القانونية المختصة، وذلك في بيان نشر على صفحتها الرسمية على الإنترنت وقعه المدير الجديد الدكتور روبيرتو مازانيتا، الذي تسلم إدارة المنظمة مباشرة بعد الكشف عن مقتل الرئيس السابق البروفيسور جورج رفايلي على متن يخته الخاص في عرض البحر المتوسط، فيما يرجح بأنها عملية تصفية داخلية، في حين ذكرت بعض التقارير الأخرى بأن رفايلي أقدم بنفسه على الانتحار، وفي نفس الصدد أشاد الأمين العام للأمم المتحدة بدور

قائدة الوحدة الخاصة التابعة للإنتربول الدولي المحققة كاثرين بريستلي التي قادت عملية اقتحام مقر المنظمة، وهي العملية التي أطلق عليها اسم «العملية نابليون»، نسبة للقائد الفرنسي نابليون بونابرت الذي هاجم معاقل فرسان القديس يوحنا في مالطا نهاية القرن الثامن عشر، وفي بيان أذيع في وقت سابق من صباح اليوم، أدان الفاتيكان على لسان المتحدث باسمه ما وصفه بـ «الفظائع الرهيبة التي لا تمت للمسيحية بصلة»، وأشاد بدور الرئيس السابق لمنظمة القديس يوحنا البروفيسور جورج رفايلي الذي وصفه البيان بـ «الفارس الكاثوليكي الباسل الذي كرس حياته كلها للأعمال الخيرية»، وفي المؤتمر الصحفي الذي أعقب قراءة هذا البيان، ذكر المتحدث الرسمي باسم الفاتيكان أن ثمة اجتماعات تعقد حاليًا لكبار قادة الكنيسة لمناقشة اقتراح منح رفايلي لقب قديس، «تقديرًا لجهوده الشجاعة في كشف الحقيقة للعالم الحر» على حد تعبير المتحدث باسم الفاتيكان.

من أمام مقر منظمة القديس يوحنا في العاصمة المالطية فاليتا، كان معكم مراسل الشبكة العالمية الإخبارية جوناثان بيكر».

- ألا تعتقد يا نضال أنه ينبغي علينا كشف بقية المستندات الخاصة بجرائم البروفيسور جورج رفايلي بدلًا من أن يتم اعتباره كقديس؟

ابتسم نضال بسخرية، ثم قال:



- وما الفرق يا صديقي؟ صفحات التاريخ مليئة بأسماء أشخاص ظهروا من مختلف الأديان والملل يعتبرهم البعض أبطالًا وقديسين وشهداء، بالرغم من أنهم كانوا في حقيقة الأمر مجرد سفاحين وقتلة جبناء، فانضمام أو عدم انضمام اسم جديد إلى قائمة الأبطال التاريخيين المزيفين لن يغير شيئًا على أرض الواقع، ولن يعيد للضحايا ما فقدوه، بل على العكس، ليس من مصلحتنا أن يعلم خلفاء رفايلي أن هناك جهة أخرى هي التي سربت هذه المستندات.

- وهل تعتقد أن منظمة فرسان القديس يوحنا ستقوم لها قائمة بعد هذه الفضيحة التي هزت كيانها؟

- صحيح أن القراصنة فقدوا معظم بنيتهم الهيكلية والقيادية على الأرض، ولكن من السذاجة اعتبار أن ما جرى يعني نهاية تنظيمهم إلى الأبد، وتاريخ قراصنة القديس يوحنا بالذات يعج بالنكبات التي حلت عليهم بأيدي صلاح الدين الأيوبي في فلسطين، وسليمان القانوني في رودس، ونابليون وبونابرت في مالطا، ولكنهم كحال أغلب التنظيمات السرية القائمة على عقائد أيدولوجية باطنية كانوا يعيدون بناء أنفسهم مجددًا بعد عدة سنوات، لذلك لا أستبعد عودتهم إلى الساحة يومًا ما، ولكني أعتقد أن الأمر سيحتاج منهم لعشرات السنوات على أقل تقدير قبل أن يتمكنوا من إعادة ترتيب أوراقهم من جديد بعد هذه الضربة الموجعة التي تلقوها.

- وماذا بالنسبة للكنز؟ ألا تخشى أن يكون أحد معاوني رفايلي قد تمكن من تدوين إحداثيات موقع كنز الفاندال قبل قيامنا بإرسال الإشارة الإليكترونية التي عملت على حذف كل البيانات والصور من الجهاز؟

- لا تشغل بالك كثيرًا بهذا الأمر، فحتى لو افترضنا أن أحدهم قام بذلك بالفعل، فلن يستفيد منه بشيء!

- ولكن كيف؟! ألم تكن تلك الأرقام هي نفسها الأرقام التي عثرنا عليها؟!

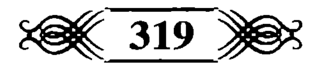
- هذا صحيح، وكانت أيضًا مرتبة على نفس الترتيب الذي وجدناها عليه. قال نضال مبتسمًا.

- هذا يعني أنه لو قام أحدهم بالبحث عن هذه الإحداثيات في أي جهاز «جي بي إس» سيجد موقع الكنز!

- لقد قمت بالفعل بالبحث عن إحداثيات الموقع حسب ترتيب الأرقام التي وجدناها، فأشار الجهاز إلى موقع في قعر المحيط الهادي، فعلمت عندها أن ترتيب الأرقام حسب ترتيب الحلقات غير صحيح، وأنه ينبغي ترتيب هذه الأرقام بطريقة أخرى لكي نحصل على الإحداثيات الصحيحة لموقع الكنز.

- وما هو هذا الترتيب؟!

- انتبه لما سأقوله جيدًا، سر لغز الحلقات العشر لا يكمن فقط بالأرقام العشرة التي عثرنا عليها، ولكن يكمن أيضًا بالأحرف اللاتينية



العشرة المرافقة لها، وقد لاحظت أن هذه الأحرف تكون كلمة إنجليزية هي التي سيتحدد من خلالها الترتيب الصحيح للأرقام، بحيث يكون ترتيب كل رقم مطابقًا لترتيب الحرف المرافق له وذلك حسب ترتيب نفس الحرف في الكلمة.

- وما هي هذه الكلمة؟

- إنها كلمة «الفاندال» باللغة الإنجليزية:

«THE VANDALS»

- هذا يعني أن أول رقم سيكون الرقم **4** الذي وجدناه مع الحرف **T**، وثاني رقم هو **1** الذي رافق الحرف **H**، وهكذا.

- بالضبط، هذا ما قمت به تمامًا، وفي حالة الحرف **A** الذي تكرر مرتين قدمت الرقم **3** الذي عثرنا عليه أولًا مرافقًا لهذا الحرف في رحلتنا، وفي النهاية حصلت على الإحداثيات التالية: **4196312858**، وهي إحداثيات الموقع الذي ينطبق عليه وصف الرسالة الدال على مكان الكنز.

- أي رسالة تقصد؟!

- **«THE END IS NOTHING BUT THE BEGINNING»**، «النهاية ما هي إلا البداية»، هذه الكلمات الغامضة التي عثرنا عليه في نهاية رحلتنا صارت واضحة تمامًا عندما حددت إحداثيات الموقع الذي من المفترض أنه يحتوي على كنز الفاندال

المفقود، وإذا صحت حساباتي فإن كنز الفاندال تحت الساحة المقابلة لآيا صوفيا في مدينة إسطنبول!

- إسطنبول!

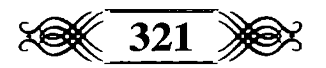
- القسطنطينية، المدينة التي بدأت منها رحلتنا الأولى في البحث عن لغز بربروسا، وهي نفسها المدينة التي ارتبطت بشكل كبير منذ تأسيسها بحكاية الآريسيين الموحدين.

- هذا منطقي، فكما فهمت من أحداث حكاية الفاندال أن الرومان البيزنطيين هم الذين استولوا على كنز الفاندال من تونس، والقسطنطينية كانت عاصمة الرومان، لذلك فمن المنطقي أن يكون الكنز قد نقل بالسفن إلى مركز الإمبراطورية وهي القسطنطينية!

- ليس ذلك فحسب يا عبد العزيز، فلغز التفاحة الذي اكتشفنا من خلاله سر آريوس، هذا اللغز يشير بشكل غير مباشر إلى القسطنطينية، فقد كان العثمانيون يرمزون للقسطنطينية بـ«قزل إلما **Kızıl Elma**» وتعني بالتركية «التفاحة الحمراء»!

- يا إلهي، خيوط اللغز الواحد من هذه الألغاز لا ترتبط فقط مع بعضها البعض، ولكن الألغاز أيضًا مرتبطة ببعضها البعض!

- بالفعل يا عبد العزيز، أمر مدهش، كلما تقدمت أكثر في خيوط هذه الألغاز العجيبة، لغز بربروسا، لغز التفاحة، والآن لغز الحلقات العشر، أتساءل بيني وبين نفسي- كيف صيغت هذه الألغاز المعقدة،



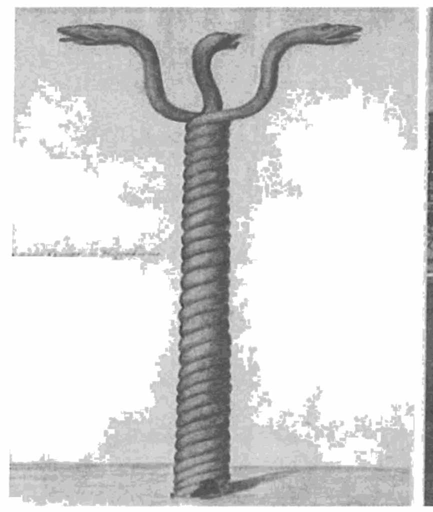
وكيف رُبطت جميعها ببعضها البعض عن طريق معلومات تاريخية متنوعة نقلتنا خلالها إلى أزمنة ودول وحضارات مختلفة في هذا العالم الواسع الذي كنت أعتقد واهمًا أنني أعلم عنه الكثير!

- وأين بالتحديد يوجد هذا الكنز؟ تساءل عبد العزيز.

- الإحداثيات تشير بشكل دقيق إلى معلم تاريخي في الساحة المقابلة لآيا صوفيا، والمعروفة حاليًا بساحة «السلطان أحمد»، وبالتحديد إلى حلقة دائرية كبيرة ممتدة على عمق عدة أمتار تحت مستوى أرض الساحة، حيث ينتصب عمود الثعابين.

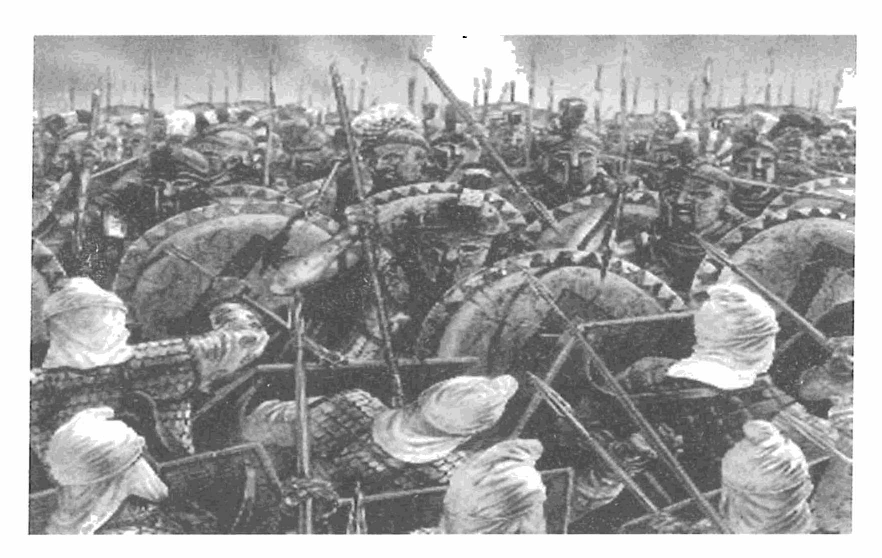
- عمود الثعابين؟!





- عمود الثعابين «Serpent Column»، هو عمود أثري

عملاق من البرونز على شكل ثلاثة ثعابين ملتفة حول بعضها البعض، بني في القرن الخامس قبل الميلاد من قبل اليونانيين تخليدًا لذكرى انتصارهم النهائي على الغزاة الفرس في معركة «بلاتيا» الفاصلة «Battle of Plataea»، وهي المعركة التي انتهى معها طموح إمبراطورية الفرس في احتلال بلاد اليونان والتوسع بعدها داخل أوروبا، وقد بني في إحدى المدن اليونانية، إلا أن الإمبراطور قسطنطين العظيم أمر بنقله إلى عاصمته الجديدة القسطنطينية ليظل هناك منذ ذلك التاريخ، وقد كان التمثال حتى نهاية القرن السابع عشر يحتوي على رؤوس الثعابين الثلاثة، ولكن حاليًا لم يتبقَ سوى رأس واحد موجود في متحف إسطنبول الأثري الذي زرناه في بداية مغامرتنا.



- ولكن هل أنت متأكد أن الكنزما يزال موجودًا تحت هذا العمود؟

- بعد كل هذه المفاجآت التي عشناها خلال هذه المغامرة لم أعد متأكدًا من أي شيء، فربما يكون الكنزقد تم نقله من مكانه لسبب أو لآخر، أو ربما عثرعليه الحشاشون الجدد قبلنا، أو لعله ما يزال موجودًا في مكانه وهذا ما أرجوه، لذلك علينا السفرإلى هناك والتأكد من ذلك بأنفسنا.

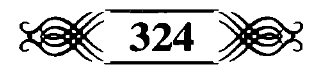
- أتعلم يا نضال، بغض النظرعن وجود الكنزفي ذلك المكان أو عدمه، فإني أعتبرنفسي قد حصلت بالفعل على كنزي الشخصي، هذا الكنزيتمثل في كل تلك المعلومات التاريخية المثيرة التي اطلعت عليها في هذه الرحلة الجميلة التي رافقتك فيها.

- ولكني شخصيًا أرجو أن يكون كنزالفاندال موجودًا هناك، فهذا الكنزسيساعدنا كثيرًا في الخطة التي وضعتها لإنقاذ أمي والانتقام لعمتي من تنظيم الحشاشين الجدد.

- وما هي هذه الخطة التي وضعتها يا 101 دون أن تناقشني حول تفاصيلها؟ تساءل عبد العزيز مبتسمًا.

وضع نضال يده على كتف عبد العزيز، ثم قال له:

- بالطبع سأناقشك حول كل التفاصيل لهذه الخطة أيها الصديق الوفي، وبالتأكيد سأستفيد من ملاحظاتك القيمة حولها، ولكن الآن علينا أن نستعد لما هو قادم، فكل ما مضى كان مجرد بداية، أما النهاية



الحقيقية فقد بدأت للتو، فإن كانت هذه الحرب الظالمة قد فرضت علينا دون اختيار منا، فنحن بإذن الله من سيكتب نهايتها بأيدينا، فلكل مغامرة بداية، ولكل بداية نهاية، ولكل حرب معركة فاصلة تحدد مصيرها، ونحن الآن في طريقنا لخوض مغامرتنا الأخيرة... «المعركة الأخيرة»!

يتبع...

Jehad

للتواصل مع الكاتب جهاد الترباني:
Jehad.tr@hotmail.com
تويتر: @alturbani
إنستغرام: jehadalturbani
فيسبوك: مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ

مُحتَوياتُ الكِتابْ


تم بحمد الله